

الدكتور
شرف الدين الراجحي
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

المبنى للمجهول

وتراكيبه ودلالته فى القرآن العظيم

دار المعرفة الجامعية

٤١٣٠١٦٣ - الإسكندرية

٥٩٧٣١٤٦ - القاهرة

0095210



Bibliotheca Alexandrina

المبنى للمجهول وتراكيبه ودلالته فى القرآن العظيم

للدكتور

شرف الدين الراجحي

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٩

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش. سوتير - الأزاريطة - ت ٤١٣٠١٦٣
٣٨٧ ش. قتال السويح - السيلين - ت ٥٩٧٣١٤٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على رسول الرحمة المهداة وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد،

فإن المبنى للمجهول أحد مباحث النحو العربى عنى به القدماء فى تأصيلهم لقواعده وصياغة فعله ولكننا نلاحظ أنهم لم يستقصوا تراكيبه من خلاص النصوص اللهم إلا شواهد محفوظة مكررة والحق أنهم وضعوا قواعد لصياغة الفعل المبنى للمفعول واختلفوا فيما يستحق أن يقوم مقام الفاعل وأشاروا إلى الأنفال التى وردت ملازمة للبناء للمفعول أو التى وردت مرة مبنية للمعلوم ومرة مبنية للمجهول.

وقد عنى علماء التفسير والبلاغة بهذا المبحث ودلالة استخدامه فى القرآن العظيم. والحق أن النص القرآنى المعجز يحفل بتركيب للمبنى للمفعول تنطق برصفه العجيب وتوحى بسنن الكبرياء ومقام العزة.

ولا نبخس أهل الفضل والعلم. فقد كان للدكتور محمود سليمان ياقوت فضل السبق فى مبحثه القيم المبنى للمجهول فى الدرس النحوى والتطبيق فى القرآن الكريم وقد حاولت أن أستقصى التراكيب التى وردت فيها صيغة المبنى للمفعول فى القرآن العظيم وعينت بالقراءات القرآنية المعتمدة التى تأتى بالفعل أحياناً مبنياً للمفعول وأخرى مبنياً للفاعل وأثر ذلك فى الدلالة.

وقد قسمت البحث إلى ستة فصول تناول الفصل الأول المبنى للمفعول عند القدماء ورأى علم اللغة الحديث. ثم تناولت التراكيب التى ورد فيها الفعل مبنياً للمفعول وما قام مقام الفاعل فى آى الذكر الحكيم وكان ذلك فى خمسة فصول :

ففى الفصل الثانى تناولت المبني للمفعول ونائب الفاعل اسم ظاهر.
وفى الفصل الثالث تحدثت عن المبني للمفعول ونائب الفاعل مصدر ظاهر
أو مقدر.

وفى الفصل الرابع تحدثت عن المبني للمفعول ونائب الفاعل ضمير متصل.
وفى الفصل الخامس تناولت المبني للمفعول ونائب الفاعل شبه جملة.
وفى الفصل السادس تحدثت عن المبني للمفعول ونائب الفاعل ضمير
مستتر.

وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم نتائج البحث ومصادره ومراجعته.
وبعد،

فهذا مبحث أبتغى به وجه الحق تعالى فإن أصبت قلله المنة والفضل وإن
كانت الأخرى، فحسبى أنى حاولت.
والله يوفقنا إلى السداد.

د. شرف الدين الراجحي

الكويت فى يناير ١٩٩٨م.

الفصل الأول

المبنى للمجهول عند القدماء

ورأى علم اللغة الحديث

المبنى للمجهول عند القدماء

ورأى علم اللغة الحديث

(أ) المستوى الصرفي :

تحدث النحويون القدماء عن تغيير صيغة المبنى للمعلوم إلى مبنى للمجهول في مباحثهم عن ما لم يُسمَّ فاعله أو نائب الفاعل وقليلًا ما نجد الصرفيين يعنون بهذا المبحث رغم أن فيه مسائل صرفية وصوتية.

وقد قسم النحويون الأفعال بالنسبة لبنائها للمجهول من عدمه إلى أقسام

١. قسم لا خلاف في جواز بنائه للمفعول وهو الفعل المتصرف التام مثل ضرب وكسر واعترف ويستعين.

٢. قسم لا يجوز بناؤه للمفعول باتفاق النحاة وهي الأفعال الجامدة مثل نَعِمَ وبَسَ وجَبَدَا ولا حَبَدَا وعَسَى وليس وتبارك وأفعال التعجب ومنها الأفعال الخاصة بالطباع مثل شَجَّعَ الجندى وكَرَّمَ العربيُّ والأفعال الدالة على الألوان والعيوب الخلقية والحلية ومثال ذلك احمرُّ واصفرُّ واعورُّ واحورُّ.

٣. قسم فيه خلاف بين النحويين وهو كان وأخواتها المتصرفة^(١). فرأى "الفرَّاء" أنه تبنى كان وأخواتها للمفعول مثل الفعل المتعدي فيقول في كان زَيْدٌ قائمًا : كَيْنَ قائمٌ ورُدَّ عليه بأن ذلك يؤدي إلى بقاء الخبر دون مُخَبَّرٍ عنه في اللفظ والتقدير وهذا فساد.

وقد أجاز "الكسائي" قِيَامَ الجملة التي تقع خيرًا لكان مقام الفاعل مثل

(١) انظر في هذه المسألة (أبو حيان الأندلسي)، في ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق د. مصطفى

النمَّاس، ج ٢، ص ١٧٤، رد. على محمد لآخر، في شرح المقرَّب لابن عصفور، الجزء الأول،

قولك كين يُقامُ ورفض ذلك جمهور البصريين.

أما ابن السراج وأبو علي الفارسي وابن مالك فقالوا لا يجوز أن تبنى كان وأخواتها للمفعول.

قال "ابن مالك" «وحكى ابن السراج أن قومًا يجيزون نيابة خبر كان المفرد وهو فاسد لعدم الفائدة ولاستلزامه إخبارًا عن غير مذكور ولا مقدّر»^(١).

أما "ابن عصفور" فذكر أنه يجوز بناء كان للمفعول بشرط أن تعمل في شبه جملة متعلق بها^(٢).

وقد حاول "ابن عصفور" أن يسند مذهبه واختياره إلى "سيبويه" لأن "سيبويه" قال : «يقال كان فهو كائن ومكون كما يقال ضارب ومضروب»^(٣).

ولكن سيبويه لم يتعرض لمسألة بناء كان للمجهول من عدمه ولذلك فإن "ابن جني" سأل أستاذه "أبا علي الفارسي" عن مكان هذه المسألة في كتاب سيبويه فقال له «ما كل داء يعالجه الطبيب»، وكان يقول : ﴿وَكَايْنُ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^(٤). ومعناه «إنه ليس كل شيء في كتاب سيبويه فقد فاتته كثير كما يفوت غيره وكل ما أراد سيبويه أن يبينه بقوله : كائن ومكون كضارب ومضروب أن يوضح تصريف كان»^(٥).

تحويل المبنى للمعلوم إلى مبنى للمجهول :

تحدث الصبرفيون عن صياغة الفعل عند بنائه للمجهول بتغيير صورة الماضي

(١) انظر: "ابن السراج" في الأصول، ج ١، ص ١٠، و"ابن مالك" في شرح الكافية الشافية، ج ٢، ص ٦١١.

(٢) د. علي محمد فاجر : شرح المقرب لابن عصفور، القسم الأول، ص ٥٥٢.

(٣) سيبويه : الكتاب، ج ١، ص ٤٦.

(٤) الآية ١٠٥ من سورة يوسف.

(٥) د. علي محمد فاجر . شرح المقرب لابن عصفور، القسم الأول، ص ٥٥٧.

والمضارع المعلومين. قالوا ولا يصاغ (الأمر) للمجهول لأن الأمر لا يكون إلا للمخاطب والمبنى للمجهول غائب ولأنَّ حدثه لما يوجد بعدُ حتى يتعلق بمفعول أو زمان أو مكان أو وصف بخلاف الماضى أو الحاضر فهما متعلقان بما ذكر فجاز حذف فاعلهما والإستغناء عنه والاكتفاء بمتعلقه.

ولكن لماذا غيروا صيغة الفعل إذ بُنى للمفعول فضمُّوا الأول وكسروا الثانى فى الماضى الثلاثى الصحيح وكسروا أول المعتل ولم يَضْمُوهُ كالصحيح ؟

قال "الكمال الأنبارى" : «فإن قيل فلمَ ضَمُّوا الأول وكسروا الثانى نحو ضَرِبَ زيد وما أشبه ذلك ؟ قيل إنّما ضَمُّوا الأول ليكون دلالة على المحذوف الذى هو الفاعل إذا كان من علاماته وإنما كسروا الثانى لأنهم لما حذفوا الفاعل الذى لا يجوز حذفه أرادوا أن يصوغوه على بناء لا يشركه فيه شىء من الأبنية فبنوه على هذه الصيغة؛ فكسروا الثانى^(١) وقال أيضاً عن سبب كسر أول المعتل :

«فإن قيل : فلمَ كسروا أول المعتل، نحو قيل، ويبيع ولم يَضْمُوهُ كالصحيح؟ قيل : كان القياس يقتضى أن يُجرى المعتل مجرى الصحيح فى ضمِّ أوله، وكسر ثانيه، إلا أنهم استثقلوا الكسرة على حذف العلة فنقلوها إلى القاف، فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، كما قلبوها فى ميعاد وميقات وميزان، وأصلها موعاد، وموقات، وموزان؛ لأنها من الوعد، والوقت، والوزن، وأمّا الياء فثبتت لانكسار ما قبلها^(٢) .

وقد عرض الصرفيون تغيير صورة الفعل بطرق مختلفة فبعضهم يبدأ بالثلاثى وآخرون يبدأ بغير الثلاثى، وهناك من يجعل الماضى والمضارع فى سبيل واحد ونستطيع أن نوجز هذه الطرق كما يلى :

(١) الكمال الأنبارى : أسرار العربية، ص ٩٥ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٩٦ .

١- إذا كان الفعل ماضياً سالماً : ضَمَمَتْ أوله وكسرت ما قبل آخره إذا كان ثلاثياً مثل عُرِفَ وَكُتِبَ وإن كان مبدوءاً بتاء زائدة يضم الثاني مع الأول سواء أكان رباعياً مجرداً أم ثلاثياً مزيداً بالتاء والشدة ومثال ذلك تُدْخِرُجَ وَتُعَلِّمُ وَتُصَدِّقُ. وإن كان مبدوءاً بهمزة وصل زائدة يضم الأول والثالث ويكسر ما قبل آخره مثل أَنْطَلِقَ وَأُجْتَمَعَ وَأُسْتُخْرِجَ وإن كان ثانيه أو ثالثه ألفاً زائدة قُلِبَتْ وَاوَا تقول في قاتل عارك - قوتل وعورك وتقول في تعاون وتشارك وتسامح - تعاون تشورك - تسويمح.

٢- وإن كان الفعل ماضياً معتلاً فصورته عند بنائه للمفعول كما يلي :

أ- إذا كان الفعل (مثالاً) مثل وعد ووقف يُغَيَّرُ مثل الماضي السالم تقول وَعِدَ ووقف.

وإذا كان الفعل معتل العين وقد سلمت عينه من الإعلال مثل عَوَرَ وَصَيَّدَ فيكون حكمه أيضاً ضم الأول وكسر ما قبل الآخر تقول صَيَّدَ فى أنفه وَعَوَرَ فى عينيه.

ب- إذا كان الفعل معتل العين (أجوف) وقد أعلت عينه مثل باع وقال وخاف فللعرب فيه ثلاثة أوجه :

١. إخلاص الكسر فيقال فى باع - بيع وقال - قيل.

٢. إشماع الضمّ وهو الإتيان بالفاء بحركة بين الضم والكسر ويظهر ذلك فى اللفظ لا فى الخط.

٣. إخلاص الضم فتجعل عين المعتل واواً مضمومة ما قبلها سواء أكان أصلها الواو أم لم يكن فتقول فى باع - قال - حال (بوع - قول - حول) وهى لغة (بنو فقعس وبنو دبير) من فصحاء بنى أسد^(١).

^(١) انظر فى تفصيل ذلك : ابن يعيش : شرح المفصل، ج٧، ص ٧٠، وخالد الأزهرى : التصريح على

د- إذا كان الفعل معتل الوسط غير ثلاثي مثل اختار وأنقاد واستقام فلك فيه أيضًا ثلاثة الأوجه السابقة وهى إخلاص الكسر (اختير - انقيد - استقيم) أو الإشمام وهو الانحناء بالكسرة نحو الضمة فتميل الياء الساكنة إلى الواو أو إخلاص الضم فتقول اختور وأنقود وتعزى هذه اللغة لبعض تميم وادعى بعضهم امتناعها فى المزيد دون المجرد^(١).

قالوا : وإذا أسند الفعل الثلاثي الأجوف المبني للمفعول إلى ضمير متكلم أو مخاطب فلك فيه أوجه ومثال ذلك إذا قلت خافنى زيدٌ وباعنى عمرو وعاقنى عن كذا فحذفت الفاعل وبنيت الأفعال للمفعول وأبدلت من ياء المتكلم تاء الفاعل. فلو قلت خِفْتُ وبعْتُ بالكسر وعَقْتُ بالضم لتوهم أنه فعل وفاعل والمراد المجهول فتعين أنه لا يجوز إلا الإشمام بالضمة فى خِفْتُ ولا يجوز الضم وفى بعْتُ وعَقْتُ يجوز الإشمام والضم ولا يجوز الكسر.

قالوا : أما سيبويه فلم يلتفت فى ذلك إلى الإلباس اكتفاء بالفرق التقديرى مثل مختار والفعل تضار لأن الأول يصلح أن يكون للفاعل والمفعول ومع ذلك أعلمه بقلب الياء ألفًا اكتفاء بالفرق التقديرى والثانى أدغم مع كونه يحتمل أن يكون مبنياً للفاعل والمفعول^(٢).

ويعقب الدكتور "الطبيب البكوش" على التغييرات الصوتية التى تحدث بالفعل الأجوف بأن : الفعل المسند إلى نائب الفاعل أو المبني للمجهول تكون عينه واقعة دائماً بين ضمة وكسرة (فُعِلَ) أى بين حركتين متنافرتين قصيرتين وهى من الحالات التى تسقط فيها العين إذا كانت واوًا أو ياءً.

قال ← قول ← قيل

(١) انظر : سيبويه : الكتاب، ج-٢، ص ٣٦٣، والمرد فى المقتضب، ج-١، ص ٢٤٤، والسيوطى : همع

الهوامع، ج-٢، ص ١٦٥.

(٢) خالد الأزهرى : التصريح على التوضيح، ج-٢، ص ٢٩٥.

باع ← بُيعَ ← بيع

نال ← نُيلَ ← نيل

وأن سقوط العين في هذه الأمثلة نتج عنه إدغام الحركة الأولى والضممة في الثانية (الكسرة) فأصبحت فاء الفعل متبوعة بكسرة طويلة لا فرق في ذلك بين الواو والياء والمشتك^(١).

ويعتمد الدكتور "البكوش" على ما ذكره صاحب لسان العرب في رأى للفرء رأس الكوفة «بنو أسد يقولون قول وقيل بمعنى واحد وأنشد.

وابتدأت غضبي وأمّ الرّحال وقول لا أصل له ولا مال

(قول) بمعنى قيل^(٢).

ويستدل بذلك على أن بعض العرب كانوا يحاولون التمييز بين الفعلين، وقد يكون ذلك من بقايا حالة قديمة كانت فيها العربية تميّز بين النوعين - إلا أن وجود الصيغتين (قول، وقيل) عند بنى أسد يدل على أن التطور سار نحو الخلط بين النوعين بتغليب الكسر وتعميمه - ذلك لأن العربية تميل إلى الكسرة كما كان لها أن تختار بينها وبين الضمة وتفضيل حركة العين على حركة الفاء^(٣).

٣- وإذا كان الفعل مضعفا ثلاثيا فالجمهور على ضمّ الفاء وذهب بعض الكوفيين إلى أن كسر أوله جائز ومثال ذلك ردّ الكتاب - وشدّ الحبل - وردّ الكتاب وشدّ الحبل. قالوا: والكسر لغة بنى ضبة ولغة بعض تميم وجوز "ابن مالك" الإشمام فيه أيضا ذكر ذلك في التسهيل^(٤).

(١) د. الطيب البكوش : التصريف العربى من خلال علم الأصوات. ص ١٥١، ١٥٢.

(٢) ابن منظور : لسان العرب، باب اللام.

(٣) د. الطيب البكوش : التصريف العربى من خلال علم الأصوات، ص ١٥٣.

(٤) انظر فى ذلك فى ابن مالك : التسهيل، ص ٧٥، وخالد الأهرى : فى التصريح على التوضيح، ج-٢،

ص ٢٩٦، والصّبّان فى حاشيته على الأثموني، ج-٢، ص ٦٣.

ونلاحظ أن "سيبويه" يُنصُّ على اطراد الكسر عند العرب يقول : «واعلم أنه لغة مطرّدة للعرب يجرى فيها فِعْلٌ من رَدَدَتْ يجرى فِعْلٌ من قُلْتُ وذلك قولهم قد رَدَّ وهَدَّ لما أسكنوا العين ألقوا حركتها على الفاء كما فِعْلٌ ذلك فى جِئْتُ وَبِعْتُ واعلم أن رَدَّ هو الأجود الأكثر»^(١).

وسوف نرى إن شاء الله فى التراكيب القرآنية أن قراءة الكسر قرأ بها علقة ويحيى بن وثاب فى قوله تعالى : ﴿هَذِهِ بَصَائِرُ رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾^(٢) . وغيرها من الآيات الكريمة ولا نرى ما ذهب إليه د. "الطيب البكوش بأن النطق الحجازى بضم أول المضاعف قد تغلب رغم شدوذه، لأن العرب تفضل الكسر على الضم ذلك لأن جمهور النحويين ذكر أن لغة الضم هى الأجود وهى الفاشية وأن لغة الكسر لغة لبعض العرب.

٤- أما الفعل المضارع : فحين يبنى للمفعول يُضَمُّ أوله ويفتح ما قبل آخره إذا كان صحيحاً مثل يُنْطَلِقُ - يُسْتَخْرَجُ - وقد يكون الأول مضموماً فيبقى على ضمه ويزاد عليه فتح ما قبل آخره مثل يُكْرَمُ - يُقَاتَلُ.

وقد يكون ما قبل الآخر مفتوحاً فيبقى على فتحه ويزاد عليه ضم الأول مثل يُلْعَبُ - يُتَقَاتَلُ.

وأما المعتل فهو مثل الصحيح فى ضم أوله وفتح ما قبل آخره. فإذا كان معتل العين مثل يبيع - يقول (نقول) يُقَالُ - يُنَاعُ. وإن كان معتل اللام مثل يمشى ويغزو - تُقَلَّبُ الياء والواو أَلْفَيْنِ لفتح ما قبلهما تقول يُغْزَى - يُسْقَى.

أما المضعف فهو كالصحيح فى ضم أوله وفتح ما قبل آخره تقول - فى يَرُدُّ الطالبُ الكتابَ - يَرُدُّ الكتابَ وأصله يُرْدِد.

(١) سيبويه : الكتاب، ج٢، ص ٤٠٠.

(٢) من الآية ٦٥ سورة يوسف.

وقد عُنيَ الصرفيون بالأفعال التي تأتي غالباً على صيغة المفعول والأفعال التي تأتي كثيراً للمجهول وقليلاً للمعلوم، قالوا :

١. هناك أفعال تأتي غالباً على صيغة المجهول، وقال بعضهم بأنه ليس لها معلوم ومنها : زُهِيَ - وعُنيَ - وزُكِمَ - وضُمَّ، وجُنَّ، وشُلَّ وشُدِّه - وامْتَقِعَ لونه - وفُلِحَ فلان - وأُغْمِيَ عليه، وعُمَّ الهلال، وأُهِّلَ الهلال، واستُهِّلَ - وشُدِّهَتْ عنه.

٢. هناك أفعال ورد لها مبنى للفاعل ولكن استعمالها للمفعول أكثر من المعلوم وذلك مثل بُهِتَ، وطُلَّ دَمُه (أُهلِدِر) وأُولِعَ باللهو - وسَقِطَ فى يده ونُفِسَتِ المرأة ونُتِجَتِ الناقة، وشُلَّتْ يده، ووُكِسَ - ونُكِبَ وقالوا منه زُهِيَ وعُنيَ وزُكِمَ.

ومن العلماء من أنكر المعلوم من هذه الأفعال الثلاثة^(١). وما ذكره الصرفيون يرتبط عندهم بمسائل منها مسألة الأصل والفرع فى البناء للمفعول والبناء للفاعل وقد اختلف البصريون والكوفيون فى ذلك :

١. جمهور النحويين البصريين : إن صيغة المفعول فرع عن صيغة الفاعل.

٢. قال الكوفيون والمبرد وابن الطراوة إلى أنهما بناءان مستقلان أى أصلان. ونسبه الرضى فى شرح الكافية لسيبويه.

وقد استدل من قال بأنهما بناءان مستقلان بتلك الأفعال التي وردت عن العرب ولم ينطق لها بفاعل مثل زُهِيَ وعُنيَ وجُنَّ.

وقالوا لو كان فرعاً للزم أن لا يوجد إلا حيث يوجد الأصل قال ابن البطليوسى : «إنا نجد أفعالاً مصبوغة للمفعول مخصصة به، لا حظ للفاعل فيها كقولهم : بُهِتَ الرجل ونُفِسَتِ المرأة ولذا، كما نجد أفعالاً مصبوغة للفاعل، لا حظاً

^(١) انظر فى تفصيل ذلك : سيبويه : الكتاب، جـ ٤، ص ٦٧، وابن سيدة فى المخصص، جـ ٥، ص ٧٢، ٧٣، وابن جنى فى الخصائص، جـ ٢، ص ٢١٩، وابن السيد البطليوسى فى شرح أدب الكتاب لابن قتيبة، ص ٣١٠، ٣١١، والميوطى فى المُنْزَهَر، جـ ٢، ص ٣٣٣.

فيها للمفعول، كقولهم جَلَسَ زيدٌ، وظَرَفَ عمرو، فدل هذا على أنَّ باب المفعول الذى لم يُسمَّ فاعله أصل قائم بنفسه»^(١).

وقد رُدَّ عليهم بأنَّ العرب قد تستغنى بالفرع عن الأصل بدليل أنه وردت جموع لا مفرد لها مثل مذاكير وأباطيل وأعاريض قال "أبو حيان": «وهذا الخلاف لا يجدى كبير فائدة»^(٢). ومنها أنه يمكن أن يفسر استخدام تلك الأفعال مبنية للمفعول بأنهم لا يريدون إسناد الفعل منها إلى فاعل، بل إلى مفعول باستخدام ظاهرة الاستغناء فقد استغنوا عن قَطَعَ بِـ "قُطِعَ" وإذا قالوا جُنَّ وشَلَّ فإنما يقولون: جُعِلَ فيه الجنون والسلول»^(٣).

ومنها أن تلك الأفعال تدل «غالبًا على الإصابة بالأمراض والطوارئ التى لا تدخل للإنسان فيها -أو التى يكون المصاب فيها أبدًا مقام الفاعل، ولا يكون فاعلاً مريدًا لفعله- ومن اللغويين من يقول إن هذه الأفعال بُنيت على المجهول اجتنابًا لنسبة المرض إلى فاعله فى هذا المقام، وهو الله تعالى، ولكنه سبب غير صحيح، لأن العربى قبل الإسلام يقول فى الدعاء: قاتله الله، وأهلكه الله وأبعده الله. ولا يتجنب نسبة الفعل إلى الله، مع أن القتل والهلاك والإبعاد أشد، ولا شك من الزكَّام، وأولى بالتحرز من ذكر الفاعل»^(٤).

(١) ابن السيد البطليوسى: الحلل فى إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودى، ص ٢١١.

(٢) السيوطى: جمع الموامع، ج٢، ص ١٦٤، ود. على محمد فائز، فى شرح المقرب لابن عصفور، ج١، ص ٥٧٠.

(٣) سيبويه: الكتاب، ج٤، ص ٦٧.

(٤) العقاد: أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب، ص ٦٧، ٦٨، ود. محمود سليمان ياقوت فى المبنى للمجهول فى الدرس النحوى والتطبيق فى القرآن الكريم، ص ٥٤، ٥٥.

ومنها أن هناك اضطراباً في أقوال اللغويين في تلك الأفعال ومثال ذلك الفعل (عُنِيَ) ذكرت المعاجم وكتب التصويب اللغوي أن له دَلَالَتَيْنِ أحدهما للمفعول والأخرى للفاعل.

قال "ابن قتيبة": «عُنِيَ بالشئ فأنا أعنى به، لا يقال عُنِيَ - ورد "ابن السيد" قد حكى "ابن الأعرابي" عُنِيَ بأمره وأنا به عاينٌ على مثال خَشِيتُ أخشى وأنا خاشٍ، والذي قاله ابن قتيبة هو المعروف وهذا نادر»^(١).

ولكن ابن منظور ذكر: «أن ابن برى يقول. إذا قلت عُنِيَ بِحاجتك فعُدَّته بالباء كان الفعل مضموم الأول فإذا عُدَّته بفي فالوجه فتح العين فتقول عُنِيَ وقال بعض أهل اللغة لا يقال عُنِيَ بِحاجتك إلا على معنى قصدتها من قولك عُنِيَ الشئ أعنيه إذا كنت قاصداً إليه، فأما من العناء وهو العناية، فبالفتح - نحو عنيت بكذا وعنيت في كذا وعنيت بحاجتك أعنى بها، وأنا بها معنى على مفعول وفي الحديث الشريف "من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه (أى لا يهتمه) ويقال هذا الأمر لا يعينى أى لا يشغلنى ولا يهمنى»^(٢).

وفي (زُهِيَ) ذكر "ابن منظور": «وَزُهِيَ فلان فهو مزهُوٌ إذا أعجب بنفسه وتكبر. قال "ابن سيده" وقد زُهِيَ على لفظ ما لم يُسَمَّ فاعله جزم به أبو زيد وأحمد ابن يحيى.

وحكى ابن السكيت زُهِيَتْ وَزَهَوَتْ...

قال وفيه لغة أخرى حكاه ابن دريد زها يزهو زهواً أى تكبر ومنه قولهم: ما أزهاه وليس هذا من زُهِيَ لأنَّ ما لم يُسَمَّ فاعله لا يتعجب منه»^(٣).

^(١) ابن السيد البطليوسى : الاقتضاب شرح أدب الكتاب، القسم الثانى، ص ٢١٩.

^(٢) ابن منظور : لسان العرب، باب الياء وانظر الفيومى : المصباح المنير كتاب العين.

^(٣) ابن منظور : لسان العرب، باب الياء.

وذكر الفيومى للفعل تركيباً آخر، قال : زها النخل يزهو زهواً والاسم الزُّهُو بالضم ظهرت الحمرة والصفرة فى ثمره»^(١).

وفى الفعل (شده)

قال "ابن منظور" «شده رأسه شذها : شدخه وشده الرجل شذها وشذها : شغل وقيل تحير والاسم الشداه.

"الأزهري" شده الرجل دھش فهو دھش ومشدوه شذها وقد أشده كذا.
"أبو زيد" شده الرجل شذها فهو مشدوه : دھش، والاسم الشده.
والشده - مثل البخل والبخل. وهو الشغل ليس يده وقال شده الرجل شغل لا غير.
قال "أبو منصور الأزهري" : لم يجعل شده من الدهش لما فطن بعض الناس أنه مقلوب منه، واللغة العالية دھش مع فعل. وأما الشده فالدال ساكنة»^(٢).

وفى الفعل (بُهِت) ذكر ابن السيد البطليوسى :

«قال ابن قتيبة : بُهِت الرَّجُلُ - وحكى عن "الكسائى" بُهِت بكسر الهاء وبُهِت على صيغة ما لم يُسم فاعله قال "ابن السيد" : يقال بُهِت على صيغة ما لم يُسم فاعله، وبُهِت بكسر الهاء وفتح الباء على مثال علمت، وبُهِت بضم الهاء على مثال ظُرف وبُهِت بفتح الهاء على مثال رددت حكى ذلك "ابن جنى"»^(٣).

ووضح اللغات المختلفة للفعل ابن منظور بقوله :

«بُهِت الرجل يبهته بَهْتًا وبَهْتًا وبُهْتَانًا، فهو بَهَاتٌ، أى قال عليه ما لم يفعل، فهو مبهور وبهته بَهْتًا أخذه بغتة والبَهْتُ الانقطاع والحيرة - رأى شيئاً فُبهِت ينظر

^(١) الفيومى : المصباح المنير كتاب الزاى.

^(٢) ابن منظور : لسان العرب، باب الهاء.

^(٣) ابن السيد البطليوسى : الاقتضاب شرح أدب الكتاب، القسم الثانى، ص ٢١٩.

نظرة المتعجب وقد بَهِتَ وبُهِتَ الخصم استولت عليه الحجة وفى التنزيل العزيز ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾^(١). تأويله انقطع وسكت متحيراً عنها.

"ابن جنى" : قراءة ابن السميع فَبُهِتَ الذى كفر، أراد فَبُهِتَ إبراهيمُ الكافر، فالذى على هذا فى موضع نصب قال وقرأ ابن حيوة فَبُهِتَ بضم الهاء لغة فى بَهِتَ قال وقد يجوز أن يكون بَهِتَ بالفتح لغة فى بَهِتَ بالكسر^(٢).
إذن لدينا لغات كثيرة لبعض الأفعال ولا يصح أن نأخذ حكماً عاماً لها ولكن نقول الغالب فيها كذا والقليل فيها كذا.

(١) من الآية ٢٥٨ سورة البقرة.

(٢) ابن منظور : لسان العرب، باب التاء.

(ب) المستوى النحوى :

قليل أن نبدأ فى أسباب حذف الفاعل وإقامته المفعول ومن يتوب عنه مقامه نلاحظ أنهم استخدموا مصطلحات كثيرة فى هذا الباب - ومنها بالنسبة للفعل المبني للمجهول - ونائب الفاعل.

فى المراحل الباكورة كان الكوفيون يذكرون مصطلح ما لم يُسمَّ فاعله^(١) والبصريون يذكرون «فعل مبني للمفعول»^(٢).

أما مصطلح المبني للمجهول فلم يأت إلا فى مرحلة متأخرة.

أما مصطلح (نائب الفاعل) فقد استخدمه أول الأمر (ابن مالك) م ٦٧٢هـ^(٣). وكان النحويون قبله يستخدمون مصطلحات «المفعول الذى لم يُسمَّ من فعل به»^(٤).

واسم ما لم يُسمَّ فاعله^(٥) والمفعول الذى لم يُسمَّ فاعله والقائم مقام الفاعل^(٦).

ونلاحظ أن بعض النحويين يشيرون إلى أن مصطلح (نائب الفاعل) أول من مصطلح (مفعول ما لم يُسمَّ فاعله : ويذكر ابن هشام لذلك علتين :

(١) الفراء : معانى القرآن، ج٢، ص ٢١٠، ج١، ص ١٠٢، ١١٤، ٣٠١، ويذكر الفراء أيضًا مصطلح الفعل الذى لم يُسمَّ فاعله انظر معانى القرآن له، ج٢، ص ٩٢، ٣٣٢، وانظر ابن خالويه فى الحجة للقراءات السبع، ص ١٩٠.

(٢) الميرد : المقتضب، ج٤، ص ٥٠، وابن السراج فى الأصول، ج١، ص ٧٦، وابن عصفور فى المتع، ج١، ص ٤٥١، والسيوطى : همع الموامع، ج٢، ص ٢٦٨.

(٣) ابن مالك : التسهيل، ص ٧٧، وخالد الأزهرى : فى شرح التصريح، ج١، ص ٢٦٨.

(٤) ابن السراج : الأصول، ج١، ص ٧٦، وابن المحاسن : فى شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص ١٥٥.

(٥) ابن خالويه : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص ١٥١.

(٦) الميرد : المقتضب، ج٤، ص ٥٠، والزبيدى : فى الواضح علم العربية، ص ٦٦.

١. إن النائب عن الفاعل يكون مفعولاً وغيره.
٢. أن المنصوب في قوله «أعطى زيدٌ ديناراً يصدق عليه أنه مفعول للفعل الذي لم يُسمَّ فاعله وليس مقصوداً لهم»^(١).

وقد ناقش النحويون أسباب حذف الفاعل كما يلي :
قال "الكمال الأنباري" : إن قال قائل لم لم يُسمَّ الفاعل ؟
قيل : لأنَّ العناية قد تكون بذكر المفعول، كما تكون بذكر الفاعل وقد تكون للجهل بالفاعل وقد تكون للإيجاز والاختصار إلى غير ذلك^(٢).

وقد قسم النحويون أغراض حذف الفاعل إلى :
أ- أغراض لفظية
ب- أغراض معنوية.

أما أهم الأغراض اللفظية :

١. إقامة الوزن : مثل قول "الأعشى" :

عُلِّقَتْهَا عَرْضًا ، وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي ، وَعُلِّقُ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ
وقول عنتره :

وَإِذَا شَرِبْتَ فَإِنِّي مُسْتَهْلِك مَالِي ، وَعَرَضُ وَإِفْرُ لَمْ يُكَلِّمْ

٢. توافق القوافي : مثل قول "البید بن ربیعہ" :

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

٣. تقارب الأسجاع : مثل قول بعض الفصحاء :

مَنْ طَابَتْ سِرِيرَتُهُ حُمِدَتْ سِرِيرَتُهُ

^(١) ابن هشام : شرح شذور الذهب، ص ١٥٩، وانظر : د. محمود سليمان ياقوت في المبني للمجهول

في الدرس النحوي، ص ١٥، ١٦.

^(٢) كمال الدين الأنباري : أسرار العربية، ص ٨٨.

٤. الإيجاز : مثل قوله تعالى ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾^(١).

أما أهم الأغراض المعنوية :

(١) الجهل بالفاعل : مثل قولك قُتل الرجل - قالوا ومنه قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ

لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾^(٢). فإنه ليس معروفاً للمخاطب من

زين لفرعون سوء عمله ومن صدّه عن السبيل نفسه أم الشيطان أم حاشيته، وفيه قول الخطيب على المنبر «رُوي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذا وكذا فهو لا يعرف الراوى»^(٣).

(٢) الإيهام : وهو أنك تعرف الفاعل ولكنك تقصد إخفاءه وتسره خوفاً عليه مثل قولك قُتل زيدٌ ولا تذكر القاتل لأنه قريب لك خوفاً عليه.

(٣) تعظيم الفاعل : وذلك إذا كان المفعول حقيراً فترفع عن ذكر الفاعل مثل :

قوله تعالى : ﴿قُلِ الْخِرَاصُونَ﴾^(٤).

وقوله تعالى : ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾^(٥).

وقوله تعالى : ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾^(٦).

(١) من الآية ١٢٦ سورة النحل، وانظر : الجزولي في المقدمة الجزولية في النحو تحقيق د. شعبان عبد الوهاب محمد، ص ١٤١ والصبان في حاشيته على الأشعري، ص ٢٠، و٦١، وخالد الأزهرى : فنى شرح التصريح على التوضيح، ج ١، ص ٢٨٦.

(٢) من الآية ٣٧ سورة غافر.

(٣) د. على محمد فاخر : شرح المقرب لابن عصفور، ج ١، ص ٥٧٢.

(٤) الآية ١٠ سورة الداريات.

(٥) الآية ٢١ سورة الفجر.

(٦) من الآية ٢٣ سورة الفجر.

وقوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾^(١).

فالفاعل فى الأفعال السابقة وهو مقام العزة (لفظ الجلالة) ولم يذكر بجوار المفعول وهو ذلك الأرض ومجئ جهنم وسوق الذين كفروا والخراصون ترفعاً^(٢).

(٤) تحقيق الفاعل : وذلك إذا كان المفعول جليل القدر مثل قولك طعن عمر -رضى الله عنه- ولم تذكر العلج الذى طعنه إجلالاً لعمر -رضى الله عنه- وقولك قتل الحسين بن على -رضى الله عنهما- وأذى بلال بن رباح -رضى الله عنه.

(٥) مراعاة غرض السامع : وذلك إذا كان السامع لا غرض له فى ذكر الفاعل بل يكون متعلقاً بالمفعول لا غير أو أن الفاعل لا يهيمه فى شىء.

مثل قوله تعالى : ﴿سُغِيَ هَذِهِ بَضَاعَتَنَا رُدَّتْ﴾^(٣).

وقوله تعالى : ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ﴾^(٤).

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا حُيِمَ بِحَيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾^(٥).

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾^(٦).

وقوله تعالى : ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٧).

(١) من الآية ٧١ سورة الزمر.

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل، ج٧، ص ٦٩، وانظر ابن فارس : فى الصحاح، ص ١٦٩.

(٣) من الآية ٦٥ سورة يوسف.

(٤) من الآية ١٠٢ سورة الصافات.

(٥) من الآية ٨٦ سورة النساء.

(٦) من الآية ١١ سورة المحادلة.

(٧) من الآية ٢٨ سورة النساء.

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا﴾^(١) .

وقوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾^(٣) .

وقوله -صلى الله عليه وسلم- «نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مسيرة شهر» .

وقد عقب ابن هشام على هذه الأغراض من أقوال النحويين وهذا من تطفل النحويين على صناعة البيان «أى ما يشمل علم المعانى»^(٤) .

ما ينبو عن الفاعل :

ذكر النحويون أن الذى ينبو عن الفاعل أربعة أشياء :

(١) المفعول به (٢) الجار والمجرور

(٣) الظرف المتصرف المختص (٤) المصدر المختص .

أولاً : المفعول به :

المفعول به هو أولى بالنيابة عن الفاعل عند جمهور البصريين مع وجود غيره أما الكوفيون وتبعهم ابن مالك فيرون أنه يجوز إقامة المفعول به وإقامة غيره^(٥) .

(١) من الآية ٧٣ سورة الحج .

(٢) الآية ١ سورة التكويد .

(٣) الآيتان ٣ ، ٤ سورة الانفطار .

(٤) الصبان : حاشية الصبان على الأشموني ، جـ ٢ ، ص ٦١ .

(٥) انظر فى تفصيل هذه الحالات :

الجزولى : فى المقدمة الجزولية فى النحو ، ص ١٤٢ .

والرضى : فى شرح الكيفية ، جـ ١ ، ص ٨٤ ، وابن يعيش : فى شرح المفصل ، جـ ٧ ، ص ٧٤ .

وقد قسم النحويون الأفعال التي لا تتعدى والأفعال التي تتعدى إلى مفعول أو إلى اثنين أو إلى ثلاثة بالنسبة لنيابة الفاعل فيها كما يلي :

(أ) الفعل اللازم :

جمهور النحويين يرون أن الفعل اللازم لا يبنى للمفعول إلا إذا تعدى بحرف الجر فيجوز بناؤه للمجهول.

ويذكر "ابن السراج" «أن الأفعال التي لا تتعدى لا يبنى منها فعل للمفعول لأن ذلك : محال : نحو قام وجلس لا يجوز أن تقول قيم زيدٌ، ولا جُلسَ عمرو، إذ كنت إنما تبني الفعل للمفعول، فإذا كان الفعل لا يتعدى إلى مفعول، فمن أين لك مفعول تبنيه له»^(١).

أما "الكمال الأنباري" فيقول عن الفعل اللازم : لا يجوز ذلك على القول الصحيح، وقد زعم بعضهم أنه يجوز، وليس بصحيح، إلا أنك لو بنيت الفعل اللازم للمفعول به، لكنت تحذف الفاعل، فيبقى الفعل غير مستند إلى شيء، وذلك محال فإن اتصل به ظرف الزمان، أو ظرف المكان، أو المصدر أو الجار والمجرور جاز أن تبنيه عليه، ولا يجوز أن تبنيه على الحال الذي لا يقع إلا نكرة، فلو أقيمت مقام الفاعل لجار إظهارها «كالفاعل فكانت تقع معرفة والحال لا تقع إلا نكرة»^(٢).

وغالب رأى النحويين أن الفعل اللازم لا يبنى للمفعول إلا إذا تعدى إلى المجرور وشذَّ عن ذلك ابن هشام.

قال "الخضري" : «وفي مثل انطلق - انطلقَ صريحه عند ابن هشام بناء اللازم للمجهول وقد منعه أكثرهم مطلقاً ولا يرد عليهم قراءة «وأما الذين سَعِدُوا» بضم السين لحكاية "الكسائي" سعد متعدياً ومنعه "أبو البقاء" فيما لا يتعدى بحرف

(١) ابن السراج : الأصول في النحو، ج ١، ص ٧٧.

(٢) الكمال الأنباري : أسرار العربية، ص ٩٣.

كقام وجلس إذ لو بنى لبقى الفعل خبرًا بلا مخبر عنه بخلاف ما يتعدى به فيجوز كمرّ به وقيل يجوز مطلقًا»^(١).

(ب) إذا كان الفعل متعديًا إلى مفعول واحد فالمفعول به هو النائب مثل كسر الطفل الزجاج تقول كسر الزجاج.

(ج) إذا كان الفعل متعديًا إلى مفعولين فله أحوال.

١. إذا كان الفعل متعديًا إلى مفعولين الأول منصوب على نزع الخافض والثاني متعد بنفسه ففيه أقوال أصبحها كما قال "أبو حيان الأندلسي" تعيين المتعدى بنفسه وامتناع إقامة الثاني نحو اخترت الرجال زيدًا تقول اخترت الرجال زيدًا لأن أصله اخترت من الرجال زيدًا وبه ورد السماع. فإن لم يذكر المفعول جاز أن يقوم مقام الفاعل.

قال "الفرزدق" :

مِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرَّجَالُ سَمَاحَةً

وَجُودًا إِذْ هَبَّ الرِّيحُ الرَّعَازُغُ

وقال "الرضي" : «ومنع الجزولي نيابة المنصوب لسقوط الجار مع وجود المفعول به المنصوب من غير حذف الجار في مثل أمرتك الخير والوجه الجواز لالتحاقه بالمفعول الصريح»^(٢).

(١) الخضرى : حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل، ج١، ص ١٦٨.

وانظر الرضى فى شرح الكافية، ج١، ص ٨٣، وابن يعيش : فى شرح المفصل، ج٧، ص ٧٢.

(٢) انظر فى تفصيل هذه الحالات :

الجزولى : المقدمة الجزولية فى النحو، ص ١٤٣، والرضى : فى شرح الكافية، ج١، ص ٨٤، والسيوطى : فى جمع الهوامع، ج١، ص ١٦٢.

(٢) إذا كان الفعل يتعدى إلى مفعولين (أصلهما المبتدأ والخبر) (ظن وأخواتها) ففى من يقوم مقام الفاعل أقوال :

«فجمهور النحويين على أنه يمنع إقامة المفعول الثانى وإن أمن اللبس فلا يجوز عندهم ظُنَّ زيدًا قائمٌ وذكر ابن مالك أن ذلك جائز وفقًا لابن طلحة وابن عصفور فإن حدث لبس امتنع إقامة الثانى مثل ظُنَّ صديقك زيدًا أو كان جملة أو ظرفًا مثل ظن فى الدار زيدًا وظُنَّ زيدًا أبوه قائم»^(١).

وإن كان الفعل يتعدى إلى مفعولين (ليس أصلهما المبتدأ والخبر) «ففى إقامة المفعول الثانى دون الأول أقوال أصحابها وعليه الجمهور الجواز إذا أمن اللبس نحو أعطى درهم زيدًا والأحسن إقامة الأول نحو أعطى زيدٌ عمرًا:

والثانى: المنع مطلقًا والثالث: المنع إن كان نكرة والأول معرفة والرابع: إنه قبيح حيثنذ (أى إذا كان نكرة والأول معرفة وإن كان معرفة كالأول كانا فى الحسن سواء وعزى للكوفيين»^(٢).

وإذا كان الفعل متعد إلى ثلاثة مفاعيل من باب أعلم وأرى «فيمنع إقامة الثالث وذكر الخضرأوى وابن الربيع أن هذا باتفاق لكن قال أبو حيان الأندلسى أن صاحب المخترع حكى جوازه وعن بعضهم بشرط أن لا يلبس نحو أعلم زيدًا كبَشَكَ سمين وهو مقتضى كلام السهيلي وجزم به ابن هشام فى الجامع»^(٣).

ثانيًا : الجار والمجرور :

قالوا ينوب الجار والمجرور عن الفاعل سواء أكان الفعل لازمًا للبناء

^(١) انظر : فى تفصيل هذه المسألة :

السيوطى : فى جمع الموامع، ج١، ص ١٦٢، والصبان فى حاشيته على الأشمونى، ج٢، ص ٦٨، وابن يعيش : فى شرحه على المفصل، ج٧، ص ٧٦، والرضى : فى شرح الكافية، ج١، ص ٨٤.

^(٢) السيوطى : جمع الموامع، ج١، ص ١٦١.

^(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٢.

للمفعول أم لا فالأول مثل قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾^(١) والثاني نحو قولك سير يزيد لأن المجرور بالحرف مفعول به وفي المعنى فتَصَحَّحَ نيابته عن الفاعل هذا مذهب الجمهور.

أما السهيلي وابن درستويه فذهبوا إلى عدم نيابة الجار والمجرور وما أوهم ذلك يقدر فيه ضمير المصدر الممهور من الفعل أو ضمير مبهم يعود لما دلَّ عليه الفعل من حدث أو زمان أو مكان والمختار مذهب البصريين^(٢).

وتفصيل ذلك : إن المجرور إذا جر بحرف زائد فلا خلاف في إقامته مقام الفاعل وأنه في محل رفع نحو ما ضرب من أحد فإن جر بغيره فقد اختلف النحويون فيه على أقوال.

١. رأى البصريين وتبعهم ابن عصفور أن المجرور في محل رفع هو النائب عن الفاعل مثل سِيرَ يزيد كما لو كان الجار زائداً.

٢. رأى الكوفيين وتبعهم ابن مالك، أن القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور وذهب الفراء وحده إلى أن القائم مقام الفاعل هو حرف الجر وحده وقيل هذا لا يعقل ومرغوب عنه.

وذهب الكسائي وهشام إلى أن نائب الفاعل هو ضمير مبهم مستتر في الفعل ومنهم من ذهب إلى أن مرفوع الفعل ضمير غائب على المصدر وقد تابعهما في ذلك السهيلي وابن درستويه.

والمختار عند النحويين هو رأى البصريين أن المجرور هو الذي يقوم مقام الفاعل^(٣)

(١) من الآية ١٤٩ سورة الأعراف.

(٢) خالد الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح، ج٢، ص ١٦٨.

(٣) انظر في تفصيل هذه المسألة :

ابن عصفور في المقرب : شرح د. على محمد فاخر القسم الأول الجزء الأول، ص ٥٨١، ٥٦٢، والسيوطي: في جمع الهوامع، ج١، ص ٣٦٣، والصبان : في حاشيته على الأشموني، ج٢، ص ٦٤.

ثالثاً : الظرف المختص :

قالوا وينوب عن الفاعل أيضاً الظرف المختص نحو صيم رمضان وجلس
أمام الأمير ولا ينوب مثل عندك ومعك وثم فلا يقال جلس عندك ولا معك ولا ثم
ويمتنع نيابة المكان والزمان إذا لم يفد بالتخصيص فلا يقال جلس مكان ولا صيم
زمان فإذا قلت جلس مكان حسن وصيم زمان طويل لحصول الفائدة جاز
للاختصاص بالوصف وأجاز الأخفش الأوسط (جلس عنده)^(١).

وقد ناقش "الكامل الأنباري" أسباب نيابة الظرف فقال «فإن قيل فلم إذا
أقيم الظرف مقام الفاعل يخرج عن الظرفية ويجعل مفعولاً به كزيد وعمرو وما أشبه
ذلك؛ قيل لأنه يتضمن معنى حرف الجر، فلو لم ينقل لعلقته بالفعل مع تضمن حرف
الجر فالفاعل لا يتضمن حرف الجر فكذلك ما قام مقامه»^(٢).

وقد أعطى "سيبويه" أمثلة لظرف المكان والزمان وما يصلح فيهما أن يقوم
مقام الفاعل.

قال : «إن قلت «سير عليه سحر» لا يحسن في (سحر) إلا أن يكون ظرفاً
وهو غير متصرف ولا متصرف، والذي منعه من الصرف أنه معدول عن الألف
واللام، ومعناها فيه، وغير عن لفظ ما فيه الألف واللام وهو معرفة، فاجتمع فيه
التعريف والمعدول فلم ينصرف والذي منعه من التصرف وقصره عن الظرف خاصة
أنه عُرف من غير وجه التعريف وإنما صار (سحر) معرفة بوضعك إياه هذا
الموضع»^(٣).

(١) محالد الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح، ج١، ص ١٦٩.

(٢) الكامل الأنباري : أسرار العربية، ص ٩٣، ٩٤.

(٣) سيبويه : الكتاب، ج١، ص ٢٢٥.

وانظر د. محمود سليمان ياقوت : في شرح جمل كتاب سيبويه، ج١، ص ١٠٨.

أما إذا قلت «سير عليه سَحَرٌ من الأسحار فسَحَرٌ نكرة وهو مرفوع منوّن، لأنك أردت سحرًا من الأسحار فأصبح متمكنًا فى هذا الوضع، وكذا تحقيره (تصغيره) إذا عينت سحر ليلته تقول : سير عليه سُحِيرًا فقد جعله التصغير مصروفًا، لأن الصيغة التى استقر العدل عليها قد زالت بالتصغير.

وإذا قلت صيدَ عليه صباحًا وصيدَ عليه مساءً، وصيدَ عليه عشيةً، صيدَ عليه عشاءً - فالظروف متمكنة فى تلك الجمل - إذ المراد عشاء يومك ومساء ليلتك لأنهم لم يستعملوه على هذا المعنى إلا ظرفًا^(١).

قال سيبويه : «ومن الاتساع فى الظرف :

نقول : صيدَ عليه يومان، ولدَ لَهُ ستون عامًا، وسير عليه اليوم، واليوم مرفوع وأنت تعنى السير فى بعضه، وهذا على سبيل الاتساع»^(٢).

ونلاحظ أن الكوفيين يجوزون فى الأمثلة السابقة الوجهين وأجاز الأخفش الأوسط نيابة الظرف غير المتصرف مع بقاءه على النصب على الظرفية وكونه فى محل رفع.

وخرج عليه قوله تعالى : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(٣).

وقول طرفة بن العبد :

فيا لك من حاجة حيل دونها وما كل ما يهوى امرؤ هو قائله^(٤).

^(١) الأعلام الشنتمرى : النكت فى تفسير كتاب سيبويه، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، جـ ١،

ص ٣١٨.

^(٢) سيبويه : الكتاب، جـ ١، ص ١٧٦.

^(٣) من الآية ٥٤ سورة سبأ.

^(٤) خالد الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح، جـ ١، ص ٢٩٠.

رابعاً : المصدر المختص :

ينوب المصدر المختص عن الفاعل والمراد بالمختص بصفة أو نحوها نحو قوله تعالى : ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾^(١).

ويعتنع سير سير لعدم الفائدة خلافاً لمن أجازوه كالكسائي وهشام فيما نقل ابن السيد أنهما أجازا جُلِسَ بالبناء للمفعول وفيه ضمير مجهول^(٢).

قالوا ولا ينوب من المصادر التي لا تتصرف مثل معاذ الله وسبحان الله وحنانيك لأن في نياية الظروف، والمصادر تجوزاً بإسناد الفعل إليها فمن كان منها متصرفاً قبل إسناد الفعل إليه حقيقة، فيقبل إسناده إليه مجازاً، وما كان منها غير متصرف لم يقبل الإسناد إليه حقيقة، فلا يقبله على جهة المجاز^(٣).

وقال "الكمال الأنباري" : فإن قيل «المصدر لا يتضمن حرف الجر فهل يُنقل أم لا ؟ قيل : اختلف النحويون في ذلك، فذهب بعضهم إلى أنه لا ينقل، لأنه ليس بينه وبين الفعل واسطة، وذهب آخرون إلى أنه ينقل، واستدلوا على ذلك من وجهين :

أحدهما أن الفعل لا بد له من الفاعل، والمصدر لو لم يذكر لكان الفعل دالاً عليه بصيغته، فصار وجوده وعدمه سواء والفاعل لا بد منه، فكذلك ما يقوم مقامه ينبغي أن يجعل بمنزلة المفعول الذي لا يستغنى بالفعل عنه.

والوجه الثاني : إن المصدر إنما يذكر تأكيداً للفعل، ألا ترى: أن قولك سرت سيراً بمنزلة قولك «سرت سرت» فكما لا يجوز أن يقوم مقام الفاعل، فكذلك لا يجوز أن يقوم مقامه ما كان بمنزلة، فهذا أوجب نقل المصدر^(٤).

(١) الآية ١٣ سورة الحاقة.

(٢) خالد الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح، ج ١ ص ٢٨٩.

(٣) المصدر نفسه : ج ١ ص ٢٨٧.

(٤) الكمال الأنباري : أسرار العربية، ص ٩٤.

وقد أعطى سيويه أمثلة للمصادر التى تقوم مقام الفاعل والمصادر التى لا تقوم ومنها قوله وتقول ضُربَ به ضرباً عنيفاً، فقد شغلت الفعل (ضُربَ) بضمير المصدر وهو الجار والمجرور (به) الذى أصبح نائباً للفاعل، لذلك كان المصدر منصوباً.

وكذلك سير عليه سيراً شديداً.

وتقول : قد خيف منه خوفاً.

معنى الجملة : قد خيف منه أمر أو شيء، وقد دل المصدر (خوف) على هذا المعنى وكذلك قد قيل فى ذلك قول والمعنى قد قيل فى ذلك خير أو شر. وتقول : ذُهِبَ به مذهبٌ وسُئِلَ به مَسَلٌ فمذهب ومسلك مرفوعان وهما ليسا بمنزلة المصدر الذهاب والسلوك، وإنما هو الوجه الذى يسلك فيه والمكان الذى يذهب إليه (اسم المكان) وهو بمنزلة قولك : ذهب به السُّوقُ وسُئِلَ به الطريقُ^(١).

ومما يتصل بهذه الأمثلة ناقش النحويون حكم المصدر المنوى وهو ما لا يكون مذكوراً فى الكلام بل يكون ضميراً يعود على ذلك المصدر المفهوم من الفعل. مثل قيل أى القول وسير أى السير وذُهِبَ أى الذهاب.

أجاز ذلك قوم وأسندوه إلى سيويه، ولكن ابن مالك منعه وبرأ سيويه منه وحمل لكلام سيويه محملاً آخر يقول : «إن الفعل لا يدل على المصدر المختص ولا المحدود، وإنما يدل على الذى لمجرد التوكيد، والذى لمجرد التوكيد لا فائدة فى الإسناد إليه، وهو ملفوظ به فكيف إذا نوى ولم يلفظ به قال ابن خروف لا يميز أحدٌ من النحويين ردّ الفعل إلى ما لم يُسمَّ فاعله على إضمار المصدر المؤكد فى هذا

^(١) سيويه : الكتاب، ج١، ص ٢٣٣، ٢٣٤، وانظر : د. محمود سليمان ياقوت : فى شرح مهمل كتاب

الباب، والذي أحازه سيبويه لا يمنعه بَشْرٌ وهو إضمار المصدر المقصود مثل أن يقال
لمتوقع القعود قد قعد ولمتوقع السفر قد سافر أى قعد القعود وسافر السفر الذى
ينتظر وقوعه، والفعل لا يدخل على هذا النوع من المصادر الدال عليه الآخر هكذا
قال "ابن خروف" وهو الصحيح^(١).

ولكن ما قاله ابن مالك ليس على إطلاقه فقد ذكر كثير من الكوفيين
وبعض المصريين بأن المصدر المنوى يقوم مقام الفاعل وقد ذكر ذلك فى شواهد
كثيرة فى القرآن العظيم نتحدث عنها إن شاء الله فى فصل (المصدر ونيابته عن
الفاعل).

خامساً : قال النحويون وإذا وجد المفعول به فلا يجوز إقامة غيره هذا رأى
البصريين فحين نقول : جلد القاضى الرجل أمام الناس عشرين جلدة فى المسجد :
تبنى الجملة للمفعول فتقول : جُلِدَ الرَّجُلُ أمام الناس عشرين جلدة فى المسجد أما
الكوفيون ووافقهم ابن مالك على أنه يجوز إقامة المفعول به وإقامة غيره فى وجوده.
واستدلوا على ذلك بقراءة أبى جعفر يزيد بن القعقاع فى قوله تعالى :
﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢) فأقام المجرور مع وجود المفعول^(٣).

قال "ابن يعيش" عن قراءة أبى جعفر فقيه إشكال وذلك لأنه أقام المصدر
مقام الفاعل لدلالة الفعل عليه وتقديره (ليجزى الجزاء قوماً بما كانوا يكسبون) وهو
شاذ قليل^(٤).

ومنه أيضاً من قرأ فى قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَبِجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

(١) ابن مالك : شرح التسهيل، ص ١٢٥.

(٢) من الآية ١٤ سورة الجاثية.

(٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحیط، ج٨، ص ٤٥.

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل، ج٧، ص ٧٤.

(٥) من الآية ١٠٣ سورة يونس.

بنون واحدة وتشديد الجيم وكسرها وسكون الياء وفتحها فأقيم ضمير المصدر مع وجود المفعول^(١).

ومنه قول جرير :

ولو ولدت قفيرة جَرَوْ كَلْبِي

لَسُبَّ بِذَلِكَ الْجَرَّوَالْكَلَابَا.

«وقد حملة بعضهم على الشذوذ من إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به وهو الكلاب وتأوله بعضهم بتأويلات أخرى»^(٢).

ومنه قول "رؤبة" :

لَمْ يُعَنَّ بِالْعَلِيَاءِ إِلَّا سَيِّدًا

وَلَا شَفَى ذُو الْغَىِّ الْإِذْوَهِدَى

فأقام الجار والمحرور مقام الفاعل مع وجود المفعول به وهو (سيِّدًا) ومنه قول يزيد بن القعقاع (أحد القراء العشرة).

أَتِيحَ لِي مِنَ الْعَدَا نَذِيرًا بِهِ وَقِيْتُ الشَّرَّ مُسْتَطِيرًا

فأقام الجار والمحرور (من العدا) مقام الفاعل مع وجود المفعول به (نذيرا) وذهب الأخفش الأوسط إلى أنه إذا تقدم المفعول به الكلام وجبت إنابته مثل رأى البصريين، وإن تقدّم غيره جازت إنابته مثل رأى الكوفيين وعلى هذا فلا أخفش رأيان^(٣).

^(١) أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط، ح ٥، ص ٣٥٥، وقال أبو حيان : قراءة فتح الياء لعاصم وابن عامر، وقراءة تسكينها لمجاهد والحسن.

^(٢) ابن عصفور : شرح المقرّب للدكتور على محمد فاخر، القسم الأول، ص ٥٨٤.

^(٣) المصدر نفسه : القسم الأول، الجزء الأول، ص ٥٨٤.

والحق أن الآيات القرآنية الكريمة ذكر فيها المبنى للمفعول وأقيم فيها المفعول مقام الفاعل مع وجود غيره كما سنرى إن شاء الله تعالى.

سادساً : قال النحويون : وإذا فقد المفعول به وبقي (المصدر - الظرف - الجار والمجرور) فأيهما أولى قيل يختار إقامة المصدر وعليه ابن عصفور وقيل يختار إقامة ظرف المكان وعليه أبو حيان الأندلسي ووجهه بأن المجرور في إقامته خلاف والمصدر في الفعل دلالة عليه فلم يكن في إقامته كثير فائدة - وكذا ظرف الزمان لأن الفعل يدل على الحدث والزمان معاً يجوهره بخلاف المكان فإنما يدل عليه دلالة لزومه كدلالة على المفعول به فهو أشبه به من المذكورات فكان أولى به من الزمان. وذهب ابن مُعْطَرٍ بأن المختار إقامة المجرور^(١) والحق أن السياق والمعنى هو الذى يحدد من الذى يقوم مقام الفاعل كما سنرى فى الآيات القرآنية الكريمة.

(ج) المبنى للمجهول عند علماء اللغة المحدثين :

عنى علماء اللغة المحدثين بمباحث المبنى للمجهول والمبنى للمعلوم منذ أن كتب تشومسكى أصول نظريته اللغوية عام ١٩٥٧م فقد أشار إلى قوانين وطرق التحليل النحوى المتصلة به.

وتنقسم القوانين التحويلية إلى قسمين : إجبارية واختيارية -وبذلك يمكن للنحو التحويلي التوليدى أن يولد جملاً مبنية للمجهول من جمل مبنية للمعلوم بالقوانين التحويلية -وهى قوانين إجبارية- ولكننا لسنا مضطرين إلى تحويل جهة مبنية للمعلوم إلى مبنية للمجهول.

وإذا كان "تشومسكى" قد طور طريقته فى كتابه جوانب من نظرية النحو Aspects of theory of syntax 1964 حيث أضاف صندوقاً للقواعد أسماه

(١) الرضى : شرح الكافية، ج١، ص ٨٥.

والصان : فى حاشيته على الأشتونى، ج٢، ص ٩٨.

العنصر الدلالى أى أن معنى الجملة يجب أن يخضع أيضًا للتحليل الدقيق أى أن الدلالة يجب أن تكون جزءًا أساسيًا فى التحليل النحوى ومن ثم فإن النحو عنده إنما هو نظام من القواعد يربط معنى كل جملة بولدها بالتمثيل الفيزيقي لها بالأصوات وهذه الطريقة يمكن أن تولد عددًا غير محدود من البنى العميقة للجملة^(١).

وقد أشار ف. بالمر F.R. Palmer إلى العلاقات القواعدية فى النحو التحويلي، فذكر أن هذه العلاقات القواعدية مهمة أيضًا عندما ننظر فى تصنيف البناء (المعلوم المجهول) فى كثير من اللغات.

فإذا قرأنا الجملتين :

John played piano.

The piano was played by John.

فمن الواضح أن The piano مفعول به فى الجملة الأولى ونائب فاعل فى الجملة الثانية المجهولة أما الاسم John فهو فاعل فى الأولى ويرد فى تعبيرة الجر فى الثانية. واعتمادًا على السليقة يمكن القول أن مفعول الجملة المعلومه يصبح فاعل الجملة المجهولة فى حين أن الفاعل يتحرك إلى موقع معين فى عبارة الجر. وبلغت البنى العميقة، نعد جون الفاعل العميق والبيانو المفعول به العميق، ونسمح للقوانين التحويلية بأن تضعها فى مكانها الصحيح والمختلف فى البنى السطحية للجمل المعلومه والمجهولة على الرغم من أن الفاعل والمفعول فى الجمل المعلومه يردان فى الموقع نفسه فى البنيتين العميقة والسطحية^(٢).

ويرى "بالمر" «أن الاختلافات الشكلية بين الجمل المعلومه والمجهولة تتباين جذريًا فى اللغات المختلفة وعلى الرغم من أن لمعظمها تحويلات تتضمن حركة

(١) د. عبده الراجحي : النحو العربى والدرس الحديث، ص ١٣٧، وانتظر : د. محمود سليمان ياقوت:

البنى للمجهول فى الدرس النحوى والتطبيق فى القرآن الكريم، ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) ف. بالمر F. R Palmer : علم الدلالة، ترجمة محمد عبد الحليم الماشطة، ص ١٥٦.

العبارات الاسمية، فإن الحركات مختلفة من لغة إلى أخرى، فى حين أن لغات أخرى لا تحرك التعبيرات الاسمية فى الهندية مثلاً تتغير صيغة الفعل بدون تحريك الأسماء»^(١).

ويؤكد "المُر" أن المفعول فى جميع الأحوال يصبح نائباً للفاعل فى الجملة المجهولة فى كثير من اللغات ولكنه وجد أن بعض اللغات تسمى باللغات اللازمة argative (نسبة إلى الفعل اللازم) مثل الباسك والاسكيمو والجورجية التى تكون فيها الجملة الاسمية المصاحبة للفعل اللازم (أى فاعل الفعل اللازم) مطابقة لما نعهده مفعولاً به للفعل المتعدى أما فاعل الفعل المتعدى فيكون فى حالة مغايرة.

ويرى أن الحل فى رأى بعض اللسانين أنه يمكن معالجة تمييز التعدية بموجب التسبب، باعتبار الصيغة التعدية نسبية للصيغة الأساسية غير التعدية، فجملة جون دق الجرس تفسر بإنها جون جعل الجرس يدق وتوضح هذه الفكرة فى جملة جون قتل بل - جون جعل بل يموت إلا أن هناك اعتراضاً على ذلك^(٢).

وقد اعترض بعض الباحثين على ما قدمه تشومسكى فى التحويل عن طريق المبنى للمجهول ومنهم روبنسون Robinson الذى يرى أن الحصر الذى قدّمه تشومسكى للتحويل عن طريق المبنى للمجهول قد نال استحسان أتباع النحو التقليدى، دون جدل أو مناقشة من جانبهم، لكن هذا الحصر غير مفيد، لأنه فصل بين : التركيب، والدلالة، بالإضافة إلى إعاقته للوضع المنطقى للمبنى للمجهول وهناك بعض التحويلات التى يتصل بالاستفهام ومعناه السؤال، والنفى ومعناه النفى، وقد أوضح أن التحويل يجب أن يقدم علاقات تركيبية يمكن تحديدها دلاليًا، كما قال ذلك أيضًا كيتس Katz ولكن هذا لم يتحقق فى المبنى للمجهول، فقدّم تشومسكى و كيتس أمثلة، واستعملتا التقديرات، لأن المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول لهما مجرور مختلف، يكتفى بنفسه من نحو :

(١) المرجع نفسه، ص ١٥٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٩.

Few books are read by many men
many men read Few books

واعتقد أن الجملتين لهما المعنى نفسه، ويمكن وضع كل منهما مكان
الأخرى^(١).

أما "جون ليونز" فقد أشار إلى مسألة السلاسل العميقة Underlying
Strings التي اشتق تشومسكى الجمل المبنية للمجهول منها فى كتابه التراكيب
النحوية بواسطة قاعدة اختيارية optional rule هي :

$Np1 + Aux + v + Np2 \rightarrow Np2 + Aux + be + en + v + by + Np1.$

أى مركب اسمى (١) + فعل مساعد + فعل + مركب اسمى (٢) +
مركب اسمى (٢) ← فعل مساعد + فعل الكينونة + مورفيم En + فعل + مورفيم
by + مركب اسمى (١) وذكر "جون ليونز" أنه يتبين مدى قصور القواعد النحوية
لتركيب أركان الجملة فى رأى تشومسكى بالنظر إلى توليد بعض الجمل التي بينها
علاقة متبادلة مثل الجمل المبنية للمعلوم active والجمل المبنية للمجهول passive
فى اللغة الإنجليزية مثال ذلك : The man hit the ball وهى جملة مبنية للمعلوم ثم
جملة أخرى مثل The ball was hit by the man وهى جملة مبنية للمجهول
وأضاف غير أننا رغم ذلك كله لا نستطيع أن نتصور كيف يشعر أبناء اللغة بأن
جملتين مثل الجملتين السابقتين تتصل إحداهما بالأخرى أن تنتمى إليها بصورة ما،
وأن كلا منهما تشترك مع الأخرى. فى جانب كبير من المعنى، والنحو التوليدي
قادر على الكشف عن هذه العلاقة المتبادلة بين هذين النوعين من الجمل وكذا غيرها
من الجمل التي تشعر أن بينها علاقات دلالية Semantic relationships^(٢).

Kytz : Se mantic theory p. 436 - 439.

(١)

نقلاً عن د. محمود سليمان ياقوت فى كتابه المبنى للمجهول فى الدرس النحوى والتطبيق فى القرآن
الكريم، ص ٧١، ٧٢.

(٢) جون ليونز : نظرية تشومسكى اللغوية، ترجمة د. حلمى خليل، ص ١٣٨، ١٣٩.

وقد حاول الدكتور "حلمى خليل" أن يبين طريقة بناء المبنى للمجهول فى العربية على سبيل النظرية التوليدية التحويلية فذكر : أن طريقة بناء الجملة للمجهول فى العربية تختلف عن ذلك. فهى تتم عن طريق حذف الفاعل وتغيير صيغة الفعل وهنا سنجد أن السلسلة العميقة المكونة لجملة مبنية للمعلوم مثل لعب الولد بالكرة.

لعب + ال + ولد + ب + ال + كرة

وهنا لابد أن ندخل مورفيم الصيغة بالنسبة للفعل كجزء أساسى فى هذه السلسلة بحيث يصبح على النحو التالى :

مركب فعلى + صيغة الفعل + مركب اسمى + مركب اسمى (٢) + مركب فعلى + صيغة الفعل المبنى للمجهول + مركب اسمى (٢) وذلك لكى نصل إلى جملة مبنية للمجهول من الجملة المبنية للمعلوم (لعب الولد بالكرة) أى تصبح السلسلة العميقة المكونة لهذه الجملة هى :

مركب فعلى + صيغة الماضى المبنى للمجهول + حرف + مركب اسمى + وهنا سنجد أننا قد أضفنا بعض العناصر وحذفنا بعضها الآخر مثل حذف الفاعل وتغيير صيغة الفعل وهى عملية تحويلية تختلف عن القاعدة التحويلية السابقة التى ذكرها تشومسكى^(١).

ونرى أن اللغة العربية تختلف عن اللغات الأخرى فى نظامها النحوى والصرفى وأن القدماء قد قاموا بعمل جليل فى خدمة العربية والتعرف على قواعد تركيب الجملة من خلال النصوص وأولها النص القرآنى العظيم والحديث الشريف والشعر العربى.

(١) المرجع نفس هامش ١، ص ١٣٩.

الفصل الثانى

المبنى للمجهول ونائب الفاعل اسم ظاهر

المبنى للمجهول ونائب الفاعل اسم ظاهر

(أ) نائب الفاعل اسم ظاهر (وأصله المفعول به) :

أتى نائب الفاعل مع الفعل المبني للمفعول اسمًا ظاهرًا ولم يتقدم عليه شبه جملة فى مواطن كثيرة فى القرآن العظيم وجاءت دلالة المفعول واضحة فى كثير من الآيات الكريمة وجاءت الدلالة فى بعض الآيات تحتاج إلى بيان فى التركيب وقد أدت القراءات القرآنية دورًا فى الدلالة فى هذه التراكيب وتوضيح ذلك ما يلى :

أ- من تراكيب المبنى للمفعول أتت الدلالة واضحة فى الآيات الكريمة الآتية :

(١) فى قوله تعالى : ﴿كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾^(١).

فى هذا التركيب أتى الفعل ثلاثيًا صحيحًا ونائب الفاعل موسى.

قال أبو السعود فى الدلالة هنا : «(كما سئل موسى) مصدر تشبيهى أى نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية أى سؤالاً مشبهًا بسؤال موسى -عليه السلام- حيث قيل (اجعل لنا إلهًا وأرنا الله جهرة ومقتضى الظاهر أن يقال كما سألوا موسى لأنَّ المشبه هو المصدر من المبنى للفاعل أغنى سائليه المخاطبين لا من المبنى للمفعول أغنى مسئولية الرسول -صلى الله عليه وسلم- حتى يشبه بمسئولية موسى -عليه السلام- فلعله أريد التشبيه فيهما معًا ولكنه أوجز النظم فذكر فى جانب المشبه السائلية وفى جانب المشبه به المسئولية واكتفى بما ذكر فى كل موضع عما ترك فى الموضع الآخر وقد جوز أن تكون ما موصولة على أن العائد محذوف أى كالسؤال الذى سأل موسى وقوله تعالى (من قبل) متعلق بسئل جئ به للتأكيد^(٢).

^(١) من الآية ١٠٨ سورة البقرة.

^(٢) أبو السعود العمادى : تفسير أبو السعود، ج١، ص ١٧٣.

(٢) وفى قوله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(١).

وفى سورة آل عمران : ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(٢).

أتى نائب الفاعل هنا مع الفعل الأول (أوتى) اسماً مقصوراً مرفوعاً بضمه مقدرة منع من ظهورها التعذر وأتى نائب الفاعل مع الفعل الثانى فى الآية الأولى جمع مذكر سالم مرفوع بالواو ونلاحظ أن التركيب فى الآية الثانية لم يكرر الفعل أوتى.

قال العكرى (عن الآية الأولى) (من ربهم) الهاء والميم تعود على النبيين خاصة، فعلى هذا يتعلق من بأوتى الثانية، وقيل تعود إلى موسى وعيسى أيضاً، ويكون "وما أوتى" الثانية تكريراً، وهو فى المعنى مثل التى فى آل عمران^(٣).

(٣) وفى قوله تعالى : ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(٤). أتى الفعل مبنيًا للمفعول ونائب الفاعل اسم ظاهر.

والمقام مقام العزة وأتى التركيب مبنيًا للمفعول جرياً على سنن الكبرياء ولأن الفاعل معلوم وهو الحق تعالى.

قال الشوكانى عن قوله تعالى، وَقُضِيَ الْأَمْرُ : وإنما عدل إلى صيغة الماضى دلالة على تحققه فكأنه قد كان، أو جملة مستأنفة جئ بها للدلالة على أن مضمونها واقع لا محالة : أى وفرغ من الأمر الذى هو إهلاكهم^(٥).

^(١) من سورة البقرة : الآية ١٣٦.

^(٢) من الآية ٨٤ سورة آل عمران.

^(٣) العكرى : إملأ ما من به الرحمن، ج ١، ص ٦٦.

^(٤) من الآية ٢١٠ سورة البقرة ومن الآية ١٠٩ آل عمران.

^(٥) الشوكانى : فتح القدير، حققه وخرج أحاديثه وفهرسها سيد إبراهيم عمران، ج ١، ص ٣١٣.

(وفي التركيب الثاني) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف
تَرْجِعُ الأمور بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع والباقون بضم التاء وفتح الجيم أى
قرأ الأول على البناء للفاعل والآخرون على البناء للمفعول^(١).

قال "ابن خالويه" عن (وإلى الله تَرْجِعُ الأمور) يُقْرَأُ بفتح التاء وضمها
فالحجة لمن فتحها أنه أراد تصير والحجة لمن ضمها أنه أراد تُرَدُّ^(٢).

ونلاحظ أن الدلالة لم تتغير فى البناءين (المعلوم والمجهول) لأن الفاعل معلوم
وهو الحق تعالى ولكن دلالة المفعول أبلغ للدلالة على مقام العزة.

(٤) أما قوله تعالى : ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِهَا﴾^(٣).

فقد أتى الفعل مبنياً للمفعول مضعفاً وذلك القراءات القرآنية فيه على أوجه
الإعراب.

قال "ابن مجاهد" فى السبعة فى القراءات :

«اختلفوا فى نصب الرء ورفعها من ولا تضار والدة فقرأ ابن كثير وأبو
عمرو وأبان عن عاصم (لا تضار والدة) ورفعها وكذلك روى عبد الحميد ابن بكار
بإسناده عن ابن عامر وأحسب الأخفش تابعه، وقرأ نافع وحفص عن عاصم وحمزة
والكسائي لا تضار نصبا»^(٤).

أما توجيه هذه القراءات فقد قال الفراء م٢٠٧هـ (رأس الكوفة) : لا تضار
والدة بولدها، يريد لا تضارر وهو فى موضع جزم والكسر فيه جائز، لا تضار
والدة، ولا يجوز رفع الرء على نية الجزم، ولكن ترفعه على الخبر.

(١) ابن الجزرى : تمهيد التيسير فى قراءات الأئمة العشرة، ص ٩١.

(٢) ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، ص ٦٥.

(٣) من الآية ٢٣٣ سورة البقرة.

(٤) ابن مجاهد : السبعة فى القراءات، ص ١٧٣.

ومعنى : لا تضارُّ والدته بولدها، بقوله : لا يُنَزَعَنَّ وَلَدُهَا مِنْهَا وهى صحيحة لما لَبَنٌ فَيُدْفَعُ إِلَى غَيْرِهَا^(١).

وقال "أبو على الفارسي" فى توضيح هذه القراءات :

«وجه مقول مَنْ رَفَعَ أَنْ قَبْلَهُ مَرْفُوعًا وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا

وُسْعَهَا﴾^(٢). فإذا أتبعته ما قبله كان أحسن لتشابه اللفظ فإن قلت إن ذلك خبرٌ

وهذا أمرٌ قيل : فالأمر قد يجئ على لفظ الخبر فى التنزيل ويؤكد ذلك أن ما

بعده على لفظ الخبر وهو قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾^(٣). والمعنى ينبغى

ذلك فلما وقع موقعه صار فى لفظه. ومن فتح جعله أمرًا وفتح الراء لتكون حركته موافقة لما قبلها وهو الألف^(٤).

وقال "ابن خالويه" «يُقرأ بالرفع وبالنصب فالحجة لمن جعله مرفوعًا أنه

أخبر بـ (لا) فردّه على قوله (لا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وَسْعَهَا). لا تضارُّ والحجة لمن

نصب أنه عنده مجزوم بحرف النهى، والأصل فيه لا تضارُّ فأدغم الراء فى الراء، وفتح لالتقاء الساكنين»^(٥).

أما "العكبرى" فىرى توجيهًا آخر بقوله :

«لا تضارُّ : يقرأ بضم الراء وتشديدها وفيها وجهان أحدهما أنه على

تسمية الفاعل وتقديره : لا تضارُّ بكسر الراء الأولى، والمفعول على هذا محذوف

تقديره لا تضارُّ والدته والدًا بسبب ولدها والثانى : أن تكون الراء الأولى مفتوحة

(١) الفراء : معانى القرآن، جـ ١، ص ١٤٩.

(٢) من الآية ٢٣٣ سورة البقرة.

(٣) من الآية ٢٣٣ سورة البقرة.

(٤) أبو على الفارسي : الحجة فى علل القراءات السبع، جـ ٢، ص ٢٥١.

(٥) ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٨٧.

على ما لم يُسَمَّ فاعله، وأدغم لأن (الحرفين مثلاً) ورفع لأن لفظه لفظ الخير، ومعناه النهي، ويُقرأ بفتح الراء وتشديد: بها على أنه نهى، وحُرِّك لالتقاء الساكنين، وكان الفتح أولى لتجانس الألف والفتحة قبلها، وعلى هذه القراءة يجوز أن يكون أصله تضارر، وتضارر على تسمية الفاعل وترك تسميته على ما ذكرنا في قراءة الرفع^(١).

(٥) وفي قوله تعالى: ﴿تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾^(٢) فيه أيضاً وجوه من القراءات مثل التى ذكرت فى الآية السابقة (لا تضار والدة) ولكن قرئ هنا باسكان الراء مع التشديد وهى ضعيفة لأنه فى التقدير جمع بين ثلاث سواكن إلا أنه له وجهاً وهو أن الألف ملدها تجرى مجرى المتحرك فيبقى ساكناً، والوقف عليه ممكن، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف، أو يكون وقف عليه وقِيفَةً يسيرة^(٣).

وقال "مكى بن أبى طالب": «لا يُضَارُّ كاتب ولا شهيد يجوز أن يكونا فاعلين ويكون يضار يُفَاعِلُ ويجوز أن يكونا مفعولين لم يُسَمَّ فاعلهما، ويكون يضارُّ يفاعل والأحسن أن يكون يفاعل لأن بعده وأن تفعلوا فإنه فسوق بكم يخاطب الشهداء»^(٤).

(٦) وفى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ الَّذِي كَفَرَ﴾^(٥).

فى هذه الآية الكريمة وجوه من القراءات للفعل المبني للمفعول فيقرأ بِهِتْ يفتح الباء وضم الهاء وفتح الباء وكسر الهاء بِهِت والفعل فيهما لازم، ويقرأ

(١) العكبرى : إملاء ما من به الرحمن، ج١، ص ٩٨.

(٢) من الآية ٢٨٢ سورة البقرة.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ١٢٠.

(٤) مكى بن أبى طالب : مشكل إعراب القرآن، ج١، ص ١٤٥.

(٥) من الآية ٢٥٨ سورة البقرة.

بفتحهما فيجوز أن يكون الفاعل ضمير إبراهيم، والذي مفعول، ويجوز أن يكون الذي فاعلاً، ويكون الفعل لازماً^(١).

ولتوضيح ذلك تقول : بهت الرجل وبهت وبهت. إذا انقطع وسكت متحيراً.. وقال الطبري : وحكى عن بعض العرب في هذا المعنى، بهت بفتح الباء والهاء، قال ابن جنى : قرأ أبو حيوة فبهت بفتح الباء وضم الهاء، وهى لغة فى بهت بكسر الهاء قال : وقرأ ابن السميع : فبهت بفتح الباء وضم الهاء على معنى فبهت إبراهيم الذى كفر، فالذى فى موضع نصب، قال : وقد يجوز أن يكون بهت بفتحهما لغة فى بهت. وحكى أبو الحسن الأخفش قراءة (فبهت) بكسر الهاء، قال والأكثر بالفتح فى الهاء.

قال "ابن عطية" : وقد تأول قوم فى قراءة فبهت بفتحهما أنه بمعنى سب وقذف، وأن النمروذ هو الذى سب حين انقطع ولم يكن له حيلة^(٢).

والأفصح هنا هى قراءة (بهت) لأنه يقال رجل مبهوت، ولا يقال باهت، ولا بهيت.

(٧) وفى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾^(٣).
استشكل جماعة من المفسرين قوله تعالى : (لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ) مع كون التوبة مقبولة فى الآية التى قبلها فى قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤). وفى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾^(٥).

(١) العكبرى : إملأ ما من به الرحمن، ج١، ص ١٠٨.

(٢) الشوكاني : فتح القدير، ج١، ص ٤١٣.

(٣) من الآية ٩٠ سورة آل عمران.

(٤) الآية ٨٩ سورة آل عمران.

(٥) من الآية ٢٥ سورة الشورى.

قيل : المعنى لن تقبل توبتهم عند الموت، قال النحاس : وهذا قول حسن
مثل قوله تعالى فى سورة النساء ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ
أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾^(١). وبه قال الحسن وقتادة وعطاء ومنه الحديث
الشريف : «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(٢).

وقيل المعنى : لن تُقبل توبتهم التى كانوا عليها قبل أن يكفروا، لأن الكفر
أحبط، وقيل لن تقبل توبتهم إذا تابوا من كفرهم إلى كفر آخر، والأولى أن يُحملَ
عدم قبولهم التوبة فى هذه الآية على من مات كافراً غير تائب فكأنه غيّر عن الموت
على الكفر بعد قبول التوبة وتكون الآية التى بعدها وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾^(٣). فى حكم البيان لها^(٤).

(٨) وفى قوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾^(٥).

جاء التركيب هنا فى البناء للمفعول واضح الدلالة ولكن اختلف المفسرون
فى ضعف خلقه الإنسان هنا :

قيل : خلق الإنسان ضعيفاً أى عاجزاً عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة
دواعيه وقواه حيث لا يصير عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه فى مشاق
الطاعات.

(١) من الآية ١٨ من سورة النساء.

(٢) الحديث الشريف أخرجه الإمام أحمد فى مسنده، جـ ٢، ص ١٣٢، وقال حديث حسن، والترمذى

رقم ٣٥٣٨.

وفى سنن ابن ماجه ٤٢٥٣ والحاكم فى جـ ٤، رقم ٢٥٧.

(٣) من الآية ٩١ سورة آل عمران.

(٤) الشوكانى : فتح القدير، جـ ١، ص ٥٣٤.

(٥) من الآية ٢٨ سورة النساء.

وعن الحسن إن المراد ضعف الحلقة ولا يساعده المقام فإن الجملة المترتبة
تذيل مسوق لتقدير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الإماء وليس لضعف
البنية مدخل في ذلك، وإنما الذى يتعلق به التخفيف فى العبادات الشاقة.
وقيل المراد ضعفه فى أمر النساء خاصة حيث لا يضبر عنهن^(١).

وقال "العكرى": وقيل التقدير: وخلق الإنسان من شىء ضعيف، أى من
طين أو من نطفة وعلاقة ومضغة كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
ضَعْفٍ﴾^(٢). فلما حذف الجار والموصوف انتصبت الصفة بالفعل نفسه^(٣). ولكن
هذا رأى ليس بقوى والرأى الأقوى هو عجزه عن مخالفة هواه والرخصة فى نكاح
الإماء وضعفه فى أمر النساء.

(٩) وفى قوله تعالى: ﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾^(٤).

نجد هنا أن الفعل أحضر يتعدى إلى مفعولين تقول أحضرت زيدا طعاما،
والمفعول الأول الأنفس وهو القائم مقام الفاعل والمفعول الثانى الشُّحُّ ودلالة
التركيب هو إخبار من الحق تعالى: (إِنَّ الشُّحَّ فى كُلِّ واحد منهما) (أى فى الرجل
والمرأة) بل فى كل الأنفس الإنسانية كائن وأنه جُعِلَ كأنه حاضر لها لا يغيب عنها
بحال من الأحوال وأن ذلك بحكم الجبلة والطبيعة، فالرجل يشيخ بما يلزمه للمرأة من
حسن العشرة وحسن النفقة ونحوها، والمرأة تشيخ على الرجل بحقوقها اللازمة للزوج

(١) أبو السعود : تفسير أبو السعود، ج١، ص ٥١٢، وانظر : القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن، ج٣،

ص ٢٣٤، والشوكانى : فى فتح القدير، ج١، ص ٦٨٢.

(٢) من الآية ٥٤ سورة الروم.

(٣) العكرى : إملاء ما من به الرحمن، ج١، ص ١٧٧.

(٤) من الآية ١٢٨ سورة النساء.

فلا تترك له شيئاً منها. وشح الأنفس بخلها بما يلزمها أو يحسن فعله بوجه من الوجوه ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).
(١٠) وفي قوله تعالى : ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾^(٢).

اختلف المفسرون في دلالة هذا التركيب المبني للمفعول.

قال الإمام فخر الدين الرازي فيه وجهان :

الأول : أنه دعاء عليهم أى (على اليهود) والمعنى أنه تعالى يعلمنا أن ندعو عليهم بهذا الدعاء كما علمنا الاستثناء فى قوله تعالى : ﴿لَدْخُلْنَا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾^(٣). وكما علمنا الدعاء على المنافقين فى قوله تعالى : ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَصًا﴾^(٤). وعلى أبى لهب فى قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(٥).

الثانى : إنه إخبار قال الحسن : غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ فى نار جهنم على الحقيقة، أى شُدَّتْ إلى أعناقهم جزاء لهم على هذا القول فإن قيل : فإذا كان هذا إنما حُكِمَ به جزاء لهم على هذا القول فكان ينبغي أن يقال فَعُلَّتْ أَيْدِيهِمْ قلنا حذف العطف وإن كان مضمراً إلا أنه حذف لفائدة، وهى أنه لما حذف كان قوله تعالى (غلت أيديهم) كالكلام المبتدأ به وكون الكلام مبتدأ، يزيده قوة وثاقفة، لأن الابتداء بالشئ يدل على شبه الاهتمام به وقوة الاعتناء بتقريره^(٦).

(١) من الآية ٩ سورة الحشر ، وانظر فى دلالة التركيب الشوكاني فى فتح القدير، ج١، ص ٧٧٩، والعكرى فى إملاء ما من به الرحمن، ج١، ص ١٩٧.

(٢) من الآية ٦٤ سورة المائدة.

(٣) من الآية ٢٧ سورة الفتح.

(٤) من الآية ١٠ سورة البقرة.

(٥) الآية ١ سورة المسد.

(٦) فخر الدين الرازي : معاني الغيب (التفسير الكبير)، المجلد السادس، ص ٨٠.

وقال "الشوكاني" : غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ : «دعاء عليهم بالبخل، فيكون الجواب عليهم مطابقاً لما أرادوه بقوله : يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ : ويجوز أن يراد غَلَّ أَيْدِيَهُمْ حقيقة بالأسر في الدنيا أو بالعذاب في الآخرة، وَيَقْوَى المعنى الأول أنَّ البخل قد لزم اليهود لزوم الظِّلِّ للشمس فلا ترى يهودياً، وإن كان ماله في غاية الكثرة؛ إلا وهو من أَبْخَلَ خلق الله، وأيضاً الجواز أَوْفَقُ بالمقام لمطابقته لما قبله»^(١). وما ذكره الشوكاني فيه إيضاح ودلالة لتركيب المبنى للمفعول.

(١١) وفي قوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(٢).

في التركيب القرآني العظيم: أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ : أعطى دلالة قيمة - فالبَسْلُ والإبسال المنع ومنه أَسَدٌ بأسل لأن فريسته لا تفلت منه أو لأنه ممتنع - هذا أصل البسل والإبسال - «يقال بَسَلَ بِسَالَةً مثل ضَخَمُ ضَخَامَةً بمعنى شَجُعَ فهو بسيل وباسل وأبسلته بالألف رهنته». وبذلك يكون معنى الإبسال هنا : تسليم المرء نفسه للهلاك ومنه أبسلت ولدى : أى : رهنته فى الدم لأن عاقبة ذلك الهلاك.

قال "النابعة" :

وَنَخْنُ رَهْنًا بِالْإِفَاقَةِ عَامَرًا

بما كان فى الدرداء رهنًا فَأَبْسَلَا

أى فهلك.^(٣)

وقد اختلف المفسرون فى دلالة هذا التركيب.

قال أبو السعود : «أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ أى لثلاث تُبْسَلَ كقوله تعالى :

(١) الشوكاني : فتح القدير، ج ١، ص ٨٣.

(٢) من الآية ٧٠ سورة الأنعام.

(٣) ابن منظور : لسان العرب باب اللام.

﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾^(١). أو مخافة أن تُبْسَلَ أو كراهة أن تُبْسَلَ نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى : ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا أَحْضَرْتُ﴾^(٢). وترتهن لسوء عملها^(٣). وقال "الشوكانى" : «فالمعنى، وذكر به خشية أو مخافة أو كراهة أن تهلك نفس بما كسبت، أى ترتهن وتسلم للهلكة»^(٤). أما "العكرى" فقد ذكر رأيا واحدا فقال : أن تُبْسَلَ : مفعول له : أى مخافة أن تُبْسَلَ^(٥).

(١٢) وفى قوله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿وَالْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾^(٦).

وفى سورة طه : ﴿فَالْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾^(٧).

وفى سورة الشعراء : ﴿فَالْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾^(٨).

هذه تراكيب ثلاثة جاء فيها المبني للمفعول اسما ظاهرا وهو السحرة وقبله الفعل (الْقِيَ) وجاء التركيب الأول بالواو والثانى بالفاء ولكن أين فاعل الإلقاء ؟ قال الزمخشري عن التركيب فى سورة الشعراء : «فإن قلت فاعل الإلقاء ما

(١) من الآية ١٧٦ سورة النساء.

(٢) الآية ١٤ سورة التكويد.

(٣) أبو السعود : تفسير أبو السعود، ج٢، ص ١٦٥.

(٤) الشوكانى : فتح القدير، ج١، ص ١٨٤.

(٥) العكرى : إملأ ما س به الرحمن، ج١، ص ٢٤٦.

(٦) من الآية ١٢٠ سورة الأعراف.

(٧) من الآية ٧٠ سورة طه.

(٨) من الآية ٤٦ سورة الشعراء.

هو لو طُرِحَ ؟ قُلْتُ : هو الله عزَّ وجلَّ بما حَوَّلَهُم من التوفيق، أو إيمانهم، أو بما عاينوا من المعجزة الباهرة، ولك ألا تقدرَ فاعلاً، لأنَّ أَلْقَوْا بمعنى خَرَوْا وسَقَطُوا»^(١).

وقد ردَّ أبو حيان الأندلسي هذا الرأي فقال : «وهذا القول ليس بشيء (وهو عدم تقدير فاعل) لأنه لا يمكن أن يُبنى الفعل للمفعول الذى لم يُسمَّ فاعله، إلا وقد حُذِفَ الفاعل، فناب ذلك عنه، أما أنه لا يُقدَّرُ فاعل فقول ذاهب عن الصواب»^(٢).

وقال الشوكاني عن الآية (١٢٠) سورة الأعراف ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ

سَاجِدِينَ﴾ : «أى خَرُّوا ساجدين كأنما ألقاهم مُلْقٍ على هيئة السجود أو لم يتمالكوا مما رأوا فكانهم ألقوا أنفسهم»^(٣).

ونرجح أن فاعل الإلقاء هو الله عز وجل لأن هذا يناسب مقام العزة فى سنن الكبرياء والهيبة والقدرة المناسب للمبنى للمفعول.

(١٣) وفى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٤).

جاء (القرآن) نائباً للفاعل للفعل (قُرِئَ) وقد اختلف المفسرون فى دلالة هذا التركيب : قال الفراء رأس الكوفة «كان الناس يتكلمون فى الصلاة المكتوبة، فيأتى الرجل القوم، فيقول : كم صليتم ؟ فيقول : كذا وكذا. فنهوا عن ذلك، فحرم الكلام فى الصلاة لما أنزلت هذه الآية»^(٥).

^(١) الزعخشري : الكشف، ج٣، ص ١١٣، ونُكْتُ الأعراب فى غريب الإعراب فى القرآن الكريم، ص ٢٩٣.

^(٢) أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط، ج٧، ص ٤٦.

^(٣) الشوكاني : فتح القدير، ج٢، ص ٣٢٧.

^(٤) من الآية ٢٠٤ سورة الأعراف.

^(٥) الفراء : معانى القرآن، ج١، ص ٤٠٢.

ولكن كثيراً من المفسرين ذكروا فيها آراء «قيل هذا نزل في الصلاة روى عن ابن مسعود وأبي هريرة وجابر والزهرى وعبيد الله بن عمير وعطاء بن أبى رباح وسعيد بن المسيب -رضى الله عنهم أجمعين- وقيل إنها نزلت في الخطبة قاله سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وزيد بن أسلم وغيرهم.

وقد ضعف هذا رأى الإمام الرازى والقرطبى -لأن القرآن فيها قليل، والإنصات يجب في جميعها. وأن اللفظ عام فكيف يجوز قصره على هذه الصورة الواحدة^(١).

وذكر الطبرى عن سعيد بن جبير أن هذا في الإنصات يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام فهو عام^(٢).

وقد رجح هذا رأى الإمام القرطبى^(٣). وقال الإمام الرازى : «قول أهل الظاهر أنا نجرى هذه الآية على عمومها ففى أى موضع قرأ الإنسان القرآن وجب على كل أحد استماعه والسكوت، فعلى هذا القول يجب الإنصات لعابرى الطريق ومعلمى القرآن»^(٤).

وذكر الشوكانى آراء آخر منها أنها فى المكتوبة، وعند الذكر وفى الصلاة. وحين ينزل الوحي^(٥). ولكن الرأى الأقوى هنا ما رجحه الإمام الرازى والإمام القرطبى بأنها عامة.

(١) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ ٧، ص ٤١٦، وانظر القرطبى : فى الجامع لأحكام القرآن، جـ ٧، ص ٣٥٣.

(٢) الطبرى : تفسير الطبرى، جـ ٣، ص ١٥١.

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ ٧، ص ٣٥٤.

(٤) الرازى : مفاتيح الغيب، جـ ٧، ص ٤١٧.

(٥) الشوكانى : فتح القدير، جـ ٢، ص ٣٩٦.

(١٤) وفي قوله تعالى : فى أول سورة هود ﴿كَتَابٌ أُحْكِمْتُ آيَاتُهُ﴾^(١).

أتى الفعل مبنياً للمفعول (أُحْكِمَ) ونائب الفاعل (آياته) اسماً ظاهراً. وقد اختلف المفسرون فى دلالة هذا التركيب على وجوه.

١ - قال الإمام فخر الدين الرازى: فى قوله تعالى (أُحْكِمْتُ آيَاتُهُ) وجوه:

الأول : أى نظمت نظماً رصيفاً محكماً لا يقع فيه نقص ولا نقص كالبناء المحكم.

الثانى : أُحْكِمْتُ آياته أى لم تنسخ كما نسخت الكتب والشرائع السابقة عليها وعلى هذا الوجه لا يكون كل الكتاب محكماً، لأنه فصلٌ فيه آيات منسوخة، إلا إنه لما كان الغالب كذلك صح إطلاق هذا الوصف عليه إجراءً للحكم الثابت، فى الغالب لجرى الحكم الثابت فى الكل.

الثالث : قال صاحب الكشف^(٢) : أُحْكِمْتُ يجوز أن يكون نقلاً بالهمزة

حَكَمَ بضم الكاف إذا صار حكيماً أى جعلت حكيمة كقوله تعالى ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ

الْحَكِيمِ﴾^(٣).

الرابع : جعلت آياته محكمة فى أمور أحدها : أن معانى هذا الكتاب هى

التوحيد والعدل والنبوة، والمعاد وهذه المعانى لا تقبل النسخ فهى فى غاية الإحكام.

ثانيها : إن الآيات الواردة فيه غير متناقضة، والتناقض ضد الإحكام فإذا

خلت آياته عن التناقض فقد حصل الإحكام.

ثالثها : إن ألفاظ هذه الآيات بلغت فى الفصاحة والجزالة إلى حيث لا تقبل

^(١) من الآية الأولى من سورة هود.

^(٢) الزمخشري : الكشف، ج٢، ص ١٥٣.

^(٣) من الآية ١ سورة يونس.

المعارضة، وهذا أيضًا يشعر بالقوة والإحكام.

رابعها : إن العلوم الدينية إما نظرية وإما عملية أما النظرية فهي معرفة الإله تعالى ومعرفة الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، وهذا الكتاب مشتمل على شرائف هذه العلوم ولطائفها، وأما العملية فهي إما أن تكون عبارة عن تهذيب الأعمال الظاهرة وهو الفقه، أو عن تهذيب الأمور الباطنة وهي علم التصفية ورياضة النفس ولا نجد كتابًا في العالم يساوى هذا الكتاب في هذه المطالب^(١).

وبذلك نرى أن الآراء كما ذكرها كثير من المفسرين في هذه التركيب (١) صارت محكمة متقنة (٢) لم تنسخ بخلاف التوراة والإنجيل (٣) أحكمت آياته بالأمر والنهي (٤) أحكمت جملة، ثم فصلت آياته (٥) أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بالحلل والحرام (٦) جمعت في اللوح المحفوظ ثم فصلت بالوحي (٧) معنى أحكمت : لا فساد فيها أخذًا من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح^(٨).

(١٥) وفي قوله تعالى : ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يُعْصِرُونَ﴾^(٩).

جاء التركيب فيه (يغاث الناس) مبنياً للمفعول واختلف المفسرون في دلالة (فيه يغاث).

قيل معناه : يُمَطَّرُونَ ويجوز أن يكون من قولهم أغاثه الله إذا أنقذه من كرب أو غم ومعناه يُنْقَذُ الناس من كرب الجذب وهو أقوى الآراء المناسب لسياق الموقف^(١٠).

(١) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج٨، ص ٤٦٥.

(٢) انظر في تفصيل الآراء القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص ٢٩١، الشوكاني : في فتح القدير، ج٢، ص ١، ٦.

(٣) من الآية ٤٩ سورة يوسف.

(٤) انظر: فخر الدين الرازى في مفاتيح الغيب، ج٩، ص ٧٢، وأبو السعود في تفسيره مجلد ٣، ص ١٤.

(١٦) وفي قوله تعالى : ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾^(١).

جاء التركيب (إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا) مبنياً للمفعول ويحتاج إلى بيان خاصة إن فيه قراءتين للفعل بالتشديد والتخفيف تختلف فيه الدلالة.

قال الفراء : «إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ويقال سُكِّرَتْ (بتخفيف الكاف) وهى قراءة ابن كثير ومعناها متقارب فأما سُكَّرَتْ بالتشديد فحبست، العرب تقول : قد سُكِّرَتْ الريح إذا سكنت وركدت ويقال : أُغْشِيَتْ، فالغشاء والحبس قريب من السواء»^(٢).

وقال ابن خالويه : قوله تعالى : (سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا) يُقْرَأُ بتشديد الكاف وتخفيفها فالحجة لمن شدد أنه أراد سُدَّتْ وُعْطِيَتْ والحجة لمن خفف أنه أراد سُجِّرَتْ وُوقِفَتْ كما تقول سُكَّرْتُ الماء فى النهر إذا وقفته^(٣).

وقد اختلف اللغويون فى دلالة هذا الفعل كما يلى :

فقد قرأ ابن كثير سُكِّرَتْ بالتخفيف، والباقون مشددة الكاف.

يرى الواحدي : أن سُكِّرَتْ غشيت وسُدَّتْ بالسَّحَر هذا قول أهل اللغة، قال وأصله من السكر وهو سد الشق لثلا يتفجر الماء، فكان هذه الأبصار مُنِعَتْ من النظر كما يمنع السكر الماء من الجرى، والتشديد يوجب زيادة وتكثيراً.

. ويرى أبو عمرو بن العلاء أن سُكِّرَتْ - مأخوذ من سكر الشراب يعنى أن الأبصار حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع بالرجل السكران من تغير العقل، فإذا كان هذا معنى التخفيف فَسُكَّرَتْ بالتشديد يراد به وقع هذا الأمر مرة بعد أخرى.

^(١) من الآية ١٥ سورة الحجر.

^(٢) الفراء : معانى القرآن، ج٢، ص ٨٦.

^(٣) ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٢٠٦.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) أى غشيت أبصارنا فوجب سكونها وبطلانها وعلى هذا القول أصله من السكون، يقال سكرت الريح سَكْرًا إذا سكنت وسكر الحر يسكر، وليلة ساكرة لا ريح فيها ويقال : سكرت عينه سَكْرًا إذا تحيرت وسكنت عن النظر وعلى هذا معنى : سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا، أى سكنت عن النظر، وهذا القول اختيار الزجاج.

وقال أبو علي الفارسي : سُكِّرَتْ صَارَتْ بِحِثْ لَا يَنْفِدُ نُورُهَا وَلَا تَدْرِكُ الْأَشْيَاءَ عَلَى حَقَائِقِهَا، وكان معنى السُّكْر قطع الشيء عن سننه الجارية.

ونلاحظ أن أقوال علماء اللغة فى سُكِّرَتْ وسُكِّرَتْ متقاربة فإما أن تكون سُكِّرَتْ بالتشديد - غَطِّيتْ وسُكِّرَتْ بالتخفيف سُجِّرَتْ أو يكون المعنى فى الفعلين واحد ولكن التشديد يدل على التكثر أو التكرير.

والدلالة تعطى إما أنه سُكِّرَتْ أَبْصَارُهُمْ - أى غشيتهم ما غطى أبصارهم كما غشى السكران ما غطى عقله وسكور الريح سكونها وفتورها فهو يرجع إلى معنى التحير^(١).

(١٧) وفى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^(٢).

جاء التركيب (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ) مبنياً للمفعول - يدل على موقف بنى إسرائيل من السبت - وكان الحق تعالى قد أمرهم ألا يصطادوا يوم السبت ليتفرغوا لعبادته لكنهم تحابوا على ذلك فمسخهم الله قردةً وخنازير.

(١) انظر فى تفصيل هذه الأقوال :

الرازى : فى مفاتيح الغيب، ج٩، ص ٣٩٩.

وأبو السعود : فى تفسيره، جلد ٣، ص ٢١٩.

والقرطبي : فى الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص ٦٨٥.

وابن منظور فى لسان العرب، مادة (سكر).

(٢) من الآية ١٢٤ سورة النحل.

وفى هذا التركيب يبين الحق تعالى أن السبب فرض تعظيمه والتخلى فيه للعبادة وترك الصيد فيه - وكان اليهود يدعون أن السبب من شعائر الإسلام وأن إبراهيم كان محافظاً عليه - فرد الحق تعالى عليهم بأن السبب ليس من شرائع إبراهيم وشرائع ملته التى أمرت باتباعها يا محمد - حتى يكون بينه عليه الصلاة والسلام وبين بعض المشركين علاقة وإنما شرع السبب لبنى إسرائيل بعد مدة طويلة.

وإيراد الفعل مبنياً للمفعول جرئاً على سنن الكبرياء وإيداناً بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة الإسناد إلى الغير^(١).

(١٨) وفى قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾^(٢).

جاء التركيب (لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ) فى جواب لولا وقُرئ هَدَمَتْ بتشديد الدال وتخفيفها.

قال ابن خالويه : «فالحجة لم شدد أنه أراد تكرير الفعل والحجة لمن خفف أنه أراد المرة الواحدة من الفعل وهما لغتان فاشيتان»^(٣).

وقال الفراء فى دلالة التركيب : «(لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ) : وهى مُصَلًى النصرارى والصوامع للرهبان وأما الصلوات فهى كنائس اليهود. والمساجد (مساجد الإسلام) ومعنى التهديم أن الله قال قبل ذلك (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) يدفع بأمره وأتباعه عن دين كل نبي، إلى أن بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم -»^(٤).

(١) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٣٠٢.

(٢) من الآية ٤٠ سورة الحج.

(٣) ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٢٥٤.

(٤) الفراء : معانى القرآن، ح ٢، ص ٢٢٧.

أما فخر الدين الرازى فقد ذكر اختلاف المفسرين فى دلالة الصلوات والصوامع والبيع فقال : «ذكروا فيها وجوهاً :

أحدها : الصوامع للنصارى والبيع لليهود والصلوات للصائبين والمساجد للمسلمين عن أبى العالية -رضى الله عنه-.

ثانيها : الصوامع للنصارى وهى التى بنوها فى الصحارى والبيع لهم أيضاً وهى التى يبنونها فى البلد والصلوات لليهود، قال الزجاج وهى بالعبرانية صلواتا.

ثالثها : الصوامع للصائبين والبيع للنصارى والصلوات لليهود عن قتادة.

رابعها : أنها بأسرها أسماء المساجد عن الحسن، أما الصوامع فلأن المسلمين قد يتخذون الصوامع، وأما البيع فأطلق هذا الاسم على المساجد على سبيل التشبيه، وأما الصلوات فالمعنى أنه لولا ذلك الدفع لانتقطعت الصلوات ولخربت المساجد»^(١) ونرى أن أقرب الآراء رأى الزجاج لما يتفق مع الواقع التاريخى لليهود والنصارى.

(١٩) وفى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا﴾^(٢).

جاء التركيب (ضُرِبَ مَثَلٌ) مبنياً للمفعول ودلالته تبين لكم حالاً مستغربة أو قصة بديعة رائعة حقيقة بأن تسمى مثلاً وتسير فى الأمصار والأعصار أو جعل لله مثلاً أى مثل فى استحقاق العبادة وأريد بذلك ما حكى عنهم من عبادتهم^(٣).

(٢٠) وفى قوله تعالى : ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

^(١) فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٢٨٦.

^(٢) من الآية ٧٣ سورة الحج.

^(٣) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٣٣.

^(٤) الآية ٩٠ سورة الشعراء.

وقوله تعالى : ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾^(١).

وقوله تعالى ﴿وُبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾^(٢).

أتت التراكيب الثلاثة مبنية للمفعول - أما الآية الأولى والثانية فوردت في سورة الشعراء وأما الثانية فوردت في سورة (ق) بزيادة غير بعيد عن الآية الأولى.

ودل تركيب (وأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ) (وُبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ) "إن الجنة قد تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها ويفرحون بأنهم المحشورون إليها والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء. يمرأى منهم يتحسرون على أنهم المسوقون إليها"^(٣).

أما تركيب (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) فقليل فى دلالاته : «شروع فى بيان حال المؤمنين بعد النفخ وجمي النفوس إلى موقف الحساب أى قُرِبَتِ لِلْمُتَّقِينَ عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم محشورون إليها فائزون وقوله تعالى (غير بعيد) تأكيد للإزلاف أى مكاناً غير بعيد بحيث يشاهدونها أو حال كونها غير بعيد أى شيئاً غير بعيد ويجوز أن يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث أو لتأويل الجنة بالبستان»^(٤).

(٢١، ٢٢) وفى قوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾^(٥).

وقوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾^(٦).

^(١) الآية ٣١ سورة ق.

^(٢) الآية ٩١ سورة الشعراء.

^(٣) الرازى : مفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ١٤٧.

^(٤) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٥، ص ٦٢٣

^(٥) من الآية ٧١ سورة الزمر.

^(٦) من الآية ٧٣ سورة الزمر

أتى التركيبان (وسيق الذين كفروا إلى جهنم)، (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة)

ودل التركيب الأول على سوق الكفار إلى جهنم جماعات بالدفع والعنف أما التركيب الثانى فيدل على دخول المؤمنين الجنة فرحين مستبشرين ولكن تساءل الرازى : «فإن قيل السوق فى أهل النار للعذاب معقول، لأنهم أمروا بالذهاب إلى موضع العذاب والشقاوة لابد وأن يساقوا إليه، وأما أهل الثواب فإنما أمروا بالذهاب إلى موضع الكرامة والراحة والسعادة فأى حاجة إلى السوق ؟ قال : والجواب من وجوه :

الأول : إن المحبة والصدقة باقية بين المتقين يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(١) فإذا قيل لواحد منهم اذهب إلى الجنة فيقول لا أدخلها حتى يدخلها أحبائى فيتأخرون لهذا السبب فحينئذ يحتاجون أن يساقوا إلى الجنة.

الثانى : إن الذين اتقوا ربهم قد عبدوا الله تعالى لا للجنة، ولا للنار، فتصير شدة استغراقهم فى مشاهدة مواقف الجلال والجمال مانعة لهم عن الرغبة فى الجنة، فلا جرم يحتاجون إلى أن يساقوا إلى الجنة.

الثالث : إن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : أكثر أهل الجنة البُلهُ وعليون للأبرار، فلهذا السبب يساقون إلى الجنة.

الرابع : أن أهل الجنة وأهل النار يساقون إلا أن المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسير إذا سيق إلى الحبس والقيود والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنهم لا يُنْهَبُ بهم إلا راكبين، والمراد بذلك

(١) من الآية ٦٧ سورة الزخرف.

السوق لإسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على الملوك، فستان بين السوقين^(١).

(٢٣) وفي قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا﴾^(٢).

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾^(٣).

جاء التركيبان (فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) في وصف دخول الكافرين النار و(فتحت أبوابها) في وصف دخول المؤمنين الجنة وكان الفرق بين التركيبين الواو، فما فائدة ذلك ؟ ودلالته ؟

اختلف اللغويون في دلالة الواو هنا : ف قيل هي زائدة وقيل هي دلالة على معنى أنَّ النار لا تفتح للكافرين إلا إذا أتوا إليها ليفاجؤوا بالأهوال أما المؤمنون فتُفتح لهم أبواب الجنة قبل أن يدخلوها فتكون عمدة لنعيمهم تستقبلهم بالترحاب. وقيل وهي واو الثمانية.

قال الرازي : فإن قيل قال في أهل النار فتحت أبوابها بغير الواو وقال ههنا بالواو فما الفرق ؟

قلنا : الفرق إن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها فأما أبواب الجنة ففتحها يكون متقدماً على وصولهم إليها بدليل قوله تعالى : ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾^(٤). فلذلك جيء بالواو كأنه قيل حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها^(٥).

(١) الرازي : مفاتيح الغيب، ج١٣، ص ٤٨.

(٢) من الآية ٧١ سورة الزمر.

(٣) من الآية ٧٣ سورة الزمر.

(٤) من الآية ٥٠ سورة ص.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٣، ص ٤٨٢.

وقال العكبرى : وَفُتِحَتْ : الواو زائدة عند قوم، لأن الكلام جواب حتى، وليست زائدة عند المحققين، والجواب محذوف تقديره، اطمأنوا ونحو ذلك^(١) :

وقد قرئ الفعل (وفتحت) بالتشديد والتخفيف قال ابن خالويه : (فُتِحَتْ أبوابها - وفتحت أبوابها) يقرآن بالتشديد والتخفيف فالحجة لمن شدد أنه أراد تكرير الفعل، لأن كل باب منها فُتِحَ.. ودليله إجماعهم على التشديد في قوله تعالى: ﴿وَعَلَقْتَ الْأَبْوَابَ﴾^(٢). وقوله تعالى : ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾^(٣).

والحجة لمن خفف أنه دل بذلك على فتحها مرة واحدة، فكان التخفيف أولى، لأن الفعل لم يتردد ولم يكثر، فإن قيل فما وجه إدخال الواو في إحداهما دون الآخر، قيل فيه غير وجه - قال قوم هي زائدة - وقال آخرون العرب تعد من واحد إلى سبع وتسميه عشراً ثم يأتون بهذه الواو فيسمونها واو العشر ليدلوا بذلك على انقضاء عدد مثل قوله تعالى ﴿الَّتَائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٤).

وقوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾^(٥).

ولكن ما ذكره ابن خالويه فيه خلط فهو يسميها واو العشرة ولكنها عند كثير من النحويين واو الثمانية وقد ضعف هذا الرأي كثير من اللغويين والرأي

(١) العكبرى : إملأ ما من به الرحمن، حـ، ١، ص ٢١٦.

(٢) من الآية ٢٣ سورة يوسف.

(٣) من الآية ٥٠ سورة ص.

(٤) من الآية ١١٢ سورة التوبة.

(٥) من الآية ٢٢ سورة الكهف، وانظر ابن خالويه في الحجة في القراءات السبع، ص ٣١١.

الأقوى هو ما ذكره المحققون بأن الجنة تفتح للمؤمنين قبل وصولهم إليها أما النار فلا تفتح للكفار إلا عند معابنتهم لها ليكون الخطب شديد والألم عسير^(١).

(ب) نائب الفاعل اسم ظاهر وقبله جار ومجرور :

أتى نائب الفاعل اسماً ظاهراً في كثير من تراكيب القرآن العظيم وقبله جار ومجرور ولم يَقُمْ الجار والمجرور مقام الفاعل ولكن حلّ المفعول به محلّ الفاعل في هذه التراكيب وقد اختلف اللغويون والمفسرون في دلالة بعض هذه التراكيب باختلاف القراءات فيها :

(١) قوله تعالى : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾^(٢).

أتى التركيبان هنا مبنيان للمفعول وكان نائب الفاعل اسماً ظاهراً وقبله جار ومجرور (منها).

وقد قرئ الفعل (يقبل) بالتذكير والتأنيث قرأ ابن كثير وأبو عمرو ابن العلاء (ولا تُقْبَلُ) بالتاء وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ولا يُقْبَلُ بالياء. فأما من قرأ (ولا تُقْبَلُ) فألحق علامة التأنيث لأن الاسم الذي أسند إليه هذا الفعل مؤنث وأما من لم يلحق التأنيث في الفعل وذلك لأن التأنيث في الاسم غير حقيقي وقد قوى عدم التأنيث الفصل بين الفعل ونائب الفاعل المؤنث غير الحقيقي (منها)^(٣).

^(١) انظر في تفصيل ذلك أبو السعود في تفسيره، مجلد ٤، ص ٤٧٧، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٤٧٤، والرازي في مفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ٤٨، وابن قيم الجوزية في بدائع الفوائد، ج ٣، ص ٥٥٤.

^(٢) من الآية ٤٨ سورة البقرة.

^(٣) انظر القراءات المختلفة في الآية الكريمة :

ابن خالويه : في الحجة في القراءات السبع، ص ٧٦.

وأبو علي الفارسي : في الحجة في علل القراءات السبع، ج ٢، ص ٤٥، ٤٦.

(٢) وفى قوله تعالى ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَىٰ تَفَادَوْهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾^(١).

أتى التركيب (وهو مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ) مبنياً للمفعول وقد اختلف النحويون فى أوجه إعراب التركيب ونلاحظ أن اسم المفعول (مُحَرَّمٌ) عملٌ عمَلُ الفعل المبني للمفعول وتقدير الجملة وهو حُرِّمَ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ.

أما أوجه الإعراب فى هذا التركيب^(٢) :

الوجه الأول : يكون (هو) ضمير الشأن فى محل رفع مبتدأ ومحرم خبر مقدم - وبه ضمير يقوم مقام الفاعل وإخراج مبتدأ مؤخر - والجملة من المبتدأ والخبر الثانى فى محل رفع خبر المبتدأ الأول (هو).

الوجه الثانى : أن يكون هو ضمير الشأن أيضاً ومحرم خبره وإخراج مرفوع على أنه مفعول لم يُسَمَّ فاعله وهذا مذهب الكوفيين وإنما قرؤا إلى هذا الوجه، لأن الخبر المتحمل ضميراً مرفوعاً عندهم لا يجوز تقديمه على المبتدأ وهذا الوجه ممنوع عند البصريين لأن ضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة^(٣).

الوجه الثالث : (هو) كناية عن الإخراج وهو مبتدأ ومحرم خبره وإخراجهم بدل منه.

والوجه الرابع : ذكر الفراء رأس الكوفة أن (هو) يجوز أن يكون عماداً (ضمير الفصل عند البصريين) قدّم مع الخبر والتقدير، وإخراجهم هو محرم عليكم

(١) من الآية ٨٥ سورة البقرة.

(٢) انظر فى تفصيل هذه الآراء :

مكى بن أبى طالب فى مشكل إعراب القرآن، ج١، ص ٢١٢.

والعكرى فى التبيان فى إعراب القرآن، ج١، ص ٤٩.

والسمين الحلبي فى الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، ج١، ص ٤٨٢، ٤٨٧، وأبو حيان

الأندلسى فى تفسير البحر المحيط، ج١، ص ٢٩٢.

(٣) إليسمين الحلبي : الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، ج١، ص ٤٨٥.

فإخراجهم مبتدأ، ومحرم خبره، وهو عماد وقد رفض هذا رأى البصريون^(١).

ونرى أن أقرب الآراء للدلالة هنا أن يكون (هو) ضمير الشأن - ومحرم خبره وإخراج نائب فاعل فى رأى الكوفيين لأنه به تيسيراً للمعنى وتوضيحاً للدلالة.

(٣) وفى قوله تعالى : ﴿سَأَلْتُمُ الضُّلَّةَ﴾^(٢).

وفى قوله تعالى : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾^(٣).

جاء التركيبان وقد بنى الفعل للمفعول فيهما ونائب الفاعل (الذل) و(المسكنة) مسبوқан بجار ومجرور.

قيل .. ومعنى ضربت أى ألزموها وقضى عليهم بها من ضرب القباب والذلة الصغار، والذل بالضم ما كان عن قهر، وبالكسر ما كان بعد شماس من غير قهر، والمسكنة مفعلة من السكون، لأن المسكين قليل الحركة والنهوض، لما به من الفقر^(٤).

(٤) وفى قوله تعالى : ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٥).

أتى التركيب (أن يُنَزَّلَ عليكم من خير من ربكم : مبنياً للمفعول والقائم

(١) الفراء : معانى القرآن، ج١، ص ٥١.

(٢) من الآية ٦١ سورة البقرة.

(٣) من الآية ١١٢ سورة آل عمران.

(٤) السمين الحلبي : الدر المنون فى علوم الكتاب المكنون، ج١، ص ٣٩٦.

(٥) من الآية ١٠٥ سورة البقرة.

مقام الفاعل هو (من خير) لأن مِنْ زائدة وخير نائب فاعل مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد.

قال "مكي بن أبى طالب": «من خير من ربكم؛ خير فى موضع رفع مفعول لم يُسمَّ فاعله يَنْزُلُ ومن زائدة لتأكيد النفي»^(١).

وقال "أبو السعود" فى تفسيره: «أَنْ يُنْزَلَ فى حيز النصب على أنه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعيين الفاعل والتصريح الآتى فى قوله تعالى (من خير) هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفي وإن لم يباشره ظاهراً لكنه منسحب عليه معنى والخير الوخى»^(٢).

وقال "الزمخشري" فى الكشاف: «من فى قوله تعالى: (من أهل الكتاب) بيانية، وفى قوله: (من خير) مزيدة لاستغراق الخير، وفى قوله: (من ربكم) لابتداء الغاية»^(٣).

(٥) وفى قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾^(٤).

أتى التركيب (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ) والقائم مقام الفاعل (حُبُّ) مسبوق بشبه جملة.

قال "أبو السعود": «كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحفظ الدنيوية بأصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى أثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس. و(حُبُّ الشهوات)

(١) مكي بن أبى طالب: مشكل إعراب القرآن، ج١، ص ١٠٨.

(٢) أبو السعود: تفسير أبو السعود، ج١، ص ١٧٣.

(٣) الزمخشري: الكشاف، ج١، ص ١٤٣.

(٤) من الآية ١٤ سورة آل عمران.

المراد هنا المشتبهات عبّر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتبهة مرغوبة فيها كأنها نفس الشهوات أو إيداناً بانهماكهم في حبّها بحيث أحبوا شهواتها. وإشار صيغة المبنى للمفعول للجري على سنن الكبرياء»^(١).

«وقد قرئ زَيْن مَبْنِيًّا للمفعول وُقُرئ زَيْنَ بالبناء للفاعل والجمهور على ضم الزاي ومن قرأ بالبناء للفاعل والمزين الشيطان وبه قرأ الضحاك.

وقد اختلفوا في المزين في قراءة المبنى للمفعول قيل هو الحق تعالى وقيل الشيطان وبه قال الحسن ووجه تزيين الله تعالى لها ابتلاء عباده»^(٢).

(٦) وفي قوله تعالى : ﴿وَمُذَيَّبُوا الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾^(٣).

أتى التركيب (لو تسوى بهم الأرض) مبنياً للمفعول وقرئ الفعل (تُسَوَّى) بالبناء للمفعول وبالبناء للفاعل وأتى نائب الفاعل (الأرض) مسبوقاً بجارٍّ ومجرور. قال "البنا الديمياطي" في القراءات (عن الفعل تُسَوَّى) :

«واختلف في (تُسَوَّى) فحمزة والكسائي وخلف بفتح التاء وتخفيف السين، مع الإمالة، وافقهم الأعمش وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، بفتح التاء وتشديد السين بلا إمالة إلا الأزرق، فبالفتح والتقليل وافقهم الحسن. والباقون بضم التاء، بلا إمالة وتخفيف السين مبنياً للمفعول»^(٤).

والمعنى على قراءة من بنى الفعل للفاعل أن الأرض هي التي تسوى بهم :

^(١) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ١، ص ٣٣٦، ٣٣٧.

^(٢) انظر العكبري: إملاء ما من به الرحمن، ج١، ص ١٢٧، والشوكاني: في فتح القدير، ج١، ص ٤٨٢.

^(٣) من الآية ٤٢ سورة النساء.

^(٤) البنا الديمياطي : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ج١، ص ٥١٢، وانظر أبو زرعة في

حجة القراءات، ص ٢٠٣.

أى أنهم تمّتوا لو انفتحت لهم الأرض فساخروا فيها وقيل الباء فى (بهم) بمعنى على :

أى تسوى عليهم الأرض.

وأما من قرأ بالفعل مبنياً للمفعول فيكون المعنى يودّون لو سوى الله بهم الأرض فيجعلهم والأرض سواء حتى لا يُعْتَبَرُوا^(١).

وقال "أبو السعود" : «إن جعلت لو مصدرية فالجملة مفعول ليدون أى يودّون أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموت وقيل يودّون أنهم لم يُعْتَبَرُوا أو لم يُخْلَقُوا وكأنهم والأرض سواء. وقيل تصير البهائم ترأباً فيودّون حالها. وإن جُعِلَتْ جارية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه أى يودّون تسوية الأرض بهم وجواب لو أيضاً محذوف إيداناً بغاية ظهوره أى لسُرُّوا بذلك»^(٢).

(٧) وفى قوله تعالى : ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةٌ﴾^(٣).

أتى الفعل (أَحَلَّ) مبنياً للمفعول ونائب الفاعل (بهيمة) وفصل بينه وبين الفعل شبه الجملة (الجار والمجرور).

واختلف المفسرون فى دلالة نائب الفاعل؛ فالبهيمة اسم لكل ذى أربع، سُمِّيت بذلك لإبهامها من جهة نقص نطقها وفهمها وعدم تمييزها وعقلها.

والأنعام : اسم للإبل والبقر والغنم.

وقال الراغب : «إن تسمية الإبل بذلك لأنها عندهم أعظم نعمة ولا يقال لها أنعام حتى يكون فى جملتها الإبل»^(٤).

وقال الإمام الطبرى : «قال قوم بهيمة الأنعام وحشيها كالظباء وبقر

(١) الشوكانى : فتح القدير، ج١، ص ٦٩٨.

(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٩، ص ٥٢٣.

(٣) من الآية ١ سورة المائدة.

(٤) الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن، كتاب النون.

الوحش والحُمُر وغير ذلك، وحكاه غيره عن السدّي والربيع وقتادة والضحاك، كأنه قال أُحِلَّتْ لَكُمْ فأضيف الجنس إلى أخص منه. قال ابن عطية: وهذا قول حسن^(١). ونرى أن هذا هو القول المتساق مع المعنى القرآني. وقيل بهيمة الأنعام: ما لم تكن صَيِّدًا لأن الصيد يسمى وحشًا لا بهيمة، وقيل بهيمة الأنعام: الأجنة التي تخرج عند الذبح لبطون الأنعام فهي تؤكل من دون زكاة^(٢).

وقال أبو السعود في دلالة نائب الفاعل هنا: «البهيمة كل ذات أربع، وإضافتها إلى الأنعام للبيان كثوب الخز، وإفرادها لإرادة الجنس؛ أي أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية المعدودة في سورة الأنعام وألحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما، وقيل هي المرادة بالبهيمة. ها هنا لتقديم بيان حل الأنعام والإضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الأنياب، وفائدتها الإشعار بعلّة الحكم المشترك بين المضافين؛ كأنه قيل: أُحِلَّتْ لَكُمْ البهيمة الشبيهة بالأنعام التي بين إحلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مرّ من إظهار العناية بالمقدم لما فيه تعجيل المسرّة والتشويق إلى المؤخّرة فإن ما حقه التقديم إذا أحرّ تبقى النفس مترقبة إلى وروده فيتمكن عندها فعل تمكّن^(٣)».

(٨) وفي قوله تعالى ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾^(٤)

أتى التركيب هنا مبنياً للمفعول ونائب الفاعل (أبواب) وأصله المفعول به. وقد اختلف القراء في قراءة الفعل (تفتح) بالتاء والياء وبالتخفيف والتشديد، كما يلي:

(١) الطبري: تفسير الطبري جـ ٢ ص ١٢٣، وانظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٦٥٣، ٦٥٤.

(٢) الشوكاني: فتح القدير، جـ ٢ ص ٧.

(٣) أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٢ ص ٣٢٢.

(٤) من الآية ٤٠ سورة الأعراف.

قال الفراء: «ولا يُفْتَح وتُفْتَح وإنما يجوز التذكير والتأنيث في الجمع لأنه يقع عليه التأنيث فيجوز فيه الوجهان وربما آثرت القراء أحد الوجهين، أو يأتي ذلك في الكتاب بوجه فيرى من لا يعلم أنه لا يجوز غيره وهو جائز. ومعنى (لا تفتَح لهم أبواب السماء): لا تصعد أعمالهم، ويقال إن أعمال الفجار لا تصعد ولكنها مكتوبة في صخرة تحت الأرض، وهى التى قال الله تبارك وتعالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾^(١).

وقال ابن مجاهد: «قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر: (لا تُفْتَح) بالتاء والتشديد، وقرأ أبو عامر (لا تُفْتَح) بالتاء الخفيفة ساكنة الفاء، وقرأ حمزة والكسائي (لا يُفْتَح) بالياء خفيفة ساكنة الفاء»^(٢).

وقيل معنى التركيب: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا، وقيل لا تفتح أبواب السماء لأدعيتهم إذا دعوا وهذا رأى مجاهد والنخعي. وقيل لأعمالهم: أى لا تقبل بل تُردّ عليهم فيضرب بها فى وجوههم. وقيل المعنى أنها لا تفتح لهم أبواب الجنة يدخلونها لأن الجنة فى السماء.^(٣) ونرى ما ذكره المفسرون قريباً فى الدلالة وأن أقرب ما يكون إلى المعنى هنا هو أنه لا تفتح لهم الملائكة أبواب السماء فلا يقبل دعاؤهم ولا أعمالهم فتكون النهاية جهنم وبئس القرار.

(٩) وفى قوله تعالى: ﴿يَوْمُ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ تَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾^(٤).

^(١) الفراء: معاني القرآن، جـ ١ ص ٣٨٩. والآية رقم ٧ سورة المطففين.

^(٢) ابن مجاهد: السبعة ص ٢٨٠.

^(٣) الشوكاني: فتح القدير، جـ ٢، ص ٢٩٠.

^(٤) من الآية ٣٥ سورة التوبة.

جاء التركيب (يوم يحمى عليها في جهنم) مبنياً للمفعول ولكن نائب الفاعل هو شبه الجملة، وسوف نأتى إليه إن شاء الله في إبانته. أما التركيب (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) فجاء مبنياً للمفعول، وكانت (الجباه) مفعولاً به فحوّلت إلى نائب فاعل. وفي دلالة التركيب تساءل "فخر الدين الرازى": لِمَ خُصَّتْ هذه الأعضاء بالكي؟

قال: «الجبواب لوجوه. الوجه الأول: إن المقصود من كسب الأموال حصول فرح في القلب يظهر أثره في الوجوه، وحصول شبع يتفخ بسببه الجنبان، ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم؛ فلما طلبوا تزيين هذه الأعضاء الثلاثة لا جرم حصل الكي على الجباه والجنوب والظهور. الوجه الثاني: إن هذا الأعضاء الثلاثة مجوّفة، قد حصل في داخلها آلات ضعيفة يعظم تألمها بسبب وصول أدنى أثر إليها بخلاف سائر الأعضاء. الوجه الثالث، قال أبو البكر الوراق: خصّت هذه المواضع بالذكر لأن صاحب المال إذا رأى الفقير يجنيه تباعد عنه وولى ظهره عنه»^(١)

وقال الإمام القرطبي: «والكي في الوجه أشهر وأشنع، وفي الجنب والظهر آلم وأوجع؛ فلذلك خصّها بالذكر من بين سائر الأعضاء.

وقال علماء الظاهر: إنما خصّ هذه الأعضاء لأن الغنى إذا رأى الفقير زوى ما بين عينيه وقبض وجهه، وإذا سأله طوى كشّحه، وإذا زاده في السؤال وأكثر عليه ولأه ظهره؛ فرتّب الله العقوبة على حال المعصية»^(٢).

(١٠) وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ شَرَّ أَسْتَعْجَالِهِمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾^(٣).

^(١) الإمام فخر الدين الرازى: مفاتيح الغيب، ج ٧ ص ٦٥٠.

^(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٨ ص ٢٩.

^(٣) من الآية ١١ سورة يونس.

جاء التركيب (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ) مبنياً للمفعول وحلّ المفعول (أجل) محلّ الفاعل فى التركيب. وقرأ ابن عامر وحده (قضى) بفتح القاف و(أجلهم) بالنصب^(١).

وقال ابن خالويه فى الحجة: «(لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ) يقرأ بضم القاف والرفع، ويفتحها والنصب، والحجة لمن ضم القاف أنه بنى الفعل لما لم يسم فاعله فرفع به المفعول به، والحجة لمن فتح القاف أنه أتى بالفعل على بناء ما سمى فاعله، وأضمر الفاعل فيه ونصب المفعول بتعدى الفعل إليه»^(٢).

وفى إثبات صيغة المبنى للمفعول جرى على سنن الكيراء مع الإيذان بتعيين الفاعل^(٣).

(١١) وفى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾^(٤).

جاء التركيب (مجموع له الناس) مبنياً للمفعول فقد عمل اسم المفعول (مجموع) عمل الفعل المبني للمجهول (جُمِعَ) وحلّ المفعول (الناس) محلّ الفاعل ليصير نائباً للفاعل. وبذلك يكون (ذلك) فى محل رفع مبتدأ و(يوم) خبره، و(مجموع) صفة لـ(يوم) والناس مرفوع بمجموع نائب فاعل^(٥).

وأما قول ابن عطية بأن (الناس) مبتدأ مؤخر و(مجموع) خبر مقدم فرأى ضعيف لا يتساوق مع المعنى القرآنى العظيم^(٦)؛ وذلك لأن الحق تعالى قال (مجموع) فأفرد، ولو كان خبراً مقدماً لكان التركيب (ذلك يوم مجموعون له الناس) وهذا

(١) ابن مجاهد: السبعة، ص ٣٢٣.

(٢) ابن خالويه: الحجة فى القراءات السبعة، ص ٣٢٣.

(٣) أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٢، ص ٤٧٢.

(٤) من الآية ١٠٣ سورة هود.

(٥) العكبرى: التبيان فى إعراب القرآن، ج ٢، ص ٤٥١.

(٦) أبو السعود، تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٦٨.

لا يتناسب مع النظم القرآنى الفريد.

(١٢) وفى قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾^(١).

أتت التراكيب (سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ - قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ - كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) مبنية للمفعول، وحل المفعول به (الجبـال - الأرض - الموتى) محل الفاعل ليصير نائباً للفاعل. ونلاحظ فى هذه الآية القرآنية العظيمة أن جواب لو مقدّر فى أقوى الآراء، وأن التركيب الثالث (كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) لم يقترن فعله بتاء التانيث رغم أن التركيبين السابقين بهما تاء التانيث؛ وذلك يحتاج إلى بيان:

قال الفراء رأس الكوفة: «و لم يأت بعده جواب لـ(لو)، فإن شئت جعلت جوابها متقدماً: وهم يكفرون ولو أنزلنا عليهم الذى سألوا. وإن شئت كان جوابه متروكاً لأن أمره معلوم والعرب تحذف جواب الشيء إذا كان معلوماً؛ إرادة الإيجاز، كما قال الشاعر:

وأقسم لو شيء أتانا رسوله
سواك ولكن لم نجد لك مدفعاً^(٢)»

وقال العكبرى: «جواب لو محذوف، أى لكان هذا القرآن. وقال الفراء: جوابه مقدم عليه أى وهم يكفرون بالرحمن، ولو أن قرأنا على المبالغة (أو كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) الوجه فى حذف التاء من هذا الفعل مع إثباتها فى الفعلين قبله أن (الموتى) يشتمل على المذكر الحقيقى والتغليب له فكان حذف التاء أحسن، والجبـال والأرض ليسا كذلك»^(٣).

^(١) من الآية ٣١ سورة الرعد.

^(٢) الفراء: معانى القرآن، حـ٢، ص ٦٣.

^(٣) العكبرى: إملأ ما من به الرحمن، حـ٢، ص ٦٤.

وقال القرطبي: «والجواب محذوف تقديره: لكان هذا القرآن؛ لكن حذف إيجازاً لما في ظاهر الكلام من الدلالة عليه، كما قال امرؤ القيس:

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا

يعنى لكان على. هذا معنى قول قتادة.

قال: لو فعل هذا قرآن قبل قرآنكم لفعله قرآنكم.

وقيل الجواب متقدم، وفي الكلام تقديم وتأخير، أى وهم يكفرون بالرحمن لو أنزلنا القرآن وفعلنا بهم ما اقترحوا.

الفراء: يجوز أن يكون الجواب (لو فعل بهم هذا لكفروا بالرحمن)

الزجاج: (ولو أن قرآنًا) إلى قوله (الموتى) لما آمنوا، والجواب المضمّر هنا مما أظهر في قوله: ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة إلى قوله: ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله^(١).

ونلاحظ أن العكبري والقرطبي ذكرا رأيا واحداً للفراء مع أنه ذكر وجهين للجواب (محذوف أو مقدم)، ونلاحظ أنه رجّح أن يكون الجواب محذوفاً مثل السماع عن العرب وهذا من تدليس الشيخين على الفراء.

وقال أبو السعود في دلالة هذا التراكيب القرآنية: «ولو أن قرآنًا: أى قرآنًا ماء، وهو اسم إنَّ والخبر قوله تعالى: (سيرت به الجبال) وجواب لو محذوف لانسياق الكلام إليه بحيث يتلقفه السامع من التالى، والمقصود إما بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأى الكفرة حيث لم يقدرُوا قدرة العلى ولم يعدّوه من قبل الآيات فاقترحوا غيره مما أوتى موسى وعيسى عليهما السلام، وأما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الأول: لو أن قرآنًا سُرّيت به الجبال، أى بإنزاله وتلاوته عليها، وزعزعت عن مقارّها، كما فعل ذلك بالطور

^(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٩، ص ٦٨٩.

لموسى عليه السلام. (أو قطعت به الأرض) أى شَقَّتْ وجعلت أنهاراً وعبوناً كما فعلت بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه أو جُعِلَتْ قِطْعاً متصدعة. (أو كَلَّمَ به الموتى) أى بعد أن أحيا بقراءته عليها كما أُحْيِيَتْ لعيسى عليه السلام؛ لكان هذا القرآن لكونه الغاية القصوى فى الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(١)، لا فى الإعجاز إذ لا مدخل له فى هذه الآثار ولا فى التذكير والإنذار والتخويف؛ لاختصاصها بالعقلاء مع أنه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول إليها بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور فى المواضع الثلاثة على المرفوع لما مرَّ غير مرة من قصد الإبهام. ثم التفسير لزيادة التكرير لأن بتقديم ما حقه التأخير تبقى النفس مستشرقة مترقبة إلى المؤخر أنه ماذا؟ فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن، وكلمة (أو) فى الموضعين لمنع الخلط لا لمنع الجمع. واقتراحهم، وإن كان متعلقاً بمجرد ظهور مثل هذه الأفاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكان ذلك حيث كان مهنياً على عدم اشتماله فى زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة فى بيان اشتماله عليها، وأنه حقيق أن يكون مصدر الكل خارق، وإبانة لركاكة رأيهم فى شأنه الرفيع كأنه قيل لو أنَّ ظهور ما افترضوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذى لم يُعْلَوْه آية وفيه من تفخيم شأنه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى»^(٢).

(١٣) وفى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾^(٣).

(١) من الآية ٢١ سورة الحجر.

(٢) أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ١٦٥.

(٣) من الآية ٦ سورة الحجر.

وفى قوله تعالى : ﴿أَوُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾^(١).

أتى التركيبان (نُزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) (أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) مبنيان للمفعول، وقام المفعول به فى الأصل (الذكر) مقام الفعل، وتقدم الجار والمجرور عليه، ونلاحظ أن التركيب الأول جاء فيه الفعل بزيادة التضعيف؛ أما فى التركيب الثانى فتقدم عليه همزة الاستفهام وجاء مزيداً بالهمزة. وفى دلالة التركيبين وسبب تقديم الجار والمجرور على نائب الفاعل قال أبو السعود: «عن التركيب الأول: القائلون مشركو مكة، خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تسليماً لذلك واعتقاداً له بل استهزاء به عليه الصلاة والسلام، وإشعاراً بعله حكمهم بالباطل فى قولهم (إنك لمجنون) كدأب فرعون إذ قال: إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون. يعنون أنك تدعى مثل هذا الأمر البديع الخارق للعادة، إنك بسبب تلك الدعوى أو بشهادة ما يعتريك عندما تدعى أنه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لأن إنكارهم متوجه إلى كون النازل ذكراً من الله تعالى لا إلى كون المنزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِئِينَ عَظِيمٍ﴾^(٢)؛ فإن الإنكار هناك متوجه إلى كون المنزل عليه رسول الله تعالى وإيراد الفعل على صيغة المجهول لإيهام أن ذلك ليس بفعل له فاعل أو لتوجيه الإنكار إلى كون التنزيل عليه لا إلى استناده إلى الفاعل^(٣).

وفى التركيب الثانى: ﴿أَوُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾^(٤).

^(١) من الآية ٨، سورة ص.

^(٢) من الآية ٣١ سورة الزخرف.

^(٣) أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٢١٥.

^(٤) من الآية ٨ سورة ص.

قال الفراء: «وهى فى قراءة عبد الله (أم أنزل عليه الذكر) وهذا مما وصفت لك فى صدر الكتاب أن الاستفهام إذا توسط الكلام ابتدئ بالألف واللام، وإذا لم يسبقه كلام لم يكن إلا بالألف ويهل»^(١).

وقال أبو السعود: «أنزل عليه الذكر: أى القرآن من بيننا ونحن رؤساء الناس وأشرفهم كقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾»^(٢)، ومرادهم إنكار كونه ذكراً منزلاً من عند الله تعالى، وأمثال هذه المقالات الباطلة دليل على مناط تكذيبهم ليس إلا الحسد وقصر النظر على الخطام الدينوى»^(٣).

(١٤) وفى قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾^(٤).

أتى التركيب (يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) مبنياً للمفعول، وحل العذاب (المفعول به) محل الفاعل ومقدم عليه الجار والمجرور.

ونلاحظ أن الحق تعالى قال فى التى تليها: ﴿نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾^(٥)، فى مقابل قوله تعالى (يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) فعند إتياء الأجر ذكر المؤتى وهو الحق تعالى، وعند العذاب لم يصرح بالمُعَذَّب؛ فقال تعالى (يُضَاعَفْ). قال "الرازى": «لم يصرح بالمُعَذَّب إشارة إلى كمال الرحمة والكلام، كما أن الكريم الحى عند النفع يُظْهِر نفسه وفعله وعند الضر لا يذكر نفسه»^(٦).

(١) الفراء: معانى القرآن، ج٢، ص ٣٩٩.

(٢) من الآية ٣١ سورة الرخرف.

(٣) أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٤٢٩.

(٤) من الآية ٣٠ سورة الأحزاب.

(٥) من الآية ٣١ سورة الأحزاب.

(٦) الإمام فخر الدين الرازى: مفاتيح الغيب، ج١٢، ص ٥٩١.

وقال الألوسي: «وكأنه والله تعالى أعلم إنما قيل نزلتها أجزأها مرتين دون أن يضاعف لها الأجر كما قيل في المقابل (يُضَاعَفُ لها العذابُ ضِعْفَيْنِ) لأن أصل تضعيف الأجر ليس من خواصهن بل كل من عمل صالحاً من النساء والرجال من هذه الأمة يضاعف أجره؛ فأخرج الكلام مغايراً لما تقتضيه المقابلة رمزاً إلى تضعيف الأجر على طراز مغاير لطرز تضعيف العذاب مع تضمين الكلام المذكور الإشارة إلى الرحمة على جانب الغضب، وكفى بالتصريح بفاعل إتياء الأجر وجعله ضمير العظمة والتعبير عما يؤتون من النعيم بالأحر مع إضافته إلى ضمير هن مع خلو جملة تضعيف العذاب عن مثل ذلك شهداء على ما ذكر»^(١).

وقد قرئ الفعل (يُضَاعَفُ) بقراءات في السبعة تختلف فيها الدلالة.

قال ابن خالويه في الحجة: «يضاعف لها العذاب، يُقرأ بتشديد العين وفتحها (يُضَعَّفُ) ويُضَاعَفُ بالياء والنون، وإثبات الألف والتخفيف، فالحجة لمن قرأه بالياء والتشديد مع الفتح أنه جعله فعل ما لم يسم فاعله، وحذف الألف لقوله (ضعفين) ودليله قول العرب: ضَعَّفْتُ لَكَ الدِّرْهَمَ مِثْلَيْهِ. والحجة لمن قرأه بالنون والتشديد وكسر العين أنه جعله فعلاً أخبر به عن الله تعالى كإخباره عن نفسه، ونصب العذاب بوقوع الفعل عليه، أنه أخذه من ضوعف يضاعف، وهو فعل ما لم يُسم فاعله. والحجة لمن قرأه بالنون وإثبات الألف مع التخفيف أنه جعله من إخبار الله تعالى عن نفسه»^(٢).

أما من قرأ بهذه القراءات: «قرأ أبو عمرو (تُضَاعَفُ) بالنون المضمومة ونصب العذاب، وهذه قراءة ابن محيصن وهذه مفاعلة من واحد كطارقت النعل وعاقبت اللص. وقرأ نافع وحزمة والكسائي: (يُضَاعَفُ) بالياء وفتح العين، والعذاب

^(١) الألوسي: روح المعاني، ج ٢٢، ص ٢.

^(٢) ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

رفعاً، وهى قراءة الحسن وابن كثير وعيسى، وقرأ ابن كثير وابن عامر (نُضْعَفُ) بالنون وكسر العين المشددة والعذاب نصباً^(١).

وقد اختلف فى دلالة تضعيف العذاب أهو فى الدنيا أم فى الآخرة، وأقوى الآراء أنه فى الآخرة.

ال قرطبي: «قال مقاتل : هذا التضعيف فى العذاب إنما هو فى الآخرة لأن إتياء لأجر مرتين أيضاً فى الآخرة، وهذا حسن لأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم لا يأتين بفاحشة توجب حداً. وقال بعض المفسرين: العذاب الذى يوعدن به (ضعفين) هو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فكذلك الأجر. قال ابن عطية: وهذا ضعيف؛ اللهم إلا أن يكون أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا ترفع عنهن حدود الدنيا عذاب الآخرة على ما هو حال الناس عليه بحكم حديث عبادة بن الصمام وهذا أمر لم يرد فى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا حفظ تقرره. وأهل التفسير على أن الرزق الكريم الجنة، ذكره النحاس^(٢).

(١٥) وفى قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾^(٣).

أتى التركيب (مفتحة لهم الابواب) مبنياً للمفعول وعمل اسم المفعول (مفتحة) عمل الفعل المبنى للمفعول (فتح) وقام (الأبواب) مقام الفاعل وأصله مفعول به.

قال القراء: «ترفع الأبواب لأن المعنى: مفتحة لهم أبوابها. والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة فيقولون: مررت على رجل حسنة العين قبيح الأنف، والمعنى حسنة عينه قبيح أنفه.

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١-٢، ص ٣٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ١-٢، ص ٢٥٣.

(٣) الآية ٥٠ سورة ص.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾^(١).

فاللعنى والله أعلم: مأواه. ومثله قول الشاعر:

مَا وَلَدْتُكُمْ حَيَّةً بَنَى مَالِكٌ سِفَاحًا وَمَا كَانَتْ أَحَادِيثُ كَاذِبٍ

ولكن ترى أقدامنا في نعالكم وَأَنْفَنَا بَيْنَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ

ومعناه: نرى أنفسنا بين لحاكم وحواجبكم فى الشبه.

ولو قال: مفتحة لهم الأبواب، بنصب الأبواب على أن تجعل المفتحة فى

اللفظ للجنات وفى المعنى للأبواب، فيكون مثل قول الشاعر:

وَمَا قَوْمِي بِثَعْلَبَةِ بْنِ سَعْدٍ وَلَا بِفَزَارَةِ الشُّعْرِ الرَّقَابَا

ويروى والشعري رقابا

وقال عدى:

مَنْ وَلِيَّ أَوْ أَخَى ثِقَةٍ وَالْبَعِيدِ الشَّاحِطِ الدَّارَا

وكذلك تجعل معنى الأبواب فى نصبها كأنك أردت مفتحة الأبواب ثم

نوّنت فنصبته»^(٢).

وقال العكبرى: «(مفتحة) حال من جنات فى قول من جعلها معرفة

لإضافتها إلى عدن وهو علم، كما قالوا جنة الخلد وجنة المأوى، وقال آخرون هى

نكرة: والمعنى جنات إقامة؛ فتكون (مفتحة) وصفاً. وأما ارتفاع الأبواب ففيه ثلاثة

أوجه:

أحدها: هو (نائب فاعل) لمفتحة، والعائد محذوف أى مفتحة لهم الأبواب

(١) الآية ٣٩ سورة النازعات.

(٢) الفراء: معانى القرآن، ج٢، ص ٤٠٨.

منها. والثاني: هي بدل من الضمير في مفتحة وهو ضمير الجنات، والأبواب غير أجنبي منها لأنها من الجنة؛ تقول فتحت الجنة وأنت تريد أبوابها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾^(١). والثالث كالأول إلا أن الألف واللام عوض من الهاء العائدة، وهو قول الكوفيين وفيه بُعد^(٢).

وقال "الرازي" في دلالة هذا التركيب: «في قوله تعالى (مفتحة لهم الأبواب) وجوه؛ الأول: أن يكون المعنى أن الملائكة الموكّلين بالجنان إذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له أبوابها وحيّوه بالسلام، فيدخل كذلك محفوراً بالملائكة على أعز حال وأجمل هيئة. الثاني: أن تلك الأبواب كلما أرادوا انفتاحها انفتحت لهم، وكلما أرادوا انغلاقها انغلقَتْ لهم. الثالث: المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة ومسافة العيون فيها، ومشاهدة الأحوال اللذيذة الطيبة»^(٣)

(١) الآية ١٩ سورة النبأ.

(٢) العكبري: إملأ ما من به الرحمن، ج٢، ص ٢١٠.

(٣) فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج١٣، ص ٣٤٩.

الفصل الثالث

المبنى للمجهول ونائب الفاعل مصدر ظاهر أو مقدر

المبنى للمجهول ونائب الفاعل مصدر ظاهر أو مقدر

أتى المصدر اسماً ظاهراً نائباً للفاعل أو مفعولاً لما لم يسم فاعله فى مواضع قليلة فى القرآن العظيم ولكنه أتى مقدرًا فى مواضع كثيرة وقد اختلف النحويون فى ذلك ويرجع سبب الاختلاف بين البصريين والكوفيين بصفة خاصة إلى هل يجوز أن تقع الجملة نائباً للفاعل ؟ قال البصريون لا يجوز وأجاز ذلك الكوفيون ومن تابعهم وقد فصلنا ذلك فى التمهيد.

أما المصدر الظاهر فقد أتى بصورة لا تقدير فيها مرة واحدة فى القرآن العظيم فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾^(١) فقد أتى المصدر المبين لعدده نفخة نائباً للفاعل ولم يحل الجار والمجرور محل الفاعل لأن المعنى يتناسب مع المصدر لكى يحل محل الفاعل ولكن نلاحظ أن "أبأ السماك" قرأ بنصب (نفخة) على أن الجار والمجرور نائب للفاعل وبه قال "الزجاج"^(٢). وجاء المصدر مقدرًا ولكن دلت عليه صفته فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى﴾^(٣) وتقدير التركيب ثم نفخ فيه نفخة أخرى وقد حسن الحذف لدلالة أخرى عليه ولكونها معلومة ولأن قبله ﴿فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٤) وقد أتى المصدر مقدرًا بالمعنى أو بالتضمنين فى آية واحدة فى سورة البقرة وجاء مقدرًا مضمراً فى آيات كثيرة بعد (قيل) و(حيل) ولكن اختلف النحويون فى نائب الفاعل فى هذه الآيات الكريمة وفى ذلك بيان.

(١) الآية ١٣ سورة الحاقة.

(٢) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج٥، ص ٤٠٠.

(٣) من الآية ٦٨ سورة الزمر.

(٤) من الآية ٦٨ سورة الزمر.

(١) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَعْهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١).

أتى الفعل (عُفِيَ) مبنى للمفعول وقد اختلف فى كلمة (شَيْءٌ) هل هو مفعول به حل محل الفاعل أو مصدر حل محل الفاعل بمعنى عَفُوَّ يَسِيرُ وفى ذلك بيان.

قال "الزمخشري": قوله تعالى: (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ..) فإن قلت: إنَّ عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عُفِيَ له قلت: يتعدى بعن إلى "الجاني" وإلى الذنب فيقال: عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾^(٣) فإذا تعدى إلى الذنب و"الجاني" معاً قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول: عفوت له عن ذنبه، وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما فى الآية الكريمة: كأنه قيل: فمن عُفِيَ له عن جنايته، فاستغنى عن ذكر الجناية فإن قلت لم قيل: شَيْءٌ من العفو؟ قلت للإشعار بأنه إذا عُفِيَ له طرف من العفو، وبعض منه، بأن يُعْفَى عن بعض الدم، أو عفا عنه بعض الورثة، ثم العفو وسقط القصاص ولم يَجِب الدية^(٤).

وقال العكبري: (من أخيه) (مِنْ) كناية عن ولى القاتل: أى من جعل له من دم أخيه وهو القصاص أو الدية (شَيْءٌ) كناية عن ذلك المستحق وقيل (من) كناية عن القاتل والمعنى إذا عُفِيَ عن القاتل قُبِّلَتْ منه الدية وقيل شَيْءٌ بمعنى المصدر أى

^(١) من الآية ١٧٨ سورة البقرة.

^(٢) من الآية ٤٣ سورة التوبة.

^(٣) من الآية ١٠١ سورة المائدة.

^(٤) الزمخشري: نكت الإعراب فى عريب القرآن فى القرآن الكريم تقديم وتحقيق د. محمد أبو الفتوح شريف، ص ١٠٠، وانظر الزمخشري أيضاً فى الكشف، ج ١، ص ٣٣٢ وانظر أبو حيان الأندلسي فى البحر المحيطة، ج ٢، ص ١٢ والامام فخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٣٤.

من عُفِيَ له من أخيه عفو كما قال تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾^(١) أى ضيراً^(٢).

وقال "أبو السعود" أى شىء من العفو لأن عفا لازم وفائدته الإشعار بأن بعض العفو بمنزلة كله فى إسقاط القصاص وهو الواقع أيضاً فى العادة إذ كثيراً ما يقع العفو من بعض الأولياء فهو بشىء من العفو وقيل معنى عفا ترك وشىء مفعول به وهو ضعيف إذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل أعفاه وحمل العفو على المحو فى قول من قال:

ديار عفاها جور كل معاند وتولّى

عفاها كل حنّان كثير الوَبَل هطّال

فيكون المعنى فمن محاله من أخيه شىء صرف للعبارة المتداولة فى الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود إلى ما ليس بمعهود فيهما وفى استعمال الناس فإنهم لا يستعملون العفو فى باب الجنايات إلا فيما ذكر من قبل^(٣).

«وقد ذهب "ابن هشام" إلى أن (شىء) هنا مصدر قال والتقدير والله أعلم فأى شخص من القاتل عُفِيَ له عَفْوُ ما من جهة أخيه»^(٤).

إذن نحن هنا أمام رأيين رأى يقول بأن (شىء) أصله مفعول به وهو ضعيف كما رأينا ورأى يقول (شىء) هنا بمعنى عفو يسير وهو أقرب إلى سياق الموقف فى الآية الكريمة.

١- أما المصادر التى أتت مقدرة فى رأى بعض النحويين (بعد قيل - وحيل) فقد أتت فى مَظَانٍ كثيرة فى القرآن العظيم وهذا بيان لنماذج عديدة منها :

^(١) من الآية ١٢٠ سورة آل عمران.

^(٢) أنظر العكبرى فى إملاء ما فنّ به الرحمن، ج١، ص ٧٨.

^(٣) أبو السعود: تفسير أبو السعود، ج١، ص ٢٣١.

^(٤) ابن هشام: شرح شذور الذهب، ص ١٦٠.

منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾^(٣).

وإذا أخذنا تركيباً من هذه التراكيب التي ابتدأت بـ (قيل) ومنها مثلاً التركيب الأول وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض نجد أن الفعل (قيل) قرئ بكسر القاف وضمها والإشمام قال "أبو علي الفارسي": «اختلفوا في ضم أوائل هذه الحروف وأحواتها، وكسرها، فقرأ "الكسائي" قيل، وغيض وسيئ، وحيل، وسقي، وجيء، بضم أول ذلك كله».

وكان "نافع" يضم من ذلك حرفين، سبيء، وسيئت، ويكسر ما بقي، وكان "ابن عامر" يضم أول سيق وسبيء وسيئت وحيل، ويكسر غيض وجيء في كل القرآن الغين والجيم، والقاف هذه رواية "ابن ذكوان" (م ٢٤٢ هـ) عنه. «وكان "ابن كثير" وعاصم وأبو عمرو وحمزة يكسرون أوائل هذه الحروف»^(٤).

«وقال ابن خالويه عن قوله تعالى: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) يُقرأ وما شاكله من الأفعال بالكسر، وبإشمام أوله الضم فالحجة لمن كسر أوله أنه استقل الكسر على الواو التي كانت عين الفعل في الأصل، فنقلها إلى فاء الفعل

(١) من الآية ١١ سورة البقرة.

(٢) من الآية ١٣ سورة البقرة.

(٣) من الآية ٩١ سورة البقرة.

(٤) أبو علي الفارسي. الحجة في علل القراءات السبع، ج ١، ص ٢٦٣.

بعد أن أزال حركة الفاء، فانقلبت الواو لانكسار ما قبلها كما قالوا ميزان وميعاد فمن ضَمَّ فالحجة له؛ أنه بقى على فعل ما لم يسم فاعله، دليلاً فى الضم، لئلا يزول بناؤه.. وقد قرأ بعض القراء ذلك بكسر بعض، وضَمَّ بعض فالحجة له فى ذلك ما قدَّمناه، من إثباته باللغتين معاً»^(١).

«وكان "الفراء" يقول : أهل الحجاز من قريش ومن جاورهم من بنى كنانة يكسرون الفاء فى قيل وجيء وغيض وكثير من عُقِيلٍ ومن جاورهم وعامة أسد يشمون إلى الضم من قيل وجيء»^(٢).

وقال "السمين الحلبي" فى الآراء عن نائب الفاعل هنا (وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض) اللام للتبليغ والقائم مقام الفاعل هو الجملة من قوله (لا تفسدوا) (لأنه هو المفعول فى المعنى).

واختاره "الزمخشري" فى الكشف^(٣).

والتقدير: وإذا قيل لهم هذا الكلام أو هذا اللفظ فهو من باب الإسناد اللفظى.

وقيل القائم مقام الفاعل مضمرة تقديره وإذا قيل لهم قول هو، ويفسر هذا المضمرة سياق الكلام كما فسرته فى قوله تعالى ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾^(٤) والشاهد فيه إضمار توارت وهو الشمس لدلالة الحال والمعنى وإذا قيل لهم قول شديد فأضمر هذا القول الموصوف، وجاءت الجملة بعده مفسرة فلا موضع لها من الأعراب.

^(١) ابن خالويه: الحجة فى القراءات السبع، ص ٦٩.

^(٢) أبو الفرج بن الجوزى: زاد المسير فى علم التفسير، ج١، ص ٣١.

^(٣) الزمخشري: الكشف، ج١، ص ١٨١.

^(٤) من الآية ٣٢ سورة ص.

«قال "أبو حيان الأندلسي": فإذا أمكن الإسناد المعنوي لم (يُعدَل) إلى اللفظي، وقد أمكن ذلك في ما تقدم»^(١).

«وقد سبقه إلى ذلك "أبو البقاء" (أى العكبري) فقد قال فى الإملاء: المفعول القائم مقام الفاعل مصدر وهو القول وأضرر لأن الجملة بعده تفسره والتقدير وإذا قيل لهم قول هو لا تفسدوا ولا يجوز أن يكون (لا تفسدوا) قائما مقام الفاعل لأن الجملة لا تكون فاعلة فلا تقوم مقام الفاعل»^(٢).

«ولا يجوز أن تكون لهم قائما مقام الفاعل إلا فى رأى الكوفيين والأخفش، إذ يجوز عندهم إقامة غير المفعول به مع وجوده وتلخص من هذا أن جملة (لا تفسدوا) فى محل رفع على قول "الزحشرى". ولا محل لها على قول "أبى البقاء" ومن تبعه»^(٣).

«أما "أبو السعود" فيقول: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض) اللام للتبليغ والقائم مقام الفاعل جملة لا تفسدوا على أن المراد بها اللفظ وقيل هو مضمرة يفسره المذكور يعود إلى الكفار»^(٤).

وفى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾^(٥).

«قال "أبو السعود": (وإذا قيل لهم) إيراد الفعل على البناء للمفعول مع إسناده إليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع فى سورة البقرة فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾^(٦) للجرى على سنن الكبرياء والإيذان بالغنى عن التصريح

(١) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج١، ص ٦٤

(٢) أبو البقاء العكبري: إملاء ما من به الرحمن، ج١، ص ١٨.

(٣) السمين الحلبي: الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، ج١، ص ١٣٤ - ١٣٦.

(٤) أبو السعود: تفسير أبو السعود، ج١، ص ٥٢.

(٥) من الآية ١٦١ سورة الأعراف.

(٦) من الآية ٣٤ سورة البقرة

به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالأمر بالذكر للتشديد فى التوبيخ»^(١).

أما الآية الكريمة التى أفاض اللغويون والمفسرون والبلاغيون فى وجوه الإعجاز فيها فهى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) أتى فى هذه الآية الكريمة تراكيب مبنية للمجهول هى (قيل) مرتان وغيض وقد حل المفعول به (الماء) محل الفاعل وكان نائب الفاعل اسمًا ظاهرًا (وقضى الأمر) وكان المفعول به (الأمر) قد حل محل الفاعل وكان اسمًا ظاهرًا.

«أما ما يهمنى هنا فهو التركيب (قيل) أين نائب الفاعل أما (قيل الأولى) فقيل إنَّ نائب الفاعل هو جملة (يا أرض ابلعى ماءك) وهذا رأى الكوفيين الذين يرون أنَّ نائب الفاعل يجوز أن يكون جملة وقيل القائم مقام الفاعل مقدر، والنداء مفسر له أى قيل قول وهكذا فى التركيب الثانى (وقيل بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)^(٣) أما وجوه الاعجاز والدلالة فى هذه التراكيب فقد أفاض فيها البلاغيون والمفسرون وقالوا إن هذه الآية الكريمة قد بلغت من مراتب الاعجاز أفاصيها واستدلت مصاقع العرب فسفعت بنواصيها وجمعت من المحاسن ما يضيق عنه نطاق البيان وكانت من سمهرى البلاغة مكان السنان»^(٤).

«وقال الإمام فخر الدين الرازى: واعلم أن هذه الآية مشتملة على ألفاظ كثيرة كل واحد منها دال على عظمة الله تعالى وعلو كبريائه فأولها قوله تعالى:

(١) أبو السعود: تفسير أبو السعود، المجلد الثانى، ص ٣٠٨.

(٢) الآية ٤٤ سورة هود.

(٣) انظر فى تفصيل الآراء العكبرى فى التبيين فى إعراب القرآن، ج-٢، ص ٣٩، ٤٠، ومكى بن أبى

طالب فى مشكل إعراب القرآن، ج-٢، ص ١٢٠.

(٤) الألوسى: روح المعانى، ج-١٢، ص ٦٣.

(وقيل) وذلك لأن هذا يدل على أنه سبحانه فى الجلال والعلو والعظمة، بحيث إنه متى قيل قيل لم ينصرف الفعل إلا إليه، ولم يتوجه الفكر إلا أن ذلك القائل هو هو وهذا تنبيه من هذا الوجه على أنه تقرر فى العقول أنه لا حاكم فى العالمين ولا متصرف فى العالم العلوى والعالم السفلى إلا هو وأما قوله تعالى: (وقيل بُعدًا للقوم الظالمين) ففيه وجهان:

الوجه الأول: أنه من كلام الله تعالى قال لهم ذلك على سبيل اللعن والطرء.

الوجه الثانى: أن يكون ذلك من كلام نوح عليه السلام وأصحابه لأن الغالب ممن يسلم من الأمر الهائل بسبب قوم من الظلمة فإذا أهلكوا ونجّاه منهم قال مثل هذا الكلام ولأنه جار مجرى الدعاء عليهم فجعله من كلام البشر أليق^(١).

وقال "ابن قيم الجوزية" فى الفوائد المشوّقة إلى علوم القرآن فى قسم (حسن النسق) عن هذه الآية الكريمة

«وفى قوله تعالى: (وقيل يا أرض) إلى قوله تعالى: (بعدًا للظالمين) فأنت ترى هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذى تقتضيه البلاغة لأنه سبحانه بدأ بالأهم إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها ولا يتيهأ ذلك إلا بإنكشاف الماء عن الأرض فلذلك بدأ بالأرض فأمرها بالإقلاع ثم علم سبحانه أن الأرض إذا ابتلعت ما عليها ولم تنقطع مادة السماء تأذى بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها وربما ينزل من السماء أكثر مما تبتلع الأرض فأمرها بالإقلاع بعد أن أمر الأرض بالابتلاع ثم أخبر بغیض الماء عندما ذهب على ما فى الأرض وانقطعت مادة السماء وذلك يقتضى أن تكون ثلاثة الجملةتين المتقدمتين ثم قال تعالى: (وقضى الأمر) أى هلك من قُدّر هلاكه ونُجّى من قُضيتْ نجاته وهذا

^(١) فخر الدين الرازى: مفاتيح الغيب، حـ، ص ٥٣٩.

كنه الآية وحقيقة المعجزة ولا بد أن تكون معلومة لأهل السفينة ولا يمكن علمهم بها إلا بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم وبذلك اقتضت البلاغة أن تكون هذه الجملة رابعة الجمل وكذلك استواء السفينة على الجودي أى استقرارها على المكان الذى استقرت فيه استقراراً لا حركة معه لتبقى آثارها عبرة لمن يأتى بعد أهلها وذلك يقتضى أن تكون بعد ما ذكرنا وقوله سبحانه (وقيل بُعْثًا للقوم الظالمين) وهذا دُعَاءٌ أَوْجَبَ الاحتِراسَ مِمَّنْ يَظُنُّ أَنَّ الهلاكَ رُبَّمَا شَيْلٌ مِنْ لَا يَسْتَحِقُّ فدعا الله سبحانه وتعالى على الهالكين وسمّاهم ووصفهم بالظلم احتِراساً من هذا الاحتمال وذلك يقتضى أن يكون بعد كل ما تقدّم والله أعلم فانظر إلى حسن هذا النسق كيف وقع القول فيه وفق الفعل سواء^(١).

أما الخطيب القزوينى فقد أبان وجوه علم البيان والمعاني فى هذه الآية الكريمة من تشبيه واستعارة ومجاز.

«فَبَيَّنَ أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى عِنْدَمَا ذَكَرَ قِصَّةَ نُوحٍ وَالطُّوفَانَ بَنَى الْكَلَامَ عَلَى تَشْبِيهِ الْمَرَادِ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ النَّافِذِ فِي تَكْوِينِ الْمَقْصُودِ تَصَوُّراً لِإِقْتِدَارِهِ تَعَالَى وَأَنَّ هَذِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهَذِهِ الْأَجْرَامُ الْعِظَامُ تَابِعَةٌ لِإِرَادَتِهِ كَأَنَّهَا عَقْلَاءٌ مُمَيِّزُونَ قَدْ عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ وَأَحَاطُوا عِلْماً بِوُجُوبِ الْإِنْقِيَادِ لِأَمْرِهِ وَتَحْتَمُّ بِذَلِكَ الْمَجْهُودُ عَلَيْهِمْ فِي تَحْصِيلِ مَرَادِهِ ثُمَّ بَنَى عَلَى تَشْبِيهِهِ هَذَا نَظْمَ الْكَلَامِ فَقَالَ تَعَالَى (قِيلَ) عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ عَنِ الْإِرَادَةِ الْوَاقِعَةِ بِسَبَبِهَا قَوْلُ الْقَائِلِ قَرِينَةُ الْمَجَازِ خُطَابُ الْجَمَادِ وَهُوَ يَا أَرْضُ يَا سَمَاءَ^(٢)».

وأضاف القزوينى فى تحليل التركيب (وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بُعْثًا للقوم الظالمين).

(١) ابن قيم الحوزية: الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) الخطيب القزوينى: الإيضاح فى علوم البلاغة، ص ١٩١، ١٩٢، وانظر الزمخشري فى الكشاف،

قال: فلم يُصَّرح بالفائض والقاضى المسوّى والقائل كما لم يُصرَّح بقائل يا أرض ويا سماء سلوكا فى كل واحد من ذلك سبيل الكفاية أنَّ تلك الأمور العظام لا تتأتَّى إلا من ذى قدرة لا تكتنه قهَّار لا يغالب فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون الفاعل لشيء من ذلك غيره ثم ختم الكلام بالتعريض لسالكى مسلكهم فى تكذيب الرسل ظلماً لأنفسهم ختم إظهار لمكان السخط وجهة استحقاقهم إياه»^(١).

أما قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾^(٢)

«قال العكبرى: (قيل يا نوح) - يا ونوح فى موضع رفع لوقوعهما موقع الفاعل وقيل القائم مقام الفاعل مضمرة والنداء مفسر له أى قيل قول - وقيل هو يا نوح»^(٣).

«وقال "الألوسى" فى دلالتها: (قيل يا نوح) هو من الحسن بمكان، وبنى الفعل لما لم يسم فاعله لظهور أن القائل هو الله تعالى وقيل القائل الملائكة عليهم السلام»^(٤).

أما قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي﴾^(٥)

أتى الفعل (قيل) فى هذه الآية الكريمة فى سياق قصة العبد الصالح "حبيب ابن موسى النجار" الذى آمن بالحق تعالى ولكن قومه عذَّبوه فقتلوه فقيل له ادْخُلِ الجنة - وقيل بل رفعه الله إلى السماء فهو فى الجنة.

(١) الخطيب القزوينى: الإيضاح فى علوم البلاغة، ص ١٩١، وانظر الجرجانى (محمد بن على بن محمد)

م ٧٢٩ فى الاشارات والتنبيهات فى علم البلاغة، ص ٢٥٠.

(٢) من الآية ٤٨ سورة هود.

(٣) العكبرى: التبيان فى إعراب القرآن، ج ٢، ص ٤٠.

(٤) الألوسى: روح المعانى، ج ١٢، ص ٧٢.

(٥) الآية ٢٦ سورة يس.

«قال "أبو السعود": قيل له ذلك لما قتلوه إكراماً له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى إلى الجنة قاله "الحسن" وعن "قتادة" أدخله الله الجنة وهو فيها حتى يرزق وقيل معناه ألبشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها وإنما لم يقل له لأن الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة إلى بيانه»^(١).

وقال الإمام "فخر الدين الرازي": «قيل أُدْخِلُ الجنة فيها وجهان:
أحدهما: إنه قتل ثم قيل له ادخل الجنة بعد القتل.

ثانيهما: قيل ادخل الجنة عقيب قوله آمنت وعلى الأول. فقوله تعالى: (قال يا ليت قومي يعلمون، يكون بعد موته والله أخير بقوله) وعلى الثاني: قال ذلك في حياته وكأنه سمع الرسل أنه من الداخلين الجنة وقطع به، وعلمه، فقال يا ليت قومي يعلمون كما علمت فيؤمنون كما آمنت، وفي معنى قوله تعالى (قيل) وجهان كما أن في وقت ذلك وجهين:

أحدهما: قيل من القول

الثاني: ادخل الجنة وهذا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢) ليس المراد القول في وجه بل هو الفعل أى يفعله في حينه من غير تأخير وتراخ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾^(٣) في وجه جعل الأرض بالعة ماءها»^(٤).

(١) أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٣٨٢.

(٢) الآية ٨٢ سورة يس.

(٣) من الآية ٤٤ سورة هود.

(٤) الإمام فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ١٠٨.

وفى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

«دَلَّ التركيب (قيل) هنا على قبول المؤمنين أو الملائكة وأصل التركيب المعلوم وقال الملائكة قولاً أو قال المؤمنون قولاً فنائب الفاعل عند البصريين هو مصدر مقدر تقديره قيل قول وقال الكوفيون والأنخفش الأوسط نائب الفاعل هنا هو جملة (الحمد لله رب العالمين)، وفى دلالة التركيب قال أبو السعود: (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى على ما قضى بيننا بالحق وأنزل كلامنا منزلته التى هى حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضى بينهم الملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم»^(٢).

وقال القرطبي: «قيل إن الذى يقول الحمد لله رب العالمين المؤمنون وقيل من قول الملائكة»^(٣).

وقال الشوكاني: «القائلون هم المؤمنون حمدوا الله على قضائه بينهم وبين أهل النار بالحق - وقيل: القائلون هم الملائكة حمدوا الله تعالى على عدله فى الحكم وقضائه بين عباده بالحق»^(٤).

أما الإمام فخر الدين الرازى: فيرى أن الذين يقولون الحمد لله رب العالمين هم الملائكة والمعنى أنهم يقولون التسبيح والمراد منه تنزيه الله عن كل ما لا يليق به قال وقوله تعالى: وقيل الحمد لله رب العالمين: عبارة عن الاقرار بكونه موصوفاً بصفات الألوهية وهى صفات الإكرام ومجموعهما هو المذكور فى قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٥) وهو الذى كانت الملائكة يذكرونه قبل

(١) من الآية ٧٥ سورة الزمر.

(٢) أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٤٧٨.

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٣٧٥.

(٤) الشوكاني: فتح القدير، ج ٤، ص ٦٧٢.

(٥) من الآية ٧٨ سورة الرحمن.

خلق العالم وهو قولهم ﴿وَتَحْنُ نَسَبُحُ بِحَمْدِكَ وَتَقْدِسُ لَكَ﴾^(١).

وفى قوله تعالى: (قيل الحمد لله رب العالمين) دقيقة أخرى وهى أنه لم يبين أن ذلك الفائل مَنْ هو. والمقصود من هذا الإبهام التنبيه على أن خاتمة كلام العقلاء فى الثناء على حضرة الجلال والكبرياء ليس إلا أن يقولوا (الحمد لله رب العالمين) وتأكد هذا بقوله تعالى: دعواهم فيها سبحانهك اللهم وتحتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن (الحمد لله رب العالمين) ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

وأتى المصدر مقدراً مع أفعال أخرى غير قيل منها نودى وحيل:

ومنه قوله تعالى: ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ﴾^(٤).

أما الآية الأولى فى السورة (النمل) فأتى فيها فعلاً مبنياً للمفعول هما (نودى) (بورك) وقد اختلف النحويون فى نائب الفاعل للفعل الأول.

«قال "العكبرى": قوله تعالى (نُودِيَ) فى ضمير الفاعل ثلاثة أوجه:

أحدها: هو ضمير موسى عليه السلام، فعلى هذا فى أن ثلاثة أوجه: هى بمعنى أى، لأن فى النداء معنى القول والثانى هى مصدرية والفعل صلة لها، والتقدير لبركة من

(١) من الآية ٣٠ سورة البقرة.

(٢) الآية (١٠ سورة يونس) وانظر الامام فخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب، حـ ١٣، ص ٤٨٨.

(٣) الآية ٨ سورة النمل.

(٤) الآية ٣٠ سورة القصص.

فى النار أو بركة أى اعلم بذلك والثالث هى مخففة من الثقيلة وجاز ذلك من غير عوض لأن بورك دعاء والدعاء يخالف غيره فى أحكام كثيرة.

والوجه الثانى: لا ضمير فى نودى والمرفوع به أن بورك والتقدير ونودى بأن بورك كما تقول قد نودى بالرخص.

والثالث: المصدر مضمّر أى نودى النداء ثم فُسِّرَ بما بعده^(١).

أما "الزخشرى" فقد عارض أن تكون أن هنا مخففة من الثقيلة وقال: أن هى المفسرة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك أما من قال إنها مخففة من الثقيلة وتقديره نودى بأنه بورك.

«قال "الزخشرى" لا لأنه لا يبد من قَدْ فإن قلنا يصح إضمارها قلت لا يصح لأنه علامة لا تحذف»^(٢) وقد وافقه "أبو حيان الأندلسى" فى البحر المحيط^(٣).

وأما الفعل الثانى (بورك) (فَمَنْ) حل محل الفاعل - والتقدير بورك من فى جوار وبورك من حولها - وقيل التقدير بورك مكان من فى النار، النار، ومكان من حولها من الملائكة^(٤).

وقد وضح دلالة الفعلين هنا الشوكانى بقوله:

(١) العكبرى: إملاء ما مَنْ به الرحمن، جـ ١، ص ١٧١، وانظر مكى بن أبى طالب فى مشكل إعراب القرآن، جـ ٢، ص ٥٣٢، وانظر الأنبارى فى البيان فى غريب إعراب القرآن، جـ ٢، ص ٢١٩، وهو يرى أن أن هنا مخففة من الثقيلة والتقدير أنه بورك ولم يأت بعوض لأن بورك دعاء والدعاء يجوز فيه ما لا يجوز فى غيره.

(٢) الزخشرى: الكشاف، جـ ٣، ص ١٣٧، ونكت الإعراب فى غريب الإعراب فى القرآن الكريم، ص ٢٩٩.

(٣) أبو حيان الأندلسى: البحر المحيط، جـ ٧، ص ٥٥.

(٤) العكبرى: إملاء ما مَنْ به الرحمن، جـ ٢، ص ١٧١.

فلما جاءها (أي جاء النار موسى): نبؤدى أن بُورِكَ مَنْ فِي النار وَمَنْ حَوْلَهَا: أَنَّ هِيَ الْمَفْسُورَةُ كَمَا فِي النَّدَاءِ مِنْ مَعْنَى الْقَوْلِ، أَوْ هِيَ الْمَصْدَرِيَّةُ أَيْ بِأَنْ بُورِكَ وَقِيلَ هِيَ الْمَخْفِقَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ قَالَ الزَّجَّاجُ: أَنَّ فِي مَوْضِعِ نَصْبِ أَيْ بَنَانٍ قَالَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ وَالْأَوَّلَى أَنَّ النَّائِبَ بِضَمِّيرِ يَعُودُ إِلَى مُوسَى وَقَرَأَ أَبِي وَابْنُ عَبَّاسٍ وَبِجَاهِدٍ (أَنْ بُورِكَ النَّارُ وَمَنْ حَوْلَهَا) حَكَى ذَلِكَ أَبُو حَاتِمٍ وَحَكِي الْكِسَائِيُّ عَنِ الْعَرَبِ: بَارَكَكَ اللَّهُ، وَبَارَكَ فَيْكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَبَارَكَ لَكَ، وَكَذَلِكَ حَكَى هَذَا الْقَرَاءُ.

قال "ابن جرير": قال بُورِكَ مَنْ فِي النار، ولم يقل بُورِكَ عَلَى النار عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَقُولُ بَارَكَكَ اللَّهُ: أَيْ بُورِكَ عَلَى مَنْ فِي النار، وَهُوَ مُوسَى، أَوْ عَلَى مَنْ فِي قَرَبِ النار لَا أَنَّهُ كَانَ فِي وَسْطِهَا.

وقال "السدي": «كَانَ فِي النارُ مَلَائِكَةُ وَالنَّارُ هُنَا هِيَ مُجَرَّدُ نُورٍ وَلَكِنْ ظَنَّ مُوسَى أَنَّهَا نَارٌ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا وَجَدَهَا نُورًا. وَحَكَى عَنِ الْحَسَنِ وَسَعِيدِ ابْنِ جَبْرِ أَنَّ الْمُرَادَ بِمَنْ فِي النارِ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَيْ نُورُهُ وَقِيلَ بُورِكَ مَا فِي النارِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّذِي جَعَلَهَا عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ قَالَ "الواحدي"، وَمَذْهَبُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّارِ النُّورَ، ثُمَّ نَزَّهَ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ فَقَالَ: وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(١).

وتقدير ما لم يسم فاعله من الآية الثلاثين من (سورة القصص) ﴿نُبْذِيَ مِنْ

شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَأْمُرَ مُوسَى﴾.

هو التقدير نفسه في الآية الأولى ونرى أن تقدير المصدر هنا يتناسب مع مقام العزة وهو ما يسير مع سنن الكبرياء والعظمة للحق تعالى.

(١) الشوكاني: فتح القدير، ج ٤، ص ١٧٩.

وأما قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾^(١).

«أتى الفعل (حِيل) مبنياً للمفعول وإذا بحثنا عن الذى قام مقام الفاعل قيل: نائب الفاعل ضمير المصدر أى وحيل هو أى الحول»^(٢).

وذهب "الأخفش الأوسط" إلى أن «ما قام مقام الفاعل هو (بينهم) أى شبه الجملة وهو رأى جدير بالعناية ويناسب المعنى القرآنى فى الآية الكريمة ويكون التقدير وحال الله بينهم وما يشتهون»^(٣).

وفى دلالة التركيب هنا: «قيل (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من النجاة من العذاب ومنعوا من ذلك، وقيل حيل بينهم وبين ما يشتهون فى الدنيا من أموالهم وأهلهم، أو حيل بينهم وبين ما يشتهون من الرجوع إلى الدنيا»^(٤).

وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(٥).

أتى الفعل (يُوحَى) مبنياً للمفعول وإذا بحثنا عن الذى قام مقام الفاعل نجد أنه يمكن أن يكون التقدير يُوحَى إِلَى ويكون شبه الجملة المقدر فى محل رفع نائب فاعل والضمير يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون التقدير إن هو إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى الله وحياً فيكون نائب الفاعل المصدر المقدر والتقدير يُوحَى وَحْيًا

(١) من الآية ٥٤ سورة سبأ.

(٢) الشوكانى: فتح القدير، ج٤، ص ٤٧٢.

(٣) خالدة الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، ج١، ص ٢٩٠.

(٤) الشوكانى: فتح القدير، ج٤، ص ٤٧٢.

(٥) الآية ٤ سورة النجم.

فإذا قلت إنَّ مصدر يُوحَى إِيحَاء فلماذا قدرت مصدراً للفعل الثلاثى وَحَى وقد أجاب عن ذلك الامام "فخر الدين الرازى" فى دلالة هذا التركيب فقال:

(يُوحَى) يحتتمل أن يكون من وحى يوحى، ويحتتمل أن يكون من أوحى يُوحى، تقول عدم يُعْلِم، وعدم يُعْذَم وكذلك عِلِم يعلم، وأعلم يعلم.

فتقول: يوحى من أوحى لا من وَحَى، وإن كان وحى وأوحى كلاهما جاء بمعنى ولكن الحق فى القرآن العظيم عند ذكر المصدر لم يذكر الإيحاء الذى هو أوحى، وعند ذكر المصدر الوحى، وقال عند الفعل (أوحى).

«كذلك القول فى أحب وحبّ، فإن حبّ وأحبّ بمعنى واحد والله تعالى عند ذكر المصدر لم يذكر فى القرآن العظيم الإحْبَابَ وذكر الحُبَّ فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(١) وعند ذكر الفعل لم يقل حبه الله بل قال: ﴿حُبُّهُمْ وَمُحِبُّونَهُ﴾^(٢) وقال: ﴿أَحِبُّوا أَحَدَكُمْ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(٤) إلى غير ذلك»^(٥).

(١) من الآية ١٦٥ سورة البقرة.

(٢) من الآية ٥٤ سورة المائدة.

(٣) من الآية ١٢ سورة الحجرات.

(٤) من الآية ١٩٢ سورة آل عمران.

(٥) الإمام فخر الدين الرازى: مفاتيح العيب، ح ١٤، ص ٦٢٥.

الفصل الرابع

المبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير متصل

المبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير متصل

أتى نائب الفاعل ضميرًا متصلًا في تراكيب كثيرة من آيات الذكر الحكيم، ومثال ذلك:

(١) قال تعالى : ﴿كَلِمًا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُشَابِهًا﴾^(١).

أتى في الآية الكريمة السابقة ثلاثة تراكيب مبنية للمفعول، وكان الضمير المتصل قد قام مقام الفاعل وأصله مفعول به. واختلفوا في دلالة التراكيب هنا كما يلي :

قال "الإمام الطبري" : «يعنى بقوله: كلما رزقوا منها الجنة، والهاء راجعة على الجنة، وإنما المعنى أشجارها، فكأنه قال: كلما رزقوا من أشجار البساتين التي أعدها الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات في جناته من ثمرة من ثمارها رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل، ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله هذا الذي رزقنا من قبل، فقال بعضهم: تأويل ذلك: هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا. وفي قوله تعالى (وأتوا به متشابهًا) قال أبو جعفر: والهاء في قوله وأتوا به متشابهًا عائدة على الرزق؛ فتأويله: وأتوا بالذي رزقوا من ثمارها متشابهًا. وقد اختلف أهل التأويل في تأويل المتشابه في ذلك فقال بعضهم: تشابهه أن كله خيار لا رذل فيه»^(٢).

وقال "الإمام الشوكاني" : «في قوله (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهًا) قال: (كلما رزقوا) وصف آخر للجنات، أو هو جملة مستأنفة كأن سائلًا قال: كيف ثمارها؟ من أي نوع من أنواع الثمرات؟

(١) من الآية ٢٥ سورة البقرة.

(٢) الإمام ابن جرير الطبري: تفسير الطبري، ج ١، ص ١٣٣، ١٣٤.

والمراد بقوله (هذا الذى رزقنا من قبل) أنه شبيهه ونظيره لا أنه هو؛ لأن ذات الحاضر لا تكون عين ذات الغائب لاختلافهما، وذلك أن اللون يشبه اللون وإن كان الحجم والطعم والرائحة متخالفة. والضمير فى (به) عائد إلى الرزق، وقيل المراد أنهم أتوا بما يرزقونه من الجنة متشابهاً؛ فما يأتيهم فى أول النهار يشابه الذى يأتيهم فى آخره، فيقولون: هذا الذى رزقنا من قبل، فإذا أكلوا وجدوا له طعمًا غير طعم الأول.

قال: وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة فى قوله (كلمًا رزقوا منها من ثمرة رزقًا)، قال أتوا بالثمرة فى الجنة فنظروا إليها، (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) فى الدنيا، و(أتوا به متشابهًا) فى اللون والمرأى وليس يشبهه الطعم»^(١).

(٢) وفى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

وفى قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٤).

وفى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٥).

وفى قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٦).

وفى قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٧).

^(١) الشوكانى (عمد بن على بن محمد الشوكانى ١٢٥٥هـ): فتح القدير الجامع بين فى الرواية والدراسة

من علم التفسير، تحقيقى سيد إبراهيم، ١، ص ٧٨-٧٩.

^(٢) من الآية ٢٨. من سورة البقرة، ومن الآية ١١ سورة الروم، ومن الآية ٤٤ سورة الزمر.

^(٣) من الآية ٧٠ سورة القصص.

^(٤) من الآية ١١ سورة السجدة.

^(٥) من الآية ٨٣ سورة يس.

^(٦) من الآية ٥٧ سورة العنكبوت.

وردت هذه التراكيب الخمسة مبنية للمفعول وقد اتصل الفعل بضمير متصل حل محل الفاعل كان فى الأصل المفعول به. وقد تقدم التركيب فى أربعة تراكيب الجار والمجرور وقد جر الحرف ضميراً متصلاً وفى تركيب واحد أتى الجار وقد جر لفظ الجلالة، وقد اختلف النحويون فى عود الضمير (إليه) فى التركيب الأول.

قال العكرى: «الماء ضمير اسم الله، ويجوز أن يكون ضمير الإحياء المدلول عليه بقوله (فأحياكم)»^(١).

ووضح المسألة السمين الحلبي بقوله عن التركيب الأول: «الضمير فى (إليه) لله تعالى، وهذا ظاهر لأنه كالضمائر قبله، وثمّ مضاف محذوف؛ أى إلى ثوابه وعقابه، وقيل على الجزاء على الأعمال، وقيل على المكان الذى يتولى الله فيه الحكم بينكم، وقيل على الإحياء المدلول عليه بأحياكم، يعنى أنكم تُرجعون إلى الحال الأولى التى كنتم عليها فى ابتداء الحياة الأولى من كونكم لا تملكون لأنفسكم شيئاً. والجمهور على قراءة (تُرجعون) مبنياً للمفعول، وقرئ مبنياً للفاعل وهى قراءة يحمى ابن يعمر ومجاهد ويعقوب وآخرين^(٢)، ووجه القراءتين أن (رجع) يكون قاصراً (أى لازماً) ومتعدياً وهى أرجح لأن أصلها (ثم إليه يُرجعُكم) لأن الإسناد فى الأفعال السابقة لله تعالى فىناسب أن يكون هذا كذا؛ ولكنه بنى للمفعول لأجل الفواصل والقواطع»^(٣).

وفى دلالة التركيب الثانى (وله الحكم وإليه تُرجعون):

^(١) العكرى: إملاء ما من به الرحمن، جـ ١، ص ٢٧.

^(٢) انظر: أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط، جـ ١، ص ١٢٣.

^(٣) السمين الحلبي: الدرر المصون فى علوم الكتاب المكنون، جـ ١، ص ٢٤٠، وفى هامش ١ ص ٢٤١ جـ ١، قال المحقق د. أحمد محمد الخراط: (ولعل السمين يعنى بالقواطع قوله تعالى يُميتكم ويحييكم) فى الآية نفسها.

أى يقضى بين عباده بما شاء من غير مشارك (وإليه تُرجعون) بالبعث
فيجازى المحسن بإحسانه والمسيئ بإساءته، لا ترجعون إلى غيره. وقدم الجار والمجرور
للعناية والأهمية والاختصاص؛ فله الحكم لا لغيره، وإلى الحق ترجعون لا إلى غيره.
وفى التركيب الثالث (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ):

قرأ أبو بكر وأبو عمرو (يرجعون) بالتحية، وقرأ الباقر بالفوقية على
الخطاب والالتفات المؤذن بالمبالغة^(١).

(٣) وفى قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٢).

وفى قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٣).

أتى التركيبان (يُنصَرُونَ) مبنيان للمفعول ونائب الفاعل ضمير متصل أصله
المفعول به. وفى التركيب الأول تقدم الضمير المنفصل على الضمير المبنى للمفعول
وفى التركيب الثانى أتى الحرف (لعل) من أخوات (إن) واتصل به ضمير متصل فى
محل نصب اسم إن، وخبره الجملة الفعلية المبنية للمفعول (يُنصَرُونَ).

أما التركيب الأول فجاء ختاماً لقوله تعالى ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً وَلَا يُؤْخَذُ
مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وجاءت التراكيب فى الآية كلها مبنية للمفعول جرياً
على سنن الكبرياء ولأن الفاعل معلوم وهو الحق تعالى.

أما دلالة التركيب الأول، فقال السمين الحلبي: «(ولا هم ينصرون) جملة

(١) انظر: القراءات فى التراكيب الأربع السبعة فى القراءات، ص ٥٠٦، وفتح القدير، ج ٤ ص ٣٠٤،

ج ٤ ص ٥٤٠.

(٢) من الآية ٤٨ سورة القرة ومن الآية ٨٦ سورة القرة.

(٣) من الآية ٧٤ سورة يس.

من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها، وإنما أتى هنا بالجملة مصدرية بالمبتدأ مخبراً عنه بالمضارع تنبيهاً على المبالغة والتأكيد في عدم النصرة. والضمير في قوله (ولا هم) يعود على النفس لأن المراد بها جنس الأنفس، وإنما عاد الضمير مذكراً وإن كانت النفس مؤنثة لأن المراد بها العباد والأناسي^(١).

(٤) وفي قوله تعالى: ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٤).

أتت التراكيب الثلاثة: (فافعلوا ما تؤمرون)، (وامضوا حيث تؤمرون)، (ويفعلون ما يؤمرون) مبنية للمفعول وحل الضمير المتصل محل الفاعل. وفي دلالة هذه التراكيب بيان:

أتى التركيب الأول في سياق قصة ذبح بقرة بنى اسرائيل، ونجد سيدنا موسى عليه السلام يجذّذ أمره ويؤكدّه ويزجرهم عن التعنت في الجدل عن أمر البقرة؛ فلم ينفعهم ذلك ولا نجح فيهم بل رجعوا إلى طبيعتهم وعادوا إلى مكرهم. قال السمين الحلبي: «(فافعلوا ما تؤمرون): (ما) موصولة بمعنى الذى، والعائد محذوف تقديره: تؤمرون به، فحذفت الباء وهو حذف مطرد، فاتصل بالضمير فحذف وليس له نظير، مثل قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾^(٥)؛ فإن الحذف هنا غير

(١) السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج ١ ص ٣٣٩.

(٢) من الآية ٦٨ سورة البقرة.

(٣) من الآية ٦٥ سورة الحجر.

(٤) من الآية ٥٠ سورة النحل.

(٥) من الآية ٦٩ سورة التوبة.

مقيس، ويضعف أن تكون نكرة. قاله أبو البقاء^(١). لأن المعنى على العموم وهو بالذى أشبه، ويجوز أن تكون مصدرية أى أمركم بمعنى مأموركم، تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمر، قاله الزحشرى فى الكشف^(٢). و(تؤمرون) مبنى للمفعول و(الواو) قائم مقام الفاعل، ولا محل لهذه الجملة لوقوعها صلة^(٣).

وجاء التركيب الثانى فى قصة سيدنا لوط عليه السلام؛ حيث أمره الحق تعالى بأن يسير بأهله فى الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأته (وامضوا حيث تؤمرون) أى إلى الجهة التى أمركم الله سبحانه بالمضى إليها وهى جهة الشام، وقيل مصر، وقيل قرية من قرى لوط، وقيل أرض الخليل^(٤).

أما التركيب الثالث فيتحدث عن الملائكة التى تخاف الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون به من طاعة الحق تعالى، وقال أبو السعود عن دلالة هذا التركيب: «(يفعلون ما يؤمرون) أى ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات. وإيراد الفعل مبنياً للمفعول جرى على سنن الجلالة وإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفعل لاستحالة استناده إلى غيره سبحانه وفيه أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعدم تبيين أن جميع الموجودات يخصصون الخضوع والانقياد الطيعى وما يجرى مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد أصلاً لله عز وجل، أردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الإشراك»^(٥).

(٥) قوله تعالى: ﴿وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾^(٦). أتى التركيب (فإن أُحْصِرْتُمْ) مبنياً للمفعول وحل الضمير تَم محل نائب

(١) العكبرى: إملاء ما من به الرحمن، ج١، ص ٤٢.

(٢) الزحشرى: الكشف، ج١، ص ٢٩٧.

(٣) السمين الحلبي: الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، ج١، ص ٤٢٣.

(٤) الشوكاني: فتح القدير، ج٣ ص ١٩٢.

(٥) أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٢٧٠.

(٦) من الآية ١٩٦ سورة البقرة.

الفاعل. قال القرطبي: «قال ابن العربي: هذه آية مشكلة عُضْلَةٌ من العُضَل؛ قلت: لا إشكال فيها، ونحن نبينها غاية البيان فنقول: الإحصار هو المنع من الوجه الذى تقصده العوائق جملة بأى عذر. واختلف العلماء فى تعيين المانع على قولين: قال علقمة وعروة بن الزبير وغيرهما هو المرض لا العدو وقيل العدو خاصة، قاله ابن عباس وابن عمر وأنس والشافعى، قال ابن العربي: وهو اختيار علمائنا، ورأى أكثر أهل اللغة؛ على أن أحصر عُرض للمرض وحُصِرَ نزل به العدو.

قلت: ما حكاه ابن العربي لم يقل به إلا أشهب وحده وليس من اختيار علمائنا وخالفه سائر أصحاب مالك فى هذا وقالوا الإحصار للمرض وأما العدو فإنما (يقال حُصِرَ حَصْرًا فهو محصور، وحكى الزجاج أنه عند جميع أهل اللغة ما يأتى: قال أبو عبيدة والكسائى أُحْصِرَ بالمرض وحُصِرَ بالعدو، وقال الفراء هما بمعنى واحد فى المرض والعدو، والخليل: حصرت الرجل حصراً منعه وحبسه وأحصر الحاج عن بلوغ المناسك من هذا، والزجاج قال أكثر أهل اللغة حصر للعدو وأحصر إحصاراً للمرض»^(١).

«وبسبب هذا الاختلاف بين أهل اللغة اختلف أئمة الفقه فى معنى الآية، قالت الحنفية: المحصر من يصير ممنوعاً من مكة بعد الإحرام بمرض أو عدو أو غيره. وقالت الشافعية وأهل المدينة: المراد بالآية حصر العدو. وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن المُحْصَرَ بعدوٌ يَجِلُّ حيث أحصر وينحر هديه إن كان ثَمَّ هَدْيٌ ويحلق رأسه كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الحديبية»^(٢).

^(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص ٣٧١.

وفى المصباح النثر كتاب الحاء (حصره العدو حصراً) من باب قتل أحاطوا به ومنعوه من المضى لأمره. وقال ابن السكيت وتعلب (حصره) العدو فى منزله حبسه، وأحصره المرض بالآلف معه من السفر. وقال الفراء هذا هو كلام العرب وعليه أهل اللغة، وقال ابن القوطية وأبو عمرو الشيبانى (حصره) العدو والمرض (أحصره) كلاهما عجر حبسه.

^(٢) الشوكانى: فتح القدير ج١، ص ٢٩٠.

وفى دلالة التركيب، قال ابن عباس رضى الله عنهما: «فى قوله (فإن أحصرتم) يقول: من أحرم بحج أو عمرة ثم حبس عن البيت بمرض يجهد أو عدو يجبسه، فعليه ذبح ما استيسر من الهدى، شاة فما فوقها»^(١).

وفى قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمِهَادُ﴾^(٢).

أتى التركيب (سَعْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ) مبنياً للمفعول، وحل الضمير المتصل محل الفاعل وأصله المفعول به. وقد قرئ الفعلان (بالتاء والياء) سَعْلَبُونَ - سَيُغْلَبُونَ، وأدى ذلك إلى اختلاف الدلالة.

قال أبو على الفارسى: «اختلفوا فى الياء والتاء من قوله عز وجل (سَعْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ) فقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر (سَعْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ) بالتاء، وقرأ حمزة والكسائى بالياء.

قال أبو على: (قل للذين كفروا) يجوز أن يعنى به اليهود والمشركون جميعاً، يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣) ففسر الذين كفروا بالقبيلين وكذلك أول سورة البينة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾^(٤)؛ فالتقدير على هذا قل للقبليين سَعْلَبُونَ، ويدل على حسن التاء هنا والمخاطبة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا

^(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٩٢.

^(٢) من الآية ١٢ سورة آل عمران.

^(٣) من الآية ١٠٥ سورة البقرة.

^(٤) الآية ١ سورة البينة.

أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ^(١). والآية كلها على الخطاب، وكذلك قول من قرأ
سُتْغَلَبُونَ، وللتاء على الياء مزية ما فى الحُسن وهو انه إذا قيل (سُتْغَلَبُونَ) فقد يمكن
أن يكون المغلوبون والمحشورون من غير المخاطبين وأنهم قوم آخرون؛ فإذا كان
الخطاب لم يجوز لم يظن هذا^(٢).

وقال "ابن خالويه": (سُتْغَلَبُونَ وتحشرون).

يقرأ بالتاء والياء فالحة لمن قرأهن بالتاء أنه أراد قل لهم يا محمد مواجهها
بالخطاب سُتْغَلَبُونَ وهذا من أدل دليل على نبوته - صلى الله عليه وسلم -، لأنه
أخبرهم عن الغيب بما لم يكن أنه سيكون، فكان كما قال: والحة لمن قرأ بالياء أنه
خاطب نبيه بذلك، وهم غُيِّبَ فكانت الياء أولى لمكان الغيبة^(٣).

ولكن رأى أبى على الفارسي أقوى بحسن قراءة التاء لأنها عامة وشاملة.

(٧) وقال تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾^(٤).

أتى التركيب (فَلَنْ يُكْفَرُوهُ) مبنياً للمفعول وحلَّ الضمير المتصل الأول (واو
الجماعة) محل الفاعل وبقي المفعول الثانى (الضمير المتصل الثانى هاء الغيبة) ونلاحظ
هنا أن الفعل كفر لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد تقول كفر النعمة وكفر بالنعمة فلم
تعدى هنا إلى مفعولين.

قال "الزمخشري": «فإن قلت لم عدى كفر إلى المفعولين وشكر وكفر
لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها، قلت ضمن معنى الحرمان فكأنه
قيل فلن يحرّمه بمعنى فلن يحرموا جزاءه»^(٥).

(١) من الآية ٨١ سورة آل عمران.

(٢) أبو على الفارسي: الحجة فى علل القراءات السبع، ج٢، ص ٣٤٥.

(٣) ابن خالويه: الحجة فى القراءات السبع ص ١٠٦.

(٤) من الآية ١١٥ سورة آل عمران.

(٥) الزمخشري: الكشاف، ج١، ص ٤٥٦، وانظر أيضاً نكت الأعراب للزمخشري، ص ١١٨.

ونلاحظ أن الفعل (يُكْفِر) قد قرئ بالتاء وبالياء.

قال "أبو على الفارسي" : «اختلفوا في الياء والتاء في الفعلين أى (يفعلوا- يكفروه) فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر بالتاء، وكان أبو عمرو لا يسأل كيف قرأهما بالياء أو بالتاء. وكان حمزة والكسائي وحفص يؤدونهما بالياء»^(١).

وقال "ابن خالويه" : «فمن قرأهما بالتاء جعل الخطاب للحاضرين وأدخل الغيب في الجملة ومن قرأ بالياء وجّه الخطاب إلى الغيب، وأدخل الحاضرين في الجملة، ولهذا المعنى كان أبو عمرو يخيّر بينهما»^(٢).

وقال "أبو السعود" في دلالة التركيب (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) أى لن يُعْدموا ثوابه البتة غير عنه بذلك كما عبّر عن توفية الثواب بالشكر إظهار الكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك إثابتهم بتصويره بصورة يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته إلى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وإيثار صيغة البناء للمفعول للجرى على ستن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب»^(٣).

(٨) قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾^(٤).

أتى التركيب (وقفوا على النار) مبنياً للمفعول وحل الضمير المتصل محلّ الفاعل وأصله المفعول به ونلاحظ أنه أتى بعد الفعل جار ومجرور لكنه لم يَقم مقام الفاعل لأن المعنى يتناسب مع كون المفعول به يقوم مقام الفاعل.

(١) أبو على الفارسي : الحجة في علل القراءات السبع، ج١، ص ٣٨١.

(٢) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع، ص ١١٣.

(٣) أبو السعود : تفسير أبو السعود، المجلد الأول، ص ٤٠٣.

(٤) من الآية ٢٧ سورة الأنعام.

وقد يَظُنُّ بعض الباحثين أن (وقف) لا يكون إلا لازماً ولكن هذا خطأ فوقف يكون لازماً ومتعدياً.

تقول «وقفت الدابة تَقِف وَقفاً ووقوفاً سَكَنَت ووقفتها أنا يتعدى ولا يتعدى ووقفت الرجل عن الشيء وَقفاً منعته عنه وأوقفت الدار والدابة بالألف لغة تميم وأنكرها الأصمعي وقال الكلام وقفت بغير ألف وأوقفت عن الكلام بالألف أقلعت عنه وكلمنى فلان (فأوقفت) أى أَمَسَكْتُ عن الحجة عيًّا.

وحكى بعضهم ما يمسك باليد يقال فيه (أوقفته) بالألف وما لا يمسك باليد يقال (وقفته) بغير ألف والبصيح وَقَفْتُ بغير ألف فى جميع الباب إلا فى قولك (ما أوقفك) ههنا وأنت تريد أى شأن حملك على الوقوف فإن سألت عن شخص قلت (من وقفك) بغير ألف»^(١).

وفى دلالة التركيب :

قال "فخر الدين الرازى" : «قال الزجاج : ومعنى وقفوا على النار يحتمل ثلاثة أوجه :

الأول : يجوز أن يكون قد وقفوا عندها وهو يعاينوها فهم موقوفون على أن يدخلوا النار.

الثانى : يجوز أن يكون وقفوا عليها وهى تحتهم، بمعنى أنهم وقفوا فوق النار على الصراط، وهو جسر فوق جهنم.

الثالث : معناه عرفوا حقيقتها تعريفاً من قولك وقفت فلاناً على كلام فلان، أى علّمته معناه وعرفته.

وفيه وجه رابع وهو أنهم يكونون فى جوف النار، وتكون النار محيطة بهم

^(١) الفيومى : المصباح المنير كتاب الراى.

ويكونون غائضين فيها. وعلى هذا التقدير فقد أقيم (على) مقام (فى) وإنما صح على هذا التقدير أن يقال، وقفوا على النار، لأن النار دركات وطبقات، بعضها فوق بعض، فيصح معنى الاستعلاء، وقامت (إذ) هنا مقام (إذا) للتعبير عن المستقبل باللفظ الموضوع للماضى - ويفيد المبالغة فى هذا الاعتبار^(١).

وقال "الشوكانى" : «ولو ترى إذ وقفوا على النار : الخطاب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- أو لكل من تتأتى منه الرؤية، وعبر عن المستقبل بلفظ الماضى تنبيها على تحقق وقوعه كما ذكره علماء المعانى و (وقفوا) معناه، حبسوا يقال وَقَفْتُهُ وَقَفًا وَقَفًا وَقُفًّا، وقيل معنى وقفوا على النار أدخلوها، فتكون على بمعنى (فى)، وقيل : هى بمعنى الباء أى وقفوا بالنار أى بقربها معانين لها، ومفعول ترى محذوف، وجواب لو محذوف لينذهب السامع كل مذهب والتقدير لو تراهم إذا وقفوا على النار لرأيت منظرًا هائلًا وحالًا فظيعًا»^(٢).

(٩) وفى قوله تعالى : ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾^(٣).

وقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾^(٤).

وقوله تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾^(٥).

أتى التركيب (تُخْرَجُونَ) و(يُخْرَجُونَ) مبنيا للمفعول فى الآيات السابقة واختلف القراء فى ضم التاء أو الياء هكذا قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو

^(١) الراى : مفاتيح الغيب، ج٦، ص ٢٦٩.

وانظر أبو السعود : فى تفسير أبو السعود، مجلد ٢، ص ١٣٨.

^(٢) الشوكانى : فتح القدير، ج٢، ص ١٥٥.

^(٣) من الآية ٢٥ سورة الأعراف.

^(٤) من الآية ١٩ سورة الروم، ومن الآية ١١ سورة الزخرف (بدون الواو) كذلك تُخْرَجُونَ.

^(٥) من الآية ٣٥ سورة الجاثية.

(ومنها تُخرجون) بضم التاء وفتح الراء ههنا وفي الزخرف من الآية ١١ وفي الروم من الآية ١٩ وفي الجاثية من الآية ١٥ وقرأوا في سأل سائل من الآية ٤٣ بفتح التاء والياء وكذلك في سورة الروم من الآية ٢٥ إذا أنتم تُخرجون وقرأ حمزة والكسائي ومنها تُخرجون في الأعراف بفتح التاء وضم الراء وفي الروم من الآية ١٩ مثله وفي الزخرف من الآية ١١ كذلك وفي الجاثية (لا يخرجون) من الآية ٢٥ وفتح ابن عامر التاء في آية الأعراف فقط وضمها في الباقي^(١).

وقال "ابن خالويه" في الحجة : «قوله تعالى : (ومنها تُخرجون) يُقرأ بضم التاء وفتح الراء، وبفتح التاء وضم الراء هاهنا وفي الروم من الآية ٢٥ وفي الزخرف من الآية ١١ وفي الجاثية من الآية ٣٥ فالحجة لمن ضم التاء أنه جعله فعل ما لم يُسمَّ فاعله والحجة لمن فتح التاء أنه أراد أن الله عز وجل إذا أخرجهم يوم القيامة فهم الخارجون والتاء في الوجهين دليل المخاطبة»^(٢).

(١٠) وفي قوله تعالى : ﴿فَإِنِّي تُصْرِفُونَ﴾^(٣).

وقوله تعالى : ﴿إِنِّي يُصْرِفُونَ﴾^(٤).

أتى الفعل (تُصْرِفُونَ - يُصْرِفُونَ) مبيهاً للمفعول وحل الضمير المتصل محل الفاعل وأصله المفعول به.

وفي دلالته قال "أبو السعود" : «استفهام إنكارى بمعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الإنكار إلى نفس الفعل لأن كل موجود لابد من أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعاً فإذا انتفى

^(١) ابن مجاهد : السبعة، ص ٢٧٩.

^(٢) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع، ص ١٥٤.

^(٣) من الآية ٣٢ سورة يونس ومن الآية ٦ سورة الزمر.

^(٤) من الآية ٦٩ سورة غافر.

جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني. والفاء لترتيب الإنكار في آية (٣٢ سورة يونس) على ما قبله أى كيف تبصرفون من الحق الذى لا يحيد عنه وهو التوحيد إلى الضلال عن السبيل المستبين. وفى إثارة صيغة المبنى للمفعول إيذان بأن الانصراف من الحق إلى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بإرادته وإنما يقع عند وقوعه بالقسر فى جهة صارف خارجي^(١).

(١١) وفى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾^(٣).

جاء التركيب (يُهْرَعُونَ) مبنياً للمفعول وقد اختلف اللغويون فى هذا الفعل أهو مهنى للمفعول فقط، ولم يأت منه معلوم ؟ أم أن هناك فعلاً آخر يأتى معلوماً؟

قال "ابن منظور": «المهرع والمهرع والإهرع شدة السوق وسرعة العدو وقد هرعوا وأهرعوا واستهرعت الإبل أسرع إلى الخوض وأهرع الرجل على ما لم يُسم فاعله خف وأرعِد من سرعة أو خوف أو حرص أو حمى وفى التنزيل العظيم ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾^(٤).

قال "أبو عبيدة": يُسْتَحْتُونَ إِلَيْهِ كأنه يَحْتُ بعضهم بعضاً وتهرع إليه عَجَلًا.

قال "أبو العباس": الإهرع إسراع فى طمأنينة ثم قيل له: إسراع فى فزع، فقال نعم.

(١) أبو السعود: تفسر أبو السعود، مجلد ٢، ص ٤٩٥.

(٢) من الآية ٧٨ سورة هود.

(٣) الآية ٧٠ سورة الصافات.

(٤) من الآية ٧٨ سورة هود.

وقال "الكسائي" : الإهراع إسراع فى رغبه.

وقال "الليث" : يهرعون وهم أسارى يُساقون ويُعجلون يقال هُرِعوا وأهرِعوا.

"أبو عبيد" : أهرع الرجل إهراعاً إذا أتاك وهو يُرعد من البرد، وقد يكون الرجل مُهرَعاً من الحمى والغضب والمُهرع أيضاً كالحريص.

وفى قوله تعالى : ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾^(١) أى يَسْعَوْنَ عَجالاً والعرب تقول : أهرِعُوا وهُرِعُوا فهم مُهرعون ومهروعون.

وهَرِعَ الشيء هَرَعًا، فهو هَرِيعٌ وهمع : سال وقيل تتابع فى سيلانه، والمهروع : المجنون الذى يُصرع وقال "أبو عمرو" : المهروع المصروع من الجَهْدِ^(٢).

إذن : لدينا فعلان : أحدهما أهرِع وهُرِع بمعنى أسرع فى فزع أو خوف أو من البرد وهَرِعَ الشيء وهمع : سال أما الأول فهو غالباً مبنى للمفعول وأما الثانى فلازم مبنى للمعلوم.

ولكن إذا كان الفعل مبنياً للمفعول وليس له تركيب معلوم أنجعل الضمير المتصل نائباً للفاعل أم فاعلاً ؟ قالوا لنا الخيار والأفضل أن يكون نائباً للفاعل ولنستمع إلى ما قاله المفسرون فى دلالة هذا الفعل.

قال "فخر الدين الرازى" : فى قوله تعالى : (وجاء قومه يهرعون) ولأهل اللغة فى يُهرعون قولان :

القول الأول : أن هذا من باب ما جاءت صيغة الفاعل فيه على لفظ المفعول ولا يعرف له فاعل نحو، أولع فلان فى الأمر وأرعد زيد، وزهى عمرو من الزهو.

(١) من الآية ٧٠ سورة الصافات.

(٢) ابن منظور : لسان العرب باب الهاء.

القول الثاني : أنه لا يجوز ورود الفاعل على لفظ المفعول، وهذه الأفعال حذف فاعلوها فتأويل أولع زيد أنه أولعه طبعه وأرعِد الرجل أرعده غضبه وزهى عمرو معناه جعله ماله زاهياً وأهرع معناه أهرعه خوفاً أو حرصه واختلفوا أيضاً فى معنى الإهراع.

فقال بعضهم : الإهراع هو الإسراع مع الرعدة.

وقال آخرون : هو العَدُو الشديد^(١).

وقال "القرطبي" عن قوله تعالى : (وجاءه قومه يُهرعون إليه) فى موضع الحال ويُهرعون يسرعون قال الكسائى والفراء وغيرهما من أهل اللغة لا يكون الإهراع إلا سراعاً مع رعدة يقال أهرِع الرجل إهراعاً أى أسرع فى رعدة من برد أو غضب أو حُمى - قال مهلهل.

فجاءوا يُهرعون وهم أسارى نهودهم على رغم الأنوف.

وقال آخر :

بمعجلات نحوه مهارع

وهذا مثل، أولع فلان بالامر، وأرعِد زيد، وزهى فلان، ولا تستعمل إلا على هذا الوجه.

وقيل أهرِع أى أهرعه حرصه، وعلى هذا يُهرعون أى يستحثون عليه وهذا قول أبى عبيدة، قال ابن القوطية، هُرِعَ الإنسان هرعاً وأهرع، سيق واستعجل وقبال الهروى : يقال هُرِعَ الرجل وأهرِع أى أُسْتُحِث.

قال ابن عباس وقتادة والسدى : يُهرعون يهرولون الضحاك : يسعون، ابن عيينة كأنهم يدفعون وقال شمر بن عطية هو مشى بين الهرولة والجمزى وقبال

(١) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح العيب، ج٨، ص ٥٧٨، ٥٧٩.

الحسن: مشى بين مشيين والمعنى متقارب^(١).

(١٢) قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِالْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(٢).

أتى التركيب (وأما الذين سَعِدُوا) وبنى الفعل فيه للمفعول وحلَّ الضمير المتصل محلَّ الفاعل وأصله المفعول به.

وقد اختلف اللغويون والمفسرون في قراءة مَنْ ضم (سين) (سَعِدَ) في البيان الآتي :

قرأ الكسائي وحفص وحمزة وخلف (وأما الذين سَعِدُوا) بضم السين والباقون بفتحها^(٣).

قال "مكي بن أبي طالب" : «(وأما الذين سَعِدُوا) قراءة حفص والكسائي وحمزة بضم السين حملاً على قولهم مسعود وهي لغة قليلة شاذة وقولهم مسعود إنما جاء على حذف الزائد كأنه من أسعده الله ولا يقال سَعِدَهُ الله فهو مثل قولهم أجنَّه الله فهو مجنون وضم السين في سَعِدُوا بعيد عند أكثر النحويين إلا على تقدير حذف الزائد كأنه قال وأما الذين أُسْعِدُوا»^(٤).

وقال "القرطبي" : «وقرأ الأعمش وحفص وحمزة والكسائي وأما الذين (سَعِدُوا) بضم السين وقال "أبو عمرو" : الدليل على أن سَعِدُوا (بفتح السين) أنَّ الأول (شَقُّوا) ولم يقل أُشَقُّوا.

قال "النحاس" : ورأيت على بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي

^(١) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص ٤٠٣.

^(٢) من الآية ١٠٨ سورة هود.

^(٣) ابن الجوزي : تجميع التيسير في قراءات الأئمة العشرة، ص ١٢٣.

^(٤) مكي بن أبي طالب : مشكل إعراب القرآن، ج١، ص ٣٧٤، وانظر فخر الدين الرازي في مفاتيح

الغيب، ج٨، ص ٦٢٤.

(سُعدوا) بضم السين مع علمه بالعربية، إذا كان هذا لَحْنًا لا يجوز، لأنه إنما يقال سَعِدَ فلان وأسعده الله، وأسَعِدَ مثل أَقْرِضَ وإنما احتج الكسائي بقولهم : مسعود ولا حجة له فيه، لأنه يقال : مكان مسعود فيه، ثم يحذف فيه ويسمى به. قال المهدوى : ومن ضَمَّ السين من سُعدوا فهو محمول على قولهم مسعود، وهو شاذ قليل، لأنه لا يقال سَعِدَهُ الله، إنما يقال أسعده الله.

وقال "الثعلبي" : «سُعدوا بضم السين واختاره أبو عبيد وأبو حاتم وقال الجوهري : والسعادة خلاف الشقاوة تقول سَعِدَ الرجل بالكسر فهو سعيد، وسُعدَ فهو مسعود، ولا يقال مُسَعِدٌ، كأنهم استغنوا عنه بمسعود وقال القشيري : وقد ورد سَعَدَهُ الله فهو مسعود وأسَعَدَهُ الله فهو مُسَعِدٌ فهذا يقوى قول الكوفيين.

وقال "سيبويه" : لا يقال سَعِدَ فلان كما لا يقال شَقِيَ فلان»^(١).

التعقيب :

إذن نحن أمام قراءتين للفعل (سعدوا) بفتح السين وهذه القراءة قراءة "أبى عمرو بن العلاء" وعاصم بن أبى النجود وغيرهما وقد أيدها البصريون واختارها أبو عبيد وأبو حاتم السجستاني.

أما قراءة الكسائي وحفص وحمزة بضم السين فلم يوافق عليها كثير من البصريين بل إن على بن سليمان عدّها لَحْنًا (فى قراءة الكسائي) وهذا خطأ كبير إذ كيف نتهم إمامًا كبيرًا وقارئًا من القراء السبع له اليد الطُولى فى القراءات باللحن ؟ ثم إننا نجد كثيرًا من اللغويين يقولون إنها لغة وقد رأينا أن الجوهري يذكر سَعِدَ بالضم وكذلك الثعلبي والقشيري.

وقد ذكر الفراء رأس الكوفة «أن هذيلًا تقول سَعَدَهُ الله بمعنى أسعده»^(٢).

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص ٤٠٠

(٢) الألوسى : روح المعاني، ج١٢، ص ١٤٦.

وإذا كان كثير من البصريين يقولون إن القراءة الفاشية هي (سعدوا) بالفتح ليناسب ما جاء قبلها في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ﴾^(١).

فإننا نقول بأن الإعجاز القرآني في تراكيبه اللغوية يأتي بلفتات لينتبه العرب إليها. وانظر إلى قول ابن منظور في سعد يقول : سَعِدَ يَسْعَدُ سَعْدًا وسَعَادَةً فهو سعيد نقيض شقى مثل سَلِمَ فهو سليم وسَعِدَ بالضم فهو مسعود والجمع سُعداء والأنثى بالهاء وقال الأزهري : وجائز أن يكون سعيد بمعنى مسعود من سَعَدَهُ الله ويجوز أن يكون من سَعِدَ يسعد فهو سعيد وقد سَعَدَهُ الله وأسعده وسَعِدَ جده وأسعده أتماء وأسعده الله فهو مسعود ولا يقال مُسَعِدٌ كأنهم استغنوا عنه بمسعود^(٢) أما "العكبري" فيقول في إملاء ما من به الرحمن :

«سَعِدُوا بفتح السين وهو الجيد، وقرئ بضمها وهو ضعيف، وقد ذكر فيها وجهان : أحدهما أنه على حذف الزيادة أي أسعدوا، وأسنه قولهم رجل مسعود والثاني أنه مما لازمه، وتعديه بلفظ واحد مثل شجافاه وشجافوه، وكذلك سَعِدُوا وسَعِدَتُهُ، وهو غير معروف في اللغة، ولا هو مقيس»^(٣).

(١٣) قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾^(٤).

جاء الفعل (كُذِّبُوا) مبنياً للمفعول وحل الضمير المتصل محل الفاعل ونحن أمام قراءتين للفعل هنا كُذِّبُوا بالذال الخفيفة (وكُذِّبُوا) بالذال المضغفة وفي هذا بيان: قال "الفراء" م ٢٠٧ هـ : «خفيفة (أي كُذِّبُوا) وقرأها ابن عباس بالتخفيف وفسرها حتى إذا استيسس الرسل من قومهم أن يؤمنوا، وظن قومهم أن الرسل قد

(١) من الآية ١٠٦ من سورة هود.

(٢) ابن منظور : لسان العرب باب السين.

(٣) العكبري : إملاء ما من به الرحمن، جـ ٢، ص ٤٦.

(٤) من الآية ١١٠ سورة يوسف.

كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا وَحُكِّيتْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ (أَيِ ابْنِ مَسْعُودٍ) كُذِّبُوا مُشَدَّدَةً^(١).
وقال "ابن خالويه" في الحجة : قوله تعالى (أنهم قد كذبوا) يقرأ بتشديد
الذال وتخفيفها فالحجة لمن شدد أنه جعل الظن للأنبياء بمعنى العلم. يريد ولما علموا
أن قومهم قد كذبوهم جاء الرسل نصرنا والحجة لمن تخفف: أنه جعل الظن للكفرة
بمعنى الشك وتقديره وظن الكفرة أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من النصر^(٢)
وقال "العكبري" : قوله تعالى (قد كذبوا) يُقرأ بضم الكاف وتشديد الذال
وكسرهما : أي علموا أنهم نسبوا إلى التكذيب، وقيل الضمير يرجع إلى المرسل
إليهم: أي علم الأمم أن الرسل كذبوهم ويُقرأ بتخفيف الذال، والمراد على هذا
الأمم لا غير، ويقرأ بالفتح والتشديد، أي وظن الرسل أن الأمم كذبوهم، ويُقرأ
بالتخفيف : أي علم الرسل أن الأمم كذبوا فيما ادعوا^(٣).

وقد وضح دلالة القراءتين الإمام فخر الدين الرازي كما يلي :
قال : «اعلم أنَّ قراءة عاصم وحمة والكسائي (كُذِّبُوا) بالتخفيف وكسر
الذال، والباقون بالتشديد، ومعنى التخفيف مِنْ وَجْهَيْنِ :
الوجه الأول : إن الظن واقع بالقوم، أي حتى إذا استئس الرسل من إيمان
القوم فظن القوم أنَّ الرسل كُذِّبُوا فيما وعدوا من النصر والظفر، فإن قيل لم يجر
فيما سبق ذكر المرسل إليهم فكيف يحسن عود هذا الضمير إليهم ؟ قلنا : ذكر
الرسل يدل على المرسل إليهم وإن شئت قلت إنَّ ذكرهم جرى في قوله تعالى :
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾^(٤). فيكون الضمير عائداً إلى الذين من قبلهم
من مكذبي الرسل، والظن هنا بمعنى التوهم والحسبان.

(١) الفراء : معاني القرآن، ٢، ص ٥٦.

(٢) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع، ص ١٩٩.

(٣) العكبري : إملأ ما من به الرحمن، ٢، ص ٥٩.

(٤) من الآية ١٠٩ سورة يوسف.

الوجه الثانى : أن يكون المعنى أن الرسل ظنوا أنهم قد كذبوا فيما وعدوا، وهذا التأويل منقول عن أبى مُلَيْكَةَ عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قالوا : وإذا كان الأمر كذلك لأجل ضعف البشرية، إلا أنه بعيد لأن المؤمن لا يجوز أن يظن بالله الكذب، بل يخرج بذلك عن الإيمان فكيف يجوز مثله على الرسل؟

وأما قراءة التشديد ففيها وجهان :

الأول : إن الظن بمعنى اليقين، أى وأيقنوا أن الأمم كذبوهم تكذيباً لا يُعد فيهم الإيمان بعد ذلك فحينئذ دَعَوْا عليهم، فهناك أنزل الله سبحانه عليهم عذاب الاستئصال وورود الظن بمعنى العلم كثير فى القرآن قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾^(١).

الثانى أن يكون الظن بمعنى الحسبان، والتقدير حتى إذا استئس الرسل من إيمان قومهم فظن الرسل أن الذين آمنوا بهم كذبوهم، وهذا التأويل منقول عن عائشة -رضى الله عنها- وهو أحسن الوجوه المذكورة فى الآية^(٢).

(١٤) قوله تعالى : ﴿بَلْ زَيْنَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾^(٣).

أتى التركيبان (زَيْنَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) مبنيان للمفعول وقد تحدثنا عن غلط التركيب الأول فى نائب الفاعل إذا كان اسماً ظاهراً أما التركيب الثانى (وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) فأتى نائب الفاعل ضميراً متصلاً وقد قرئ الفعل (صد) بضم الصاد وفتحها وكسرهما وفى هذا بيان :

^(١) من الآية ٤٦ سورة البقرة.

^(٢) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ٩٤، ص ١٧٠ - ١٧١، وانظر القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن، ٩٤، ص ٥٦٥، ويؤيد أيضاً قراءة تشديد الدال.

^(٣) من الآية ٣٣ سورة الرعد.

قال "العكرى" : «وَصُدُّوا يَقْرَأُ بِفَتْحِ الصَّادِ : أَيْ وَصَدُوا غَيْرَهُمْ وَبَضَمُهَا أَيْ وَصَدَهُمُ الشَّيْطَانُ أَوْ شَرَكَاؤُهُمْ وَبَكْسَرُهَا، وَأَصْلُهَا صَدَدُوا بِضَمِّ الْأَوَّلِ فَنَقَلْتُ كَسْرَةَ الدَّالِ إِلَى الصَّادِ»^(١).

وقال الإمام "فخر الدين الرازى" : فَيُ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) فَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْزَةٌ وَالْكَسَائِيُّ وَصُدُّوا بِضَمِّ الصَّادِ وَفِي حَمِّ ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾^(٢).

وعند أهل السنة أن الله تعالى صدَّهم.

وللمعتزلة فيه وجهان : قيل الشيطان، وقيل أنفسهم، وبعضهم لبعض كما يقال : فَلَانٌ مُعْجَبٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ غَيْرِهِ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي مُسْلِمٍ.

والباقون (وَصَدُّوا) بِفَتْحِ الصَّادِ فِي السُّورَتَيْنِ، يَعْنِي أَنَّ الْكُفَّارَ صَدَدُوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، أَيْ أَعْرَضُوا وَقِيلَ : صَرَفُوا غَيْرَهُمْ، وَهُوَ لَازِمٌ وَمُتَعَدٍّ.

وحجة القراءة الأولى مشاكلتها لما قبلها من بناء الفعل للمفعول وحجة القراءة الثانية قوله تعالى : ﴿وَلَا تَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣).

وقال "الإمام القرطبي" : «وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ أَيْ صَدَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْزَةٍ وَالْكَسَائِيُّ وَعَاصِمٌ، وَالْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ، أَيْ صَدَدُوا غَيْرَهُمْ، وَاخْتَارَهُ أَبُو حَاتِمٍ اعْتِبَارًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾»^(٤).

(١) العكرى : إملأ ما من به الرحمن، ج ٢، ص ٦٤ - ٦٥.

(٢) من الآية ٣٧ سورة غافر.

(٣) من الآية ٩٤ سورة النحل. وانظر الإمام فخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب، ج ٩، ص ٢٥٣.

(٤) من الآية ٢٥ سورة الحج.

وقوله تعالى : ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(١) .
 وقراءة الضم أيضاً حسنة في زَيْنِ وَصَدُّوا لأنه معلوم أن الله تعالى فاعل
 ذلك في مذهب أهل السنة ففيه إثبات القدر، وهو اختيار أبي عبيد.
 وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة. وصدُّوا بكسر الصاد وكذلك قوله تعالى
 ﴿يَسْغِي هَذِهِ بِضَاعَتَنَا رُدَّتْ﴾^(٢) . بكسر الراء أيضاً على ما لم يُسَمَّ فاعله، وأصلها
 صُدِّدُوا وَرُدِّدَتْ، فلما أدغمت الدال الأولى في الثانية نقلت حركتها إلى ما قبلها
 فانكسر^(٣) .

(١٥) قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا﴾^(٤) .
 أتى الفعل (فَتِنَ) مبنياً للمفعول وحل الضمير المتصل به محل الفاعل وأصله
 المفعول به وقد قرئ الفعل بضم الفاء وكسر التاء مبنياً للمفعول وقرئ بفتح الفاء
 والتاء مبنياً للمعلوم وتختلف الدلالة في القراءتين كما يلي :
 قال "ابن خالويه" : (من بعد ما قُتِلُوا) «يُقرأ بفتح التاء، والفاء، وبضم الفاء
 وكسر التاء فالحجة لمن فتح أنه جعل الفعل لهم. والحجة لمن ضم الفاء أنه دل بذلك
 على بناء ما لم يُسَمَّ فاعله ومعناه أن عمَّار بن ياسر وجماعة من أهل مكة أرادهم
 كفار قريش على الكفر وأكروههم، فقالوا بالسنتهم، وقلوبهم مطمئنة بالإيمان ثم
 هاجروا إلى المدينة فأخبر الله عزَّ وجلَّ بما كان من أخبارهم والحجة لمن جعل الفعل
 أن ذلك كان منهم قبل الإسلام فمحا الإسلام ما قبله»^(٥) .

(١) من الآية ٢٥ سورة الفتح.

(٢) من الآية ٦٥ سورة يوسف.

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص ٦١٠.

(٤) من الآية ١١٠ سورة النحل.

(٥) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع، ص ٢١٣.

وقال "العكبري" : «من بعد ما فُتِنُوا، يُقْرَأُ على ما لم يُسَمَّ فاعله أى فتنهم غيرهم بالكفر فأجابوا فإن الله عفا لهم عن ذلك. أى رخص لهم فيه، ويقرأ بفتح الفاء والتاء : أى فتنوا أنفسهم أو فتنوا غيرهم ثم أسلموا»^(١)

وقد وضح دلالة القراءتين الإمام فخر الدين الرازى كما يلى :

قال : قرأ ابن عامر (فَتَنُوا) بفتح الفاء على إسناد الفعل إلى الفاعل والباقون بضم الفاء على فعل ما لم يُسَمَّ فاعله.

وأما وجه القراءة الأولى فأمرور :

الأول : أن يكون المراد أن أكابر المشركين وهم الذين آذوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فإن الله يقبل توبتهم.

الثانى : إن فتن وأفتن بمعنى واحد، كما يقال مان وأمان بمعنى واحد.

الثالث : إن أولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكأنهم فتنوا أنفسهم، وإنما جعل ذلك فتنة، لأن الرخصة فى إظهار كلمة الكفر ما نزلت فى ذلك الوقت.

وأما وجه القراءة بفعل ما لم يُسَمَّ فاعله فظاهر، لأن أولئك المفتونين هم المستضعفون الذين حملهم أقوياء المشركين على الردة والرجوع عن الإيمان، فبين تعالى أنهم إذا هاجروا وجاهدوا وصبروا فإن الله تعالى يغفر لهم تكلّمهم بكلمة الكفر.

المسألة الثالثة، قوله (من بعد ما فتنوا) يحتمل أن يكون المراد بالفتنة هو أنهم عُدُّوا، ويحتمل أن يكون المراد أن أولئك المسلمين ارتدّوا.

قال "الحسن" : «هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة، فعرضت لهم

^(١) العكبري : إملأ ما من به الرحمن، ح-٢، ص ٨٦.

فتنة، فارتدوا وشكروا في الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم إنهم أسلموا وهاجروا فنزلت هذه الآية فيهم.

ويحتمل أن يكون المراد أن أولئك الضعفاء المعذبين تكلموا بكلمة الكفر على سبيل التقية فقوله تعالى : (من بعد ما فتنوا) يحتمل كل واحد من هذه الوجوه الأربعة وليس في اللفظ ما يدل على التعيين^(١).

(١٦) قوله تعالى : ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾^(٢).

أتى الفعل (ملئ) متصلاً بقاء الفاعل وحلّ الضمير محلّ الفاعل وقد قرئ الفعل بالتخفيف والتشديد للآم والتشديد للتكرير والتكثير.

«قرأ ابن كثير ونافع ولُمِئْتُ مشددة مهموزة. وروى إسماعيل بن مسلم عن ابن كثير وَلَمِئْتُ خفيفة وقرأ عاصم وابن عامر وأبو عمرو وحزرة لَمِئْتُ خفيفة»^(٣).

وقال "ابن خالويه" : «قوله تعالى "وَلَمِئْتُ" يُقرأ بتشديد اللام وتخفيفها وبالهمز وتركه فالحة لمن شدد أنه أراد تكرير الفعل والدوام عليه. والحة لمن خفف أنه أراد مرة واحدة فأما إثبات الهمز فيه فعلى الأصل. وإما تركه فتخفيف فأما تَمَلَّيْتُ العيش بغير همز»^(٤).

وقال "الإمام فخر الدين الرازي" : «قوله تعالى : (وَلَمِئْتُ مِنْهُمْ رُعبًا) أى فزعًا وخوفًا.

(١) الإمام فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب، ج٩، ص ٦٤٧، ٦٤٨.

(٢) من الآية ١٨ سورة الكهف.

(٣) ابن مجاهد : السبعة في القراءات، ص ٣٩٠.

(٤) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع، ص ٢٢٢، وانظر : العكبري في إملاء ما سن به الرحمن، ج٢، ص ١٠٠.

قرأ نافع وابن كثير لَمَلَّتْ بتشديد اللام والهمزة والباقون بتخفيف اللام وروى عن ابن كثير بالتخفيف والمعنى واحد إلا أنَّ في التشديد مبالغة.

قال "الأحفش" أجود في كلام العرب يقال ملأنتني رُعباً، ولا يكادون يعرفون ملأنتني ويدل على هذا أكثر استعمالهم ومنه قول الشاعر :

فتملاً بيئتنا إقطاً وسَمناً.

وقول الآخر :

ومن مالى عَيْنِيهِ من شيء غيره

إذا راح نحو الحجرة البيض كالدمى

وقوله الآخر :

لا تملأ الدلو وعِرْقُ فيها

وقال الآخر :

امتلاً الحوض وقال قطنى

وقد جاء بالثقل أيضاً، وأنشدوا للمخيل السعدى :

وإذا قتل النعمان بالناس مُحَرِّماً

فملاً من عوف بن كعب سلاسله^(١).

(١٧) وفى قوله تعالى : ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾^(٢).

أتى الفعل (عرض) مبنياً للمفعول وحل الضمير المتصل محل الفاعل.

^(١) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ ١٠، ص ٢٧٤، ٢٨٥.

^(٢) من الآية ٤٨ سورة الكهف.

قال "أبو السعود" «رفى الالتفات إلى الثنية^(١) وبناء النتل للشمول -ح-
التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إلى ضميره (أى الكاف) -صلى الله عليه وسلم-
من تربية المهابة والجرى على سنن الكبرياء وإظهار اللطف به -صلى الله عليه
وسلم- ما لا يخفى»^(٢).

وقيل فى دلالة التركيب : «عرضوا مصفوفين كل أمة وزمرة صفًا صفًا؛
وقيل غرضوا صفًا واحدًا كما فى قوله تعالى ﴿ثُمَّ اتَّوَّافُوا صَفًّا﴾ أى جميعًا؛ وقيل قيامًا،
وفى الآية تشبيه حالهم بحال الجيش الذى يُعْرَضُ على السلطان»^(٣).

(١٧) وفى قوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾^(٤).

أتى الفعل (حُمِّلَ) مبتدئًا للمفعول وحل الضمير المتصل (نا) محل الفاعل
وقرى الفعل بالتخفيف والتشديد.

قرأ الحرميان وابن عامر وأبو جعفر وحفص ورويس «حُمِّلْنَا بضم الحاء
وكسر الميم مشددة والباقون بفتحها مع التخفيف»^(٥).

وقال "ابن خالويه" فى الحجة : «ولكننا حُمِّلْنَا يقرأ بالتخفيف والتشديد
فالحجة لمن خفف أنه أرادهم بالفعل، وجعل النون والألف المتصلين به فى موضع
رفع على أنه فاعل (أى حَمَّلْنَا) والحجة لمن شدد أنه جعل الفعل لما لم يُسمَّ فاعله،

(١) الالتفات فى الآية الكريمة لأن ما قبلها الآية ٤٧ :

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ فانتقل من الحاضر إلى
الماضى.

(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٣٨٥.

(٣) الشوكانى : فتح القدير، ج-٣، ص ص ٤١١، ٤١٢.

(٤) من الآية ٨٧ سورة طه.

(٥) ابن الجزرى : تجميع التيسير فى قراءات الأئمة العشرة، ص ١٤١.

ودل عليه بضمّ أوله وكان أصله ولكننا حَمَلْنَا السامِرِيَّ فلما حذف الفاعل أقيم
المفعول مقامه، فرفع، لأن الفعل الذى كان حديثاً عن الفاعل صار عن المفعول
فارتفع»^(١).

ووضح القراءتين الشوكانى بقوله :

«حَمَلْنَا : بضم الحاء وتشديد الميم قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص
وأبو جعفر ورؤيس، وقرأ الباقر بفتح الحاء والميم مخففة، واختار هذه القراءة أبو
عبيد وأبو حاتم لأنهم حملوا حلية القوم معهم باختيارهم، وما حملوها كرهاً، فإنهم
كانوا استعاروها منهم حين حين أرادوا الخروج مع موسى، وأوهموهم أنهم
يُجتمعون فى عيد لهم أو وليمة، وقيل هو ما أخذوه من آل فرعون لما قذفهم البحر
إلى الساحل، وسميت أوزاراً : أى آثاماً، لأنه لا يحل لهم أخذها، ولا تحل لهم الغنائم
فى شريعتهم والأوزار فى الأصل الأثقال كما صرح به أهل اللغة، والمراد بالزينة هنا
الحلى»^(٢).

وقال "أبو السعود" فى دلالة التركيب «استدراك عما سبق واعتذار عما
فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرئ حَمَلْنَا أى حملنا أحمالاً من حَلَّى القبط التى استعروناهم
منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان
لهم ثم لم يردوها إليهم عند الخروج مخافة أن يقفوا على أمرهم وقيل هى ما ألقاه
البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوها ولعل تسميتهم لها أوزاراً لأنها تَبِعَاتُ
وآثام حيث لم تكن الغنائم تحل حيثئذ»^(٣).

(١٨) قوله تعالى : ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾^(٤).

أتى الفعل (يُصْحَب) مبنياً للمفعول وحل الضمير المتصل محل الفاعل وقد

(١) ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٢٤٦.

(٢) الشوكانى : فتح القدير، ج٣، ص ٥٣٨.

(٣) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٤٨٣.

(٤) من الآية ٤٣ سورة الأنبياء.

اختلف فى دلالة التركيب كما يلى :

قال "الفراء" : «(ولا هم منا يُصْحَبُونَ) يعنى الكفلو يعنى يجارون وهى منا لا تُجار ألا ترى أن العرب تقول (كان لنا جاراً) ومعناه يجيرك ويمنعك فقال يُصْحَبُونَ بالإجارة»^(١).

وقال "القرطبي" : «ولا هم منا يُصْحَبُونَ، قال ابن عباس : يُمنعون وعنه يجارون، وهو اختيار الطبرى : تقول العرب أنا لك جار وصاحب من فلان أى يجير منه.

قال الشاعر :

ينادى بأعلى صوته متعوذاً

ليُصْحَبَ منها والرماح دوانى

وروى معمر عن ابن أبى فحيح عن مجاهد قال : يُنصرون : أى يُحفظون ، قتادة : أى لا يصحبهم الله بخير، ولا يجعل رحمته صاحباً لهم»^(٢).

(١٩) قوله تعالى : ﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾^(٣).

أتى الفعل (نَكْسَ) مبنياً للمفعول وحل الضمير المتصل محل الفاعل وقرئ الفعل بتخفيف الكاف وتشديدها وفى ذلك بيان :

قال "الفراء" : «ثم نكسوا على رؤوسهم : يقول رجعوا عندما عرفوا من حجة إبراهيم -عليه السلام-»^(٤).

(١) الفراء : معانى القرآن، جـ ٢، ص ٢٠٥.

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، جـ ٩، ص ٥١١، وانظر أبو السعود فى تفسيره، جلد ٣، ص ٥١٩، والإمام فخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب، جـ ١١، ص ١٣٢.

(٣) من الآية ٦٥ سورة الأنبياء.

(٤) الفراء : معانى القرآن، جـ ٢، ص ٧٧.

وقال "فخر الدين الرازى" : «فيه مسألتان :

الأولى فى المعنى وجوه : أحدهما : إنَّ المراد استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وأتوا بالفكرة الصالحة، ثم انتكسوا فقلبوا عن تلك الحالة، فأخذوا فى المجادلة بالباطل وأن هؤلاء مع تقاصر حالهم عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة.

ثانيها : قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط إطراقهم خجلاً وانكساراً وانخذالاً مما بهتَّهم به إبراهيم فما أثاروا جواباً إلا ما هو حجة عليهم.

ثالثها : قال ابن جرير (أى الطبرى) ثم نكسوا على رؤوسهم فى الحجة عليهم لإبراهيم حين جادلهم أى قلبوا فى الحجة واحتجوا على إبراهيم بما هو الحجة لإبراهيم عليهم فالمعنى نكست حججهم فأقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حججهم.

المسألة الثانية : قُرئ نَكَسُوا بالتشديد وَنَكِسُوا (على لفظ ما لم يُسمَّ فاعله) أى نكسوا أنفسهم على رؤوسهم وهى قراءة رضوان بن عبد المعبود^(١).

وما ذكره الإمام فخر الدين الرازى أيده بعضهم فى وجوه لكن الوجه الذى ذكر فيه أنهم طأطأوا رؤوسهم خجلاً من إبراهيم ضعفه كثير من المفسرين منهم الإمام القرطبى والشوكانى^(٢). قالوا لأنه لم يقل نَكِسُوا رؤوسهم بفتح الكاف بل قال يُنَكِسُوا على رؤوسهم.

وقال "أبو السعود" : «أى انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشئ أعلاه»^(٣).

(١) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ١٥٠.

(٢) انظر الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ٨٢٠، والإمام الشوكانى : فتح القدير، ج ٣، ص ٥٨٥.

(٣) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٥٢٦.

(٢١) قوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلُمًا﴾^(١).

أتت الأفعال (أُذِنَ) - (يُقَاتِلُونَ) - (ظَلِمُوا) مبنية للمجهول وما يهمننا هنا الفعلين (يُقَاتِلُونَ) - (ظَلِمُوا) اللذين اتصلوا بالضمير الذى حل محل الفاعل أما الفعل (أُذِنَ) فستحدث عنه إن شاء الحق تعالى فى بابيه.

أما الفعل (يُقَاتِلُونَ) فقد قرئ بفتح التاء على البناء للمفعول وبكسرها على البناء للفاعل وتختلف الدلالة فى ذلك :

قال "الفراء" : «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ وَيُقَاتِلُونَ (فتح التاء لنافع وابن عامر وحفص وأبى جعفر وكسرها للباقيين) ومعناه أذن للذين يقاتلون أن يقاتلوا، أما قراءة المبنى للمعلوم فالمعنى أُذِنَ لَهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوا وَكُلُّ صَوَابٍ»^(٢).

وقال "أبو السعود" : «أُذِنَ أَى رُخِّصَ وقرئ على البناء للمفعول أى أذن الله تعالى (للذين يُقَاتِلُونَ) أى يقاتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فإن مقابلة المشركين إياهم دالة على مقاتلتهم إياهم دلالة نيرة.

وقرئ على صيغة المبنى للفاعل أى يريدون أن يقاتلوا المشركين ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف أظهر (بأنهم ظَلِمُوا) أى بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - ورضى عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه - عليه السلام - بين مضروب ومشجوج ويتظلمون إليه فيقول - عليه السلام - لهم اصبروا فإننى لم أؤمر بالقتال حتى هاجروا فأُنزلت وهى أول آية نزلت فى القتال بعدما نهى عنه فى نيف وسبعين آية»^(٣).

وقال "فخر الدين الرازى" : «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلُمًا، فيه مسائل:

(١) من الآية ٣٩ سورة الحج.

(٢) الفراء : معانى القرآن، ج٢، ص ٢٢٧.

(٣) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٢١.

المسألة الأولى :

قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم في رواية حفص (أُذِنَ) بضم الألف والباقون بفتحها أى أذن الله لهم فى القتال وقرأ أهل المدينة وعاصم (يُقَاتِلُونَ) بنصب التاء (أى بفتحها) وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي (أذن) بنصب الألف أى بفتح همزة ويقاتلون بكسر التاء.

وقال الفراء والزجاج : يعنى أذن الله للذين يحرسون على قتال المشركين فى المستقبل. ومن قرأ بفتح التاء فالتقدير أذن للذين يقاتلون فى القتال.

المسألة الثانية :

فى الآية محذوف والتقدير أذن للذين يقاتلون فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه.

أما قوله تعالى (ظَلِمُوا) فذكر قول أبى السعود السابق نصاً وزاد وقيل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم فى مقاتلتهم^(١).

(٢١) قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾^(٢).

أتى فى الآية الكريمة السابقة فعلان مبيان للمفعول وهما (يُجْزَوْنَ) (يُلَقَوْنَ).

أما الأول : «فيدل على جزاء المؤمنين فى الآخرة من السعادة الأبدية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع أى يثابون أعلى منازل الجنة وقيل هى اسم جنس أريد به الجمع وقيل هى اسم من أسماء الجنة»^(٣).

^(١) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٢٩٢.

^(٢) الآية ٧٥ سورة الفرقان.

^(٣) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ١٢١.

أما الفعل الثانى (يُلْقُونَ) : فقد قرئ بتشديد القاف وبضم الياء على البناء للمفعول وقرئ (وَيُلْقُونَ) بتخفيف القاف وفتحها وفتح الياء على البناء للمعلوم وفى هذا بيان.

قال "ابن مجاهد" : «قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وَيُلْقُونَ وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وَيُلْقُونَ»^(١).

وقال "الفراء" فى دلالة القراءتين :

«وَيُلْقُونَ وَيُلْقُونَ فيها كُلُّ قَدْ قرئ به (وَيُلْقُونَ) أعجب إلى لأنَّ القراءة لو كانت على (يُلْقُونَ) كانت بالياء فى العربية، لأنك تقول فلانٌ يتلقى بالسلام وبالخير وهو صواب، يُلْقُونَهُ وَيُلْقُونَ به كما تقول : أخذت بالخطام وأخذته»^(٢).

وقال "ابن خالويه" : «وَيُلْقُونَ فيها يُقرأ بتشديد القاف وتخفيفها فالحجة لمن شدد أنه أراد تكرير تحية السلام عليهم مرة بعد أخرى دليله قوله تعالى : ﴿وَلَقَاهُمْ نَصْرُهُ وَاسْرُورًا﴾»^(٣).

والحجة لمن خفف : أنه جعله من اللقاء لا من التلقى كقولك لقيته ألقاه، ويلقاه منى ما يسره»^(٤).

وقال "الشوكانى فى توضيح القراءتين :

«وَيُلْقُونَ فيها تحية وسلاماً : قرأ أبو بكر والمفضل والأعمش ويحيى ابن وثاب وحمزة والكسائى وخلف (يُلْقُونَ) بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف، واختار هذه القراءة الفراء، قال : لأن العرب تقول : فلان يلقى بالسلام والتحية

(١) ابن مجاهد : السبعة فى القراءات، ص ٤٦٨.

(٢) الفراء : معانى القرآن، ج ٢، ص ٢٧٥.

(٣) من الآية ١١ سورة الإنسان.

(٤) ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٢٦٧.

والخير، وقل ما يقولون يُلقَى. وقرأ الباقون بعضهم الباء وفتح الهمزة واللام زحديا، القاف، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَاهُمْ نَصْرُهُمْ وَسُرُورًا﴾^(١). والمعنى أنه يحبى بعضهم بعضاً ويرسل إليهم الرب سبحانه بالسلام، قيل التحية البقاء الدائم والملك العظيم وقيل هي بمعنى السلام وقيل: إن الملائكة تحيهم وتسلم عليهم والظاهر أن هذه التحية والسلام هي من الله سبحانه لهم، ومن ذلك قوله سبحانه ﴿تَحِيَّهِمْ يَوْمَ يَكُونُ سَلَامٌ﴾^(٢). وقيل معنى التحية: الدعاء لهم بطول الحياة، ومعنى السلام: الدعاء لهم بالسلامة من الآفات^(٣).

(٢٢) قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾^(٤).

أتى الفعل (يُحْبَرُونَ) مبنياً للمفعول وحلّ الضمير المتصل محل الفاعل واختلف المفسرون في دلالة الفعل هنا.

قال "أبو السعود": «الحبور السرور يقال حيره إذا سره سروراً تهلل له وجهه وقيل الحيرة كل نعمة حسنة والتحجير التحسين واختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة يُنعمون وعن ابن كيسان يملّون وعن بكر بن عياش التيجان على رؤوسهم وعن وكيع السماع في الجنة»^(٥).

(٢٣) قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(٦).

(١) من الآية ١١ سورة الإنسان.

(٢) من الآية ٤٤ سورة الأحزاب.

(٣) الشوكاني: فتح القدير، ج٤، ص ١٢٩.

(٤) من الآية ١٥ سورة الروم.

(٥) أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٢٧٢.

(٦) من الآية ٧٨ سورة القصص.

وقوله تعالى ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾^(١).

أتى التركيبان (إنما أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) - و(إنما أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ) مبنيان للمفعول بالفعل (أوتى) الذى يتعدى إلى مفعولين وحل المفعول الأول محل الفاعل وبقي المفعول الثانى.

أما التركيب الأول فجاء بزيادة الظرف مضافاً إلى ياء المتكلم فى سياق قصة قارون الذى بغى وتكبر بعد أن آتاه الحق تعالى مالاً وفيراً فظنَّ أنَّ هذا المال قد وهبه الله تعالى له بفضله أو لعلمه بالتوارة.

وأتى التركيب الثانى فى سياق الحديث عن بنى آدم الذى يذكر الحق تعالى وقت الضراء وينسأه ساعة السراء فإذا أنعم الحق تعالى عليه قال إن هذه النعمة بفضله وجهده.

وفى دلالة التركيب الأول :

قال "أبو الفرج بن الجوزى" : فيه خمسة أقوال : أحدها على علم عندي بصفة الذهب رواه أبو صالح عن ابن عباس، قال الزجاج وهذا لا أصل له، لأن الكيمياء باطل لا حقيقة له.

والثانى : يرضى الله عنى قال "ابن زيد" أى لولا رضى الله عنى ومعرفته بفضلى، ما أعطانى هذا المال.

والثالث : على خير علمه الله عندي قاله مقاتل.

والرابع : إنما أعطيته لفضل علمي قاله الفراء^(٢).

(١) من الآية ٤٩ سورة الزمر.

(٢) الفراء : معانى القرآن، ج-٢، ص ٣٧٥.

قال "الزجاج" : «أدعى أنه أعطى المال لعلمه بالتوراة.

والخامس على علم عندي بوجوه المكاسب حكاه الماوردي»^(١).

وفى التركيب الثاني عن الإنسان بصفة عامة الذى ينسب الحق تعالى

ويستغنى ساعة الرخاء.

قال : (إنما أوتيته على علم)، قال "أبو السعود" : «أى علم منى بوجوه

كسبه أو بأنى سأعطاه لمال من الاستحقاق أو على علم من الله تعالى بى
وباستحقاقى والهاء لما إن جعلت موصولة وإلا فلنعمه والتذكير لما أن المراد شيء من
النعمه»^(٢).

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «ما المراد من قوله تعالى : (إنما أوتيته

على علم الجواب) يحتمل أن يكون المراد : إنما أوتيته على علم الله بكونى مستحقاً
لذلك، ويحتمل أن يكون المراد : إنما أوتيته على علمى بكونى مستحقاً له، ويحتمل
أن يكون المراد إنما أوتيته على علم لأجل ذلك العلم قدرت على اكتسابه مثل أن
يكون مريضاً فيعالج نفسه، فيقول إنما وجدت الصّحة لعلمى بكيفية العلاج، وإنما
وجدت المال لعلمى بكيفية الكسب»^(٣).

ونلاحظ أن التركيب الأول زاد الظرف (عند) مضافاً إلى ياء المتكلم.

قال "العكبرى" : «عندى صفة لعلم، ويجوز أن يكون ظرفاً لأوتيته أى

أوتيته فيما أعتقد من علم»^(٤). وهذا يدل على تجرّ وتكبر قارون فكانت نهايته
الأيمة.

^(١) أبو الفرج بن الجوزى : زاد المسير فى علم التفسير، ج٦، ص ٢٤٢، وانظر الشوكانى : فى فتح
القدير، ج٤، ص ٢٦٢.

^(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٤٧٣.

^(٣) فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج١٣، ص ٤٥٣.

^(٤) العكبرى : إملاء ما من به الرحمن، ج٢، ص ١٨٠.

(٢٤) قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقَّتْ اللَّهُ إِلَهُكُمْ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذِ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾^(١).

أتى فى الآية الكريمة السابقة فعلان مبيان للمفعول (يُنَادُونَ) (وتُدْعَوْنَ) وحل الضمير المتصل محل الفاعل أما دلالة التركيبين فقالوا فيها :

قال "الفراء" : «المعنى ينادون إنَّ مقت الله إياكم أكبر من مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إذ تركوا الإيمان، ولكن اللام تكفى من أن تقول فى الكلام : ناديت أن زيدا قام وناديت لزيد قائم ومثله قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾^(٢). اللام بمنزلة لأنَّ فى كل كلام ضارِع القول مثل : ينادون - يخبرون، وما أشبه ذلك»^(٣).

وقال "أبو السعود" : «(ينادون) أى من مكان يعيدوهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم الأمانة بالسوء التى وقعوا فيها وقعوا باتباع هواها أو مقت بعضهم بعضاً أى أبغضوا أَنْفُسَهُمْ أَشَدَّ الْبُغْضِ وأنكروها أبلغ الإنكار وأظهروا ذلك على رؤوس الأشهاد فيقال لهم عند ذلك (لمقت الله أكبر من مقتكم هذا) أى لمقت الله أَنْفُسَكُمْ الأمانة بالسوء أو مقته إياكم فى الدنيا (إذ تُدْعَوْنَ) من جهة الأنبياء إلى الإيمان فتأبون قبوله فتكفرون اتباعاً لأنفسكم الأمانة أو اقتداء بأخلاقكم المضلين»^(٤).

وذهب فخر الدين الرازى «إلى أن الذين ينادونهم ويذكرون أن لهم هذا الكلام هم حزنة جهنم»^(٥).

(١) الآية ١٠ سورة غافر (المؤمن).

(٢) من الآية ٣٥ سورة يوسف.

(٣) الفراء : معانى القرآن، ج٣، ص ٦.

(٤) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٤٨٢.

(٥) فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج١٣، ص ٥١١.

إنه جمع بين اللغتين ليعلم بجوازهما وفرق بعضهم بين ذلك فقال : إنما فتح هاهنا لقوله ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الصافات (٤٧) وهو كل ما اغتال الإنسان فأهلكه وذهب بعقله وكسر في الواقعة لأن الله تعالى وصف الجنة وفاكهتها وجعل شرابها من معين، والمعين لا ينفد، فكان ذهاب العقل في الصافات أشبه ونفساد الشراب في الواقعة أشكل^(١).

وقال "الرازي" عن التراكيب في الآية الثانية (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ) «فيه وجهان :

أحدهما : لا يصيبهم صراع يقال صدعني فلان أى أورثني الصداع.

الثانى : لا ينزفون عنها ولا ينفدونها من الصدع، والظاهر أن أصل الصداع منه وذلك لأن الألم الذى فى الرأس يكون فى أكثر الأمر بخلط وريح فى أغشية الدماغ فيؤلمه فيكون الذى به صداع كأنه يتطرق فى غشاء دماغه»^(٢).

وقال "القرطبي" (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا) أى لا تتصدع رؤوسهم من شربها أى إنها لذة بلا أذى بخلاف شرب الدنيا وقرأ مجاهد (لَا يُصَدَّعُونَ) بمعنى لا يتصدعون أى لا يفرقون»^(٣).

(١) ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٣٠٢.

(٢) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ١٥، ص ٢٥٨.

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥، ص ٣٧٣.

(٢٥) قوله تعالى : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾^(١) .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ﴾^(٢) .

أتى فى الآيتين الكريمتين تركيبان مبيان للمفعول وهما (يُنْزَفُونَ) - (يُصَدَّعُونَ) ونلاحظ أن قراءة حفص عن عاصم فى الآية الثانية من سورة الواقعة كانت مبنية للمعلوم وهناك قراءة أخرى مبنية للمفعول وقد كان سياق التراكيب الحديث فى حمر الجنة التى لا تذهب العقل ولا تأتى بالضُّر والأرق وفى هذا بيان للقراءات ودلالاتها.

قال "الفراء" عن الآية الأولى : «(ولا هم عنها يُنْزَفُونَ) (ويُنْزَفُونَ) بكسر الزاء وفتحها وأصحاب عبد الله يقرؤون يُنْزَفُونَ وله معنيان ويقال قد أنزف الرجل إذا فنيت حمرة، وأنزف إذا ذهب عقله فهذان وجهان ومن قال (يُنْزَفُونَ) بالبناء للمفعول يقول : لا تذهب عقولهم من نَزَفَ الرجل فهو منزوف»^(٣) .

وقال "ابن مجاهد" : «قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر يُنْزَفُونَ بنصب الزاى ههنا وفى الواقعة من الآية ١٩ وقرأ عاصم بفتح الزاى هنا وفى الواقعة بكسرها وقرأ حمزة والكسائي ينزفون بكسر الزاى فى الموضعين»^(٤) .

وقال "ابن خالويه" فى توضيح هذه القراءات :

«ولا هم (يُنْزَفُونَ) يُقْرَأُ هاهنا وفى الواقعة بكسر الزاى وفتحها فالحجة لمن قرأه بالكسر أنه أراد لا ينفذ شرابهم والحجة لمن فتح أنه أراد لا تزول عقولهم إذا شربوها بالسُّكَّر وفَرَّقَ (عاصم) بينهما فقرأها هنا بالفتح، وفى الواقعة بالكسر فقليل:

(١) من الآية ٤٧ سورة الصافات.

(٢) من الآية ١٩ سورة الواقعة.

(٣) الفراء : معانى القرآن، ح-٢، ص ٣٨٥.

(٤) ابن مجاهد : السبعة، ص ٣٠٢.

الفصل الخامس

المبنى للمجهول ونائب الفاعل شبه جملة

المبنى للمفعول ونائب الفاعل شبه الجملة

أتى شبه الجملة (جار ومجرور) فى كثير من الآيات الكريمة مقام الفاعل ولكن اختلف النحويون فى ذلك وقد رأينا أن البصريين يذهبون إلى أن الذى يقوم مقام الفاعل هو المجرور وحده أما الكوفيون ومعهم ابن مالك فذهبوا إلى أن القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور وذهب الفراء وحده إلى أن القائم مقام الفاعل هو حرف الجر وقيل هذا لا يعقل^(١).

واختلف النحويون أيضًا فى كثير من الآيات عن الذى قام مقام الفاعل أهو الجار والمجرور أم ضمير مبهم - أم ضمير مستتر وفى ذلك تفصيل وبيان :

(١) فى قوله تعالى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾^(٢).

أتى (المغضوب) هنا اسم مفعول يعمل عمل الفعل المبني للمفعول وحل (شبه الجملة) عليهم - محل نائب الفاعل.

قال "مكى بن أبى طالب" : «(عليهم) فى موضع رفع مفعول لم يُسمَّ فاعله للمغضوب لأنه بمعنى الذين غضب عليهم ولا ضمير فيه إذ لا يتعدى إلا بحرف الجر بمنزلة مُرِّ بذلك ولذلك لم يجمع»^(٣).

وقال "أبو السعود" فى دلالة التركيب : «غير المغضوب عليهم مُرْتَفِعٌ بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن إسناد الغضب إليه تعالى كالإنعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية فى نسبة النعم والخيرات إليه عز وجل دون أضدادها كما فى

(١) انظر فى تفصيل ذلك : السبوطى فى همع الهوامع، جـ ١، ص ١٦٢، وخالد الأزهرى فى التصريح على التوضيح، جـ ١، ص ٢٨٧.

(٢) من الآية ٧ سورة الفاتحة.

(٣) مكي بن أبى طالب : مشكل إعراب القرآن، جـ ١، ص ٧٢.

وانظر السمين الحلبى فى الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، جـ ١، ص ٧١.

قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(١).

(٢) وفى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢).

أتى الفعل (أنزل) وشبه الجملة (إليك) فى كثير من آيات القرآن العظيم ليقوم مقام الفاعل، وأتى شبه الجملة (عليك) مع الفعل أنزل أيضاً وأتى لفظ الجلالة (رب) مضافاً إلى الضمير العائد إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - مرة ومضافاً إلى المسلمين أخرى وأتى الفعل (نزل) بالتشديد ليدل على الكثرة والقوة ومعه شبه الجملة (إليهم) ليقوم مقام الفاعل وفى ذلك بيان.

وفى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٣).

أتى شبه الجملة قائماً مقام الفاعل لكن "السمين الحلبى" يرى «أن عائد اسم الموصول هو الضمير القائم مقام الفاعل»^(٤).

ويقول "أبو السعود" فى دلالة التركيب هنا :

«والتعبير عن إنزاله بالماضى مع كون بعضه مترقياً حينئذ لتغليب المحقق على المقدر أو لتنزيل ما فى شرف الوقوع لتحقيقه منزلة الواقع - وبناء الفعلين للمفعول للإيذان بتعيين الفاعل والجرى على سنن الكبرياء وقد قرئنا على البناء للفاعل»^(٥).

(١) الآيات ٧٨ - ٨٠ سورة الشعراء، وانظر أبو السعود فى تفسيره، ج١، ص ٢٣.

(٢) من الآية ٤ سورة البقرة.

(٣) من الآية ٤ سورة البقرة.

(٤) السمين الحلبى : الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، ج١، ص ٩٨.

(٥) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ١، ص ٣٩.

وفى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنزَلْنَا وَمَا أَنزَلْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١).

وفى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنزَلْنَا وَمَا أَنزَلْنَا مِن قَبْلُ وَأَن أَكْثَرُكُمْ﴾^(٢).

وقوله تعالى : ﴿كَتَابُ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾^(٣).

وقوله تعالى : ﴿قَالُوا نؤمنُ بِمَا أَنزَلْنَا عَلَيْنَا وَنَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾^(٤).

وقوله تعالى : ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْنَا وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾^(٥).

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾^(٦).

وقوله تعالى : ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٧).

أتى هنا بعد الفعل (أنزل) المبنى للمفعول شبه الجملة مرتين (إليكم) (من ربكم) وقد حل شبه الجملة (إليكم) محل الفاعل فى رأى جمهور النحويين أما (من ربكم) فقال "العكبرى" : «يجوز أن يتعلق بأنزل، ويكون لابتداء الغاية، وأنه متعلق بمحذوف، ويكون حالاً، أى أنزل إليكم كائنًا من ربكم»^(٨).

(١) من الآية ١٣٦ سورة البقرة.

(٢) من الآية ٥٩ سورة المائدة.

(٣) من الآية ٢ سورة الأعراف.

(٤) من الآية ٩١ سورة البقرة.

(٥) من الآية ٨٤ سورة آل عمران.

(٦) من الآية ١٠٢ سورة البقرة.

(٧) من الآية ٣ سورة الأعراف.

(٨) العكبرى : إملاء ما من به الرحمن، حـ١، ص ٢٦٨.

وأما قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾^(١) . فقد يظنُّ بعض الباحثين أن (الحق) هنا يقوم مقام الفاعل وهذا خطأ.

قال "الفراء" : «والذى رفع بالاستئناف وخبره الحق. وإن شئت جعلت الذى خفضاً نعتاً للكتاب مردوداً عليه، وإن كانت فيه الواو كما فى قوله :

«إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم»^(٢) .

وقد وضح ذلك العكبرى بقوله :

«والذى (أنزل) فيه وجهان : أحدهما هو فى موضع رفع (والحق) خبره، ويجوز أن يكون الخبر من ربك، والحق خبر مبتدأ محذوف، أو هو خبر بعد خبر، وكلاهما خبر واحد، ولو قرئ الحق بالجر لجاز على أن يكون صفة لربك، الوجه الثانى أن يكون، والذى صفة للكتاب، وأدخلت الواو فى الصفة كما أدخلت فى النازلين والطيبين، والحق بالرفع على هذا خبر مبتدأ محذوف»^(٣) .

ووضح دلالة التركيب هنا "أبو السعود" بقوله : (والذى أنزل إليك من ربك الحق) «أى الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها، وفى التعبير عنه بالموصول وإسناد الإنزال إليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربويّة مضافاً إلى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شأن المنزل إليه والإيحاء إلى وجه بناء الخبر ما لا يخفى»^(٤) .

(١) من الآية ١ سورة الرعد.

(٢) الفراء : معانى القرآن، ج٢، ص ٥٨.

(٣) العكبرى : إملأ ما من به الرحمن، ج١، ص ٦١.

(٤) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ١٤٤.

(٣) قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١).

أتى التركيب (وعلى المولود له رزقهنَّ) مبتدأ للمفعول بصيغة اسم المفعول (المولود) الذى يعمل على الفعل المبني للمفعول (وُلِدَ) وقد اختلف النحويون فى نائب الفاعل هنا :

قال "العكبرى" : «وعلى المولود، الألف واللام بمعنى الذى والعائد عليها الهاء فى (له) وله القائم مقام الفاعل»^(٢).

وقال "أبو حيان الأندلسى" : «إن المفعول الذى لم يُسمَّ فاعله هنا هو الجار والمجرور، وحذف الفاعل وهو الوالدات والمفعول به، وهو الأولاد وأقيم الجار والمجرور مقام الفاعل. وهذا على مذهب البصريين، ولكن الكوفيين اختلفوا فى الذى أقيم مقام الفاعل هنا فذهب الكسائى وهشام بن معاوية الضرير إلى أن مفعول الفعل ضمير مبهم مستتر فى الفعل، وإبهامه من حيث أنه يحتمل أن يراد به ما يدل على الفعل من مصدر أو ظرف زمان أو ظرف مكان، وذهب الفراء إلى أن حرف الجر وحده فى موضع رفع كما أن يقوم من زيد يقوم فى موضع رفع»^(٣).

والرأى الأقوى هنا هو رأى البصريين

(٤) قوله تعالى : ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^(٤).

أتى التركيب (محرمة) عليهم مبتدأ للمفعول وعمل اسم المفعول (محرم) عمل الفعل المبني للمفعول (حُرِّمَ) واختلف النحويون فى مفعول ما لم يُسمَّ فاعله.

(١) من الآية ٢٣٣ سورة البقرة.

(٢) العكبرى : إملأ ما من به الرحمن، جـ ١، ص ٩٧.

(٣) أبو حيان الأندلسى : البحر المحيط، جـ ٢، ص ٢١٣.

(٤) من الآية ٢٦ سورة المائدة.

قال البصريون : «نائب الفاعل شبه الجملة وتقدير الجملة (فإن الله حرم الأرض عليهم. فلما حذف المفعول والفاعل معلوم وهو مقام العزة قام شبه الجملة مقام الفاعل.

وقال الكوفيون : نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي يعود على دخول الأرض وتقدير المعلوم : إن الله تعالى حرم دخولها عليهم»^(١).

ورأى الكوفيين هنا يناسب المعنى القرآني ولا يحتاج إلى إيضاح «(وأربعين سنة) ظرف محرمة، فالتحريم على هذا مقدر وقيل هي ظرف ليتيهون، فالتحريم على هذا غير مؤقت»^(٢).

وقال "القرطبي" في دلالة التركيب : (معنى) محرمة : أى أنهم ممنوعون من دخولها كما يقال حرم الله وجهك على النار وحرمت عليك دخول الدار، فهو تحريم منع لا تحريم شرع عن أكثر أهل التفسير؛ كما قال الشاعر :

جالت لتصرعني فقلت لها اقصرى

إنسى امرؤ صرعى عليك حرام

أى أنا فارس فلا يمكنك صرعى. وقال أبو على يجوز أن يكون تحريم تعبد^(٣) :

(٥) قوله تعالى : ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾^(٤).

أتى التركيب (يُصرف عنه يومئذ) مبنياً للمفعول ونلاحظ أن هناك (شبه

(١) السمين الحلبي : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج٢، ص ١٢٥.

(٢) العكبري : إملأ ما من به الرحمن، ج١، ص ١٢٣.

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص ٦٥١، وانظر أبو السعود : ج١، ص ٢٨.

(٤) من الآية ١٦ سورة الأنعام.

الجملة الأولى جار ومجرور والثاني ظرف مركب) وقد قُرئ الفعل (يصرف) مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل.

واختلف النحويون أيضاً في من يقوم مقام الفاعل وفي هذا بيان :

قال "العكبري" : (مَنْ يُصْرَفُ عَنْهُ) يقرأ بضم الياء وفتح الراء على ما لم يُسمَّ فاعله، وفي القائم مقام الفاعل وجهان، أحدهما (يومئذ) أى من يصرف عنه عذاب يومئذ فحذف المضاف، ويومئذ مبنى على الفتح. والثاني أن يكون مضمراً في يصرف يرجع إلى العذاب فيكون يومئذ ظرفاً ليصرف أو للعذاب أو حالاً من الضمير.

ويُقرأ بفتح الياء وكسر الراء على تسمية الفاعل أى من يَصْرَفُ الله عنه العذاب، فمن على هذا مبتدأ، والعائد عليه الهاء فى عنه وفى (رحمة) والمفعول محذوف وهو العذاب، ويجوز أن يكون المفعول يومئذ : أى عذاب يومئذ، ويجوز أن تجعل (من) فى موضع نصب بفعل محذوف تقديره : من يكرم يصرف الله عنه العذاب، فجعلت يصرف تفسيراً للمحذوف، ومثله ﴿وَأَيَّيَّاهُ فَارْهَبُون﴾.

ويجوز أن ينصب من يصرف، وتجعل الهاء فى عنه للعذاب، أى أى إنسان يصرف الله عنه العذاب فقد رحمه، فأما (من) على القراءة الأولى فليس فيها إلا الرفع على الابتداء، والهاء فى عنه يجوز أن ترجع على "من" وأن ترجع على العذاب^(١).

وقال الإمام "فخر الدين الرازى" عن (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه فيها مسألتان :

المسألة الأولى : قرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي (يَصْرَفُ) بفتح الياء وكسر الراء وفاعل الصرف على هذه القراءة الضمير العائد إلى "ربى" من قوله

(١) العكبري : إملاء ما من به الرحمن، ج١، ص ٢٣٧.

تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾^(١) والتقدير : من يصرف هو عنه يومئذ العذاب وحجة هذه القراءة قوله تعالى : (فقد رحمه) فلما كان هذا فعلاً مستنداً إلى ضمير اسم الله تعالى وجب أن يكون الأمر في تلك اللفظة الأخرى على هذا الوجه ليتفق الفعلان وعلى هذا التقدير يكون صرف العذاب مستنداً إلى الله تعالى، وتكون الرحمة بعد ذلك مسندة إلى الله تعالى.

وأما الباقيون فإنهم قرأوا (من يصرف عنه) على فعل ما لم يُسم فاعله، والتقدير من يُصرف عنه عذاب يومئذ، وإنما حسن ذلك لأنه تعالى أضاف العذاب إلى اليوم في قوله تعالى ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) فلذلك أضاف الصرف إليه والتقدير : من يصرف عنه عذاب ذلك اليوم.

(المسألة الثانية) : ظاهر الآية يقتضى كون ذلك اليوم مصروفاً وذلك الحال، بل المراد عذاب ذلك اليوم، وحسن هذا الحذف لكونه معلوماً^(٣).

ومن هذا العرض نرى أن نائب الفاعل هنا هو ضمير مستتر يعود على العذاب وذلك يتفق مع المعنى القرآنى فى الآية الكريمة. وذلك رأى غالب الكوفيين وبهم نقتدى.

(٦) قوله تعالى : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾^(٤).

أتى الفعل (وورى) هنا مبنياً للمفعول وحلّ شبه الجملة (عنهما) محل الفاعل وقد أفاض الصرفيون فى صيغة (وورى) لم لم تقلب الواو المضمومة همزة

^(١) من الآية ١٥ سورة الأنعام.

^(٢) من الآية ١٥ سورة الأنعام.

^(٣) الإمام فخر الدين الرازى، مفاتيح الغيب، المجلد السادس، ص ٢٤٤.

^(٤) من الآية ٢٠ سورة الأعراف.

كما قلبت في أوْصِل تصغير واصل.

قال "الرضى" فى شرح الشافية : «تقلب الواو همزة لزومًا فى نحو أوْاصل، وأوْصل والأولى إذا تحركت الثانية بخلاف وورى وذلك لاستقلال اجتماع المثلين فى أول الكلمة قالوا وإن وقعتا فى الصدر والواو أثقل حروف العلة قلبت أولاهما همزة، إلا إذا كانت الثانية مدة منقلبة عن حرف زائد نحو وورى وارى، فإنه لا يجب قلب الأولى همزة لعروض الثانية، من جهة الزيادة، ومن جهة انقلابها عن الألف، ولكون المد مخففًا لبعض الثقل»^(١).

وقال "ابن القبيصى" : «اعلم أنه متى اجتمع واوان أولاً، ولم تكن الثانية مدة لزم إبدال الأولى همزة، تقول فى تكسير "واصل" و"واعد" أوْاصل - وأواعد وتقول فى فُعْلى من أوْل : أوْلى والأصل وولى، فإن انضمت الواو ضمًا لازمًا جاز قلبها همزة تقول فى وجوه أجوه، وفى وُقَّتْ أَقَّتْ»^(٢).

(٧) قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾^(٣).

أتى التركيب (سَقَطَ فى أيديهم) مبنياً للمفعول. قال جمهور اللغويين إن تركيب (سَقَطَ فى يده) يكون مبنياً للمفعول غالباً ولذلك تعد شبه الجملة (فى أيديهم) فى محل رفع نائب فاعل فى رأى الأقوى أو فى محل رفع فاعل على من ذهب إلى أن البناء ليس له معلوم. وقد اتفق جمهور اللغويين على التركيب ولكنهم اختلفوا فى دلالة هذا التركيب وفى هذا بيان.

قال "الفراء" : «(ولما سقط فى أيديهم) أى من الندامة. ويقال أسقط لغة

^(١) الرضى : فى شرح شافية ابن الحاجب، ج٣، ص ٧٦.

^(٢) ابن القبيصى (أبو عبد الله بن أبى الوفاء الموصلى المعروف بابن القبيصى، ت بعد ٦١٠ هـ) (التممة فى

التصريف)، تحقيق ودراسة د. مُحسِن بن سالم العميرى، ص ١٢٣.

^(٣) من الآية ١٤٩ سورة الأعراف.

قال "الفراء": «فَعَمَّيتُ عليكم: قرأها "يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة"»^(١) وهي في قراءة أبيّ (فَعَمَّاهَا عليكم) وسمعت العرب تقول: قد عُمِّيَ عليّ وعُمِّيَ عليّ بمعنى واحد وهذا مما حَوَّلَت العرب الفعل إليه وليس له، وهو في الأصل لغيره، ألا ترى أنّ الرجل الذي يعمى عن الخبر أو يُعمى عنه ولكنه في جوازه مثل قول العرب دخل الخاتم في يدي والخُفُّ في رجلي، وأنت تعلم أن الرَّجُلَ التي تدخلُ في الخُفِّ والإصبع في الخاتم.

فاستخفوا بذلك إذا كان المعنى معروفاً لا يكون بدا في حال، ولذا في حال إنما هو لواحد فاستجازوا ذلك لهذا، وقرأه العامة (فَعَمَّيتُ عليكم) مخففة»^(٢).

وقال "ابن خالويه": «قوله تعالى (فَعَمَّيتُ عليكم) يقرأ بضم العين والتشديد، وبفتحها والتخفيف فالحجة لمن ضَمَّ وشَدَّد أنه دلّ بذلك على بناء الفعل لما لم يُسمَّ فاعله ودليله أنها في حرف عبد الله وأبيّ فَعَمَّاهَا عليكم، والحجة لمن فتح وخفَّف إنه جعل الفعل للرحمة في قوله تعالى: ﴿وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيتُ﴾»^(٣) ومعناها قريب يريد فتحفيت»^(٤).

وقد وضع هذه القراءات مكّي بن أبي طالب بقوله:

«فَعَمَّيتُ عليكم: من خفّفه من القراء حمله عليّ معنى فعميتم عن الأخبار التي أتتكم وهي الرحمة فلم تؤمنوا بها ولم تُعمّ الأخبار نفسها عنهم ولو عميت هي لكان لهم في ذلك عذر إنما عموا هم عنها فهو من المقلوب كقولهم: أدخلت القلنسوة في رأسي وأدخلت القبر "زيدا" فقلت جميع هذا في ظاهر اللفظ لأن المعنى

^(١) وهي أيضاً قراءة الكسائي وحفص عن عاصم (انظر في تفصيل القراءة السبعة في القراءات لابن مجاهد، ص ٣٥٧، وابن الجزري في النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٢٨٨).

^(٢) الفراء: معاني القرآن، ج ٢، ص ١٢.

^(٣) من الآية ٢٨ سورة هود.

^(٤) ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص ١٨٦.

وسقط فى أيديهم أكثر وأجود^(١). وقال "القرطبي": يقال للنادم المتحير قد سَقِطَ فى يده، قال "الأخفش": يقال سَقِطَ فى يده وأسقط، ومن قال سقط فى أيديهم على بناء الفاعل فالمعنى عنده سقط الندم. قال "الأزهري والنحاس" وغيرهما والندم يكون فى القلب ولكنه ذكر اليد لأنه يقال لمن يحصل على شيء قد حصل فى ذلك أمر كذا لأن مباشرة الأشياء فى الغالب باليد وأيضاً الندم يدخل فى القلب فأثره يظهر فى البدن لأن النادم بعضُ يده، ويضرب إحدى يديه على الأخرى^(٢).

وقال "أبو السعود": «ولما سقط فى أيديهم أى ندموا على ما فعلوا غاية الندم فإن ذلك كناية عنه لأن النادم المتحسر بعضُ يده غمًا فتصير يده مسقوطة فيها. وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العضُ فيها فاليدُ حقيقة - وقال "الزجاج": معناه سقط الندم فى أنفسهم إما بطريق الاستعارة بالكناية أو بطريق التمثيل^(٣).

وفى القاموس المحيط: «وسَقِطَ فى يده وأسَقِطَ مضمومتين زلّ وأخطأ وندم وتحير^(٤)».

(٨) قوله تعالى: ﴿فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ﴾^(٥):

أتى التركيب (فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ): مبنياً للمفعول وقد قرئ الفعل بالتشديد والتخفيف للياء وحلَّ شبه الجملة (عليكم) مقام الفاعل وفى هذا بيان للقراءات والدلالة.

(١) الفراء: معانى القرآن، ج١، ص ٣٩٣.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص ٢٨٥.

(٣) أبو السعود: تفسير أبو السعود، المجلد الثانى، ص ٢٩٨.

(٤) الفيروزباده: القاموس المحيط، باب الفاء.

(٥) من الآية ٢٨ سورة هود.

لا بشكل وقيل معنى (فعميت) لمن قرأ بالتخفيف فخفيت فيكون غير مقلوب على هذا وتكون الأخبار التي أتت من عند الله خفى فهمها عليهم لقلّة مبالاتهم بها وكثرة إعراضهم عنها فأما معناه على قراءة "حفص وحمة والكسائي" الذين قرأوا بالتشديد والضّم على ما لم يسم فاعله فليس فيه قلب ولكن الله عمّاها عليهم لما أراد بهم من الشقوة، يفعل ما يشاء سبحانه، وهي راجعة إلى القراءة الأولى لأنهم لم يعموا عنها حتى عمّاها الله عليهم - وقد قرأ أبى وهى قراءة "الأعمش" فعّمّاها عليكم أى عمّاها الله عليكم فهذا شاهد لمن ضَمَّ وشدّد^(١).

ووضح دلالة التركيب (أبو السعود) بقوله:

«وإن أريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فإفراد الضمير لإرادة كل واحد منهما، أو لكون الضمير للبينة، والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة أو على تقدير فعل آخر بعد البينة. ومعنى عُمِيَتْ أخفيت وقرىء أعميت ومعناها خُفِيَتْ وحقيقته أن الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لأن الأعمى لا يهتدى غيره»^(٢).

(٨) قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾^(٤).

جاء التركيب - سيء بهم، فى الآيتين الكريمتين مبنيًا للمفعول وقد اختلف النحويون فى ما يحل محل الفاعل هنا.

(١) مكى بن أبى طالب: مشكل إعراب القرآن، ج١، ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٢) أبو السعود: تفسير أبو السعود، جلد ٣، ص ٢٤.

(٣) من الآية ٧٧ سورة هود.

(٤) من الآية ٣٣ سورة العنكبوت.

قيل القائم مقام الفاعل ضمير لوط - وقيل هو شبه الجملة^(١) ونرجح هنا ما قاله العكبري أنّ القائم مقام الفاعل ضمير لوط وذلك ليتناسب مع دلالة التركيب. قال "أبو السعود": «أى ساءه بحيثهم لظنه أنهم أناس فخاف أن يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم - وقرأ "نافع وابن عامر والكسائي وأبو عمرو" سيء وسيئت بإشمام السين الضم»^(٢).

وقال "الشوكاني": فى دلالة التركيب فى الآية الثانية «أى لما جاءت الرسل لوطاً بعد مفارقتهم "إبراهيم" سيء بهم أى جاءه ما ساءه وخاف منه، لأنه ظنهم من البشر، فخاف عليهم من قومه لكونهم فى أحسن صورة من الصور البشرية و(أن) فى (أن جاءت) زائدة للتوكيد»^(٣).

(٩) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٤)
أتى التركيب استهزى برسل من قبلك : مبنياً للمفعول وقد ضم أول الفعل وثالثه وكسر ما قبله جرياً على قاعدة صياغة المبنى للمفعول المبدوء بهمزة وصل زائدة.

وقد حل شبه الجملة (برسل) محل الفاعل فى التركيب هنا وتقدير الجملة النواة فى المعلوم ولقد استهزأ الكفار برسل من قبلك والتكثير فى رسل للتكثير أى برسل كثيرة.

(١٠) فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَيَنْفُخُ فِي الصُّورِ﴾^(٦).

(١) العكبري: إملاء ما من به الرحمن، ج٢، ص ٤٣.

(٢) أبو السعود: تفسير أبو السعود، جلد ٣، ص ٥٣.

(٣) الشوكاني: فتح القدير، ج٤، ص ٢٨٣.

(٤) من الآية ٣٢ سورة الرعد.

(٥) من الآية ٧٣ سورة الأنعام. ومن الآية ١٠٢ سورة طه.

(٦) من الآية ٩٩ سورة الكهف ومن الآية ١٠١ سورة المؤمنون ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ ومن الآية ٥١

سورة يس ومن سورة الزمر من الآية ٦٨ ومن الآية ٢٠ سورة ق.

أتى هذا التركيب (نُفِخَ أو يُنْفَخُ أو فإذا نُفِخَ في الصور في آيات من القرآن العظيم وقد جاء مرة واحدة وكان المصدر الصريح يقوم مقام الفاعل في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾^(١). وأتى مصدرًا مقدّرًا في قوله تعالى ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾^(٢). وقد قدّره النحويون (نُفِخَ فيه نفخة أخرى)^(٣).

ولكن أنقيم الجار والمجرور في بقية الآيات التي لم يظهر فيها المصدر مقام الفاعل أم نقدر مصدرًا مثل هاتين الآيتين نرى أنه يجوز الوجهان وهناك قراءات للفعل (ينفخ) من قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾^(٤). يوضح هذه الدلالة.

قال "ابن الجزرى" : «أبو عمرو يوم ينفخ بالياء مفتوحة وضم الفاء والباقون بالياء مضمومة وفتح الفاء ابن كثير»^(٥).

وقال "ابن خالويه" : «إجماع القراء فيه على الياء وضمها على ما لم يُسَمَّ فاعله إلا ما اختاره أبو عمرو من التون وفتحها وله في ذلك وجهان أحدهما أنه أتى بالنون في نَفَخَ ليوافق به لفظ ﴿نَحْشُرُ﴾^(٦) فيكون الكلام من وجه واحد والثاني أن النافخ في الصور وإن كان إسرافيل فإن الله عز وجل هو الأمر له بذلك والمقدر والخالق له فنسب الفعل إليه لهذه المعاني»^(٧).

(١) الآية ١٣ سورة الحاقة.

(٢) من الآية ٦٨ سورة الزمر.

(٣) انظر : الإمام فخر الدين الرازى في مفاتيح الغيب، ج١٣، ص ٤٧٩، وأبو السعود في تفسيره، مجلد

٤، ص ٤٧٧.

(٤) من الآية ١٠٢ سورة طه.

(٥) ابن الجزرى : تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، ص ١٤١، ١٤٢.

(٦) من الآية ١٠٢ سورة طه.

(٧) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع، ص ٢٤٦.

وقال "أبو السعود" : «وقرئ نفخ بالنون على إسناد النفخ إلى الأمر به تعظيماً له وبالياء المفتوحة على أن ضميره لله عز وجل أو لإسرافيل -عليه السلام- وإن لم يجر ذكره لشهرته»^(١).

(١١) وفي قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ﴾^(٢).

أتى التركيب (كُتِبَ عليه) «مبتئياً للمفعول وحل شبه الجملة محل الفاعل وذلك لدلالة التركيب أى كُتِبَ على الشيطان وقيل الذى يحل محل الفاعل المصدر المؤول من أن واسمها وخبرها والتقدير كتب على الشيطان تولية الكافر وشأنه أنه يضلّه عن طريق الحق»^(٣).

(١٢) وفي قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾^(٤).

أتى التركيب (فُزِّعَ عن قلوبهم) مبتئياً للمفعول وقد قرئ الفعل بالبناء للمفعول وبالبناء للفاعل وقام شبه الجملة (الجار والمجرور) مقام الفاعل هنا وفى ذلك تفصيل.

قال "ابن مجاهد" : «قرأ ابن عامر فُزِّعَ مفتوحة الفاء والزاي وقرأ الباقر فُزِّعَ بضم الفاء وكسر الزاي»^(٥).

(١) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٤٩٠.

(٢) من الآية ٤ سورة الحج.

(٣) العكبري : إملأ ما من به الرحمن، جـ ٢، ص ١٣٩ وانظر الشوكاني فى فتح القدير، جـ ٣، ص

٦١٦.

(٤) من الآية ٢٣ سورة سبأ.

(٥) ابن مجاهد : السبعة، ص ٥٣٠، وانظر ابن الجزرى فى تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة،

ص ١٦٢ حيث قال : ابن عامر ويعقوب إذا فُزِّعَ يفتح الفاء والزاي والباقر بضم الفاء وكسر الزاي.

وقد بين ابن خالويه هذه القراءات بقوله : «أجمع القراء على ضم الفاء دلالة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ومعنى ذلك أن الملائكة لما سمعت صليل الوحي إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى - عليه السلام - فزعت له خوفاً من قيام الساعة فقالوا : ماذا قال ربكم فأجيبوا قالوا الحق أى قال ربكم الحق»^(١).

ولكن ما ذكره ابن خالويه يختلف معه كثير من المفسرين فى دلالة التركيب هنا :

قال "أبو السعود" : «حتى إذا فُزِعَ عن قلوبهم، أى قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين وأما الكفرة فهم فى موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفرغ عن قلوبهم بألف منزل والتفرغ إزالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع وأسند الفعل إلى الجار والمجرور وحتى غاية لما يبنى عنه ما قبلها من الإشعار بوقوع الإذن لمن أذن له فإنه مسبوق بالاستئذان المستدعى للترقب والانتظار للجواب كأنه سئل كيف يؤذن لهم فقليل يترصدون فى موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجَلٍ وفزع ملباً حتى إذا أزيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي ظهرت لهم تباشير الإجابة وقرئ فُزِعَ مخففاً وقرئ فُزِعَ على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة أى نفى الوجل عنها وأفنى من فرغ الزاد إذا لم يبق منه شيء وهو من الإسناد المجازى لأن الفراغ وهو الخلو حال ظرفه عند نفاده فأُسند إليه عكس قولهم جرى النهر وعن (الحسن) تخفيف الراء وأصله فرغ الوجل عنها أى انتفى عنها ثم حذف الفاعل وأسند إلى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفرغ وقرئ ارتفع من قلوبهم بمعنى انكشف عنها»^(٢).

وقال "القرطبي" : «قال ابن عباس : خلى عن قلوبهم الفزع (قطرب)

^(١) ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٢٩٤.

^(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٣٥٠.

أخرج ما فيها من الخوف (بجاهد) كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة أى أن الشفاعة لا تكون من أحد من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام، إلا أن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة فى الشفاعة وهم فى غاية الفزع من الله كما قال تعالى : ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ مُشْفِقُونَ﴾^(١). والمعنى أنه إذا أذن لهم فى الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا، لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف أن يقع فى تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير، فإذا سُرى عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الروحى بالأذن ماذا قال ربكم أى ماذا أمر به فيقولون لهم قال القول الحق وهو قبول شفاعتكم للمستحقين لها دون غيرهم^(٢).

وقال "الشوكانى" : «وقيل هذا الفزع يكون للملائكة فى كل أمر أمر به الرب والمعنى لا تنفع الشفاعة إلا من الملائكة الذين هم فزعون اليوم مطيعون لله دون الجمادات والشياطين، وقيل إن الذين يقولون : ماذا قال ربكم هم المشفوع لهم، والذين أجابوهم هم الشفعاء من الملائكة والأنبياء»^(٣).

(١٣) وفى قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ﴾^(٤).

أتى التركيب (وقضى بينهم بالحق) مبنياً للمفعول لأن الفاعل معلوم وهو الحق تعالى جَرِئاً على سنن الكبرياء والعزة وأتى بعد الفعل شبه جملة (ظرف) وشبه جملة (جار ومجرور) فأيهما نائب الفاعل ؟

من سياق الموقف نجد أن من قام مقام الفاعل هنا هو (الظرف) (بينهم) لأن معنى الجملة النواة المعلومة (وقضى الله بينهم بالحق) وفى دلالة.

(١) من الآية ٢٨ سورة الأنبياء.

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٠، ص ٢٢٥.

(٣) الشوكانى : فتح القدير، جـ ٤، ص ٤٥٧.

(٤) من الآية ٦٩ سورة الزمر.

قال "أبو السعود" : «قضى بينهم بالحق» أى بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة بإقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم»^(١).
وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : وقضى بينهم بالحق : والمعنى أنهم على درجات مختلفة ومراتب متفاوتة، فلكل واحد منهم فى درجات المعرفة والطاعة حد محدود لا يتجاوز ولا يتعداه، وههنا دققة أعلى مما سبق وهى أنه لما قضى بينهم بالحق، فهو ما حمدوه لأجل ذلك القضاء، بل حمدوه بصفته الواجبة وهى كونه رباً للعالمين فإن من حمد المنعم لأجل أن إنعامه وصل إليه فهو فى الحقيقة ما حمد المنعم وإنما حمد الإنعام وأما من حمد المنعم لا لأنه وصل إليه النعمة فههنا قد وصل إلى لجنة التوحيد.

ثم قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ أى بين البشر^(٢).

وفى تركيب آخر من سورة غافر جاء ﴿فَلِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾^(٣). وأتى بعد الفعل شبه جملة (جار ومجرور) قام مقام الفاعل لأن تقدير الجملة النواة المعلومة (وقضى الله بالحق)^(٤).

وفى تركيب ثالث من سورة فصلت قوله تعالى : ﴿وَكُلًّا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ

رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾

وأتى بعد الفعل قضى شبه جملة ظرف (بينهم) قام مقام الفاعل.

^(١) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٤٧٧.

^(٢) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ٤٨٧.

^(٣) من الآية ٧٨ سورة غافر.

^(٤) من الآية ٤٥ سورة فصلت.

وفى سورة الشورى أيضًا التركيب نفسه بزيادة إلى أجل مسمى وهو قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾^(١).

وسياق الموقف فى التركيبين السابقين بين موقف أهل الكتاب من القيام بالدين الحق وتفرقهم واختلافهم وإن الحق تعالى يؤجل لهم العذاب بقضائه وأمره. قال "الشوكانى" : «لَقُضِيَ بينهم أى لوقع القضاء بينهم بإنزال العقوبة بهم معجلة، وقيل : لقضى بين من آمن منهم ومن كفر بنزول العذاب بالكافرين ونجاة المؤمنين»^(٢).

(١٤) وفى قوله تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾^(٣).

أتى التركيب يطاف عليهم (بصحاف) مبنياً للمفعول وأتى بعد الفعل شبه الجملة ثلاث مرات جار ومجرور ولكن الذى يقوم مقام الفاعل هنا هو شبه الجملة الثانى (بصحاف) وهذا ما يناسب سياق الموقف فى التركيب القرآنى الكريم. والصحاف جمع صحيفة وهى القصعة الواسعة العريضة.

قال "الزمخشري" : «أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة، وهى تشيع عشرة، ثم الصحيفة، وهى تشيع خمسة، ثم المكيلة وهى تُشيعُ الرجلين والدلالة هنا . إنَّ لهم فى الجنة أطعمة يطاف عليهم بها فى صحاف الذهب»^(٤).

وقال "العكبرى" : «يطاف، تقدير الكلام، يدخلون فيطاف فحذف لفهم المعنى»^(٥).

(١) من الآية ١٤ سورة الشورى.

(٢) الشوكانى : فتح القدير، ج٤، ص ٧٤٣.

(٣) من الآية ٧١ سورة الزخرف.

(٤) الشوكانى : فتح القدير، ج٤، ص ص ٧٨٨، ٧٨٩.

(٥) العكبرى : إملاء ما من به الرحمن، ج٢، ص ٢٢٨.

ومثل التركيب السابق قوله تعالى : ﴿طَافَ عَلَيْهِمْ بِكَاسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾^(١) .

(١٥) وفى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾^(٢) .

أتى التركيب (وما أدري ما يفعل بى ولا بكم) مبنياً للمفعول وحلّ شبه الجملة (بى) محل الفاعل وتقدير الجملة النواة المعلومة، وما أدري ما يفعل الله بى ولا بكم وقد اختلف المفسرون فى دلالة ذلك التركيب على النحو التالى :

قال "الإمام فخر الدين الرازى" فى تفسير الآية وجهان :

أحدهما : أن يُحمل ذلك على أحوال الدنيا.

الثانى : أن يُحمل على أحوال الآخرة.

أما الأول ففيه وجوه :

الأول : لا أدري ما يصير إليه أمرى وأمركم، ومنّ الغالب منا والمغلوب.

الثانى : قال "ابن عباس" فى رواية الكلبي لما اشتد البلاء بأصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- بمكة رأى فى المنام أنه يهاجر إلى أرض نخل وشجر وماء فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذى قلت فسكت النبى -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الحق تعالى (وما أدري ما يفعل) بى ولا بكم.

الثالث : قال الضحاك لا أدري ما تؤمرون به ولا ما أؤمر به فى باب التكاليف والشرائع والجهاد ولا فى الابتداء والامتحان وإنما أُنذركم بما أعلمنى الله به من أحوال الآخرة فى الثواب والعقاب.

^(١) الآية ٤٥ سورة الصافات.

^(٢) من الآية ٩ سورة الأحقاف.

والرابع : المراد أنه يقول لا أدري ما يفعل بى فى الدنيا أموت أم أُقتل كما قُتل الأنبياء من قبلى، ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون، أترُمُون بالحجارة من السماء، أم يخسف بكم أم يفعل بى ما يُفعل بسائر الأمم.

أما الذين حملوا هذه الآية على أحوال الآخرة فروى عن ابن عباس -رضى الله عنه- أنه قال لما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف نتبع نبياً لا يدري ما يُفعل به وبنا ؟ فأنزل الحق تعالى أوائل سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ^(١) . ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُمْسِكْ بِعَمَّةٍ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ^(٢) . إلى الآية الخامسة منها فبين تعالى ما يفعل به ومن تبعه ونسخت هذه الآية، وأرغم الله أنف المنافقين والمشركين.

وأكثر المحققين استبعدوا هذا القول واحتجوا عليه بوجوه :

الأول : إنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- لا بد وأن يعلم بمن نفسه كونه نبياً ومتى علم كونه نبياً علم أنه لا تصدر عنه الكبائر وأنه مغفور له وإذا كان كذلك امتنع كونه شاكاً فى أنه هل هو مغفور له أم لا.

الثانى : لا شك أن الأنبياء أرفعُ حالاً من الأولياء فلما قال فى هذا

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٣)

فكيف يعقل أن يبقى الرسول الذى هو رئيس الأتقياء وقُدوة الأنبياء

والأولياء شاكاً فى أنه هل هو من المغفورين لهم أو من المعدنين ؟

^(١) الآية ١ سورة الفتح.

^(٢) الآية ٢ سورة الفتح.

^(٣) الآية ١٣ سورة الأحقاف.

الثالث : أنه تعالى قال : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَهُ﴾^(١) . والمراد منه كمال حاله ونهاية قُربُه من حضرة الله تعالى . ومن هذا حاله كيف يليق به أن يبقى شاكاً في أنه من المعذبين أو من المغفورين ؟ فثبت أن هذا القول ضعيف^(٢) .

وقد أيد هذا القول القرطبي فقد ضعف رأى من قال أنه لا يدري ما يفعل بى ولا بكم فى الآخرة فقال : إن الصحيح فى الآية الكريمة قول الحسن وهو ما يفعل بى ولا بكم فى الدنيا .

قال "الطبرى" : «وهذا أصح قول وأحسنه لا يدري - صلى الله عليه وسلم - ما يلحقه وإياهم من مرض وصحة ورخص وغلاء وغنى وفقر . واختار الطبرى أن يكون المعنى ما أدري ما يصير إليه أمرى وأمركم فى الدنيا، أتؤمنون أم تكفرون، أم تعاجلون بالعذاب أم تؤخرون . قلت : وهو معنى قول الحسن والسدى وغيرها .

قال "الحسن" : «ما أدري ما يفعل بى ولا بكم فى الدنيا، أما فى الآخرة فمعاذ الله ! قد علم أنه فى الجنة حين أخذ ميثاقه فى الرسل، ولكن قال ما أدري ما يفعل بى فى الدنيا أخرج كما أخرجت الأنبياء قبلى، أو أقتل كما قتلت الأنبياء قبلى، ولا أدري ما يفعل بكم، أأمتى المصدقة أم المكذبة، أم أمتى المرمية بالحجارة من السماء قذفاً، أم مخسوف بها خسفاً ثم نزل قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٤) .

(١) من الآية ١٢٤ سورة الأنعام .

(٢) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ٤، ص ١٩٨، ١٩٩ .

(٣) الآية ٣٣ سورة التوبة .

(٤) الآية ٣٣ سورة الأنفال . وانظر الإمام القرطبي فى الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ٦٣٠ .

(١٦) قوله تعالى : ﴿فَطُغِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(١).

أتى التركيب (فطغيع على قلوبهم) مبنياً للمفعول وقام شبه الجملة (على قلوبهم) محل الفاعل.

(١٧) قوله تعالى : ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورًا﴾^(٢).

أتى التركيب (فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورًا) مبنياً للمفعول وفيه شبه الجملة مرتين (بينهم) ظرف (بسور) جار ومجرور وإذا أردنا أن نبحث عن الذى قام مقام الفاعل نقول إن تقدير الجملة النواة المعلومة (فَضْرِبَ اللَّهُ بَيْنَهُمُ سُورًا) فيكون (بسور) وهو الذى يستحق أن يكون نائباً للفاعل والدليل على ذلك أن الكسائي أو الأخفش قال إن الباء فى (بسور) زائدة، والتقدير ضرب بينهم سُورٌ كذا.

قال "الإمام الرازى" : «اختلفوا فى السور فمنهم من قال المراد منه الحجاب والحيلولة أى المنافقون منعوا عن طلب المؤمنين.

وقال آخرون : بل المراد حائط بين الجنة والنار، وهو قول قتادة.

وقال "بجاهد" : هو حجاب الأعراف.

المسألة الثانية : الباء فى قوله تعالى (بسور) صلة وهو للتأكيد والتقدير ضرب بينهم سور كذا، قاله الأخفش^(٣).

وقد ذكر "القرطبي" أغلب الآراء السابقة ولكنه يرى أن الكسائي هو الذى يقول أن الباء صلة^(٤).

(١) من الآية ٣ سورة المنافقين.

(٢) من الآية ١٣ سورة الحديد.

(٣) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ١٥، ص ٣٨١.

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥، ص ٤١٦.

(١٨) وفى قوله تعالى : ﴿يَوْمُ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾^(١).

أتى التركيب (يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) مبنياً للمفعول وقام شبه الجملة (عن ساق) مقام الفاعل.

وفى دلالة التركيب قال المفسرون :

قال "أبو السعود" : يوم يكشف عن ساق أى يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف مَثَلٌ فى ذلك تشمير المخدرات عن سوقهن فى الحرب.
قال حاتم :

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها

وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمرا.

وقيل ساق الشيء أصله الذى هو قوامه كساق الشجر وساق الإنسان أى يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصبح عياناً وتنكّيره للتهويل أو التعظيم وقرئ نكشف بالنون وتُكْشِفُ بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف الأمر أى دخل فى الكشف^(٢).

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : هذا اليوم الذى يكشف فيه عن ساق أهو يوم القيامة أو فى الدنيا ؟ فيه قولان :

الأول : وهو الذى عليه الجمهور، أنه يوم القيامة ثم فى تفسير الساق وجوه.

الأول : أنه الشدة وروى أنه سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال إذا خفى عليكم شيء من القرآن فابتغوه فى الشعر فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر:

(١) من الآية ٤٢ سورة القلم.

(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٥، ص ٧٥٧.

سَنَ لَنَا قَوْمَكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ

وقامت الحربُ بنا على ساقٍ

ثم قال : وهو كَرْبٌ وشدة

وروى مجاهد عنه قال فى : هو أشد ساعه فى القيامة وأنشد أهل اللغة
أبياتاً كثيرة منها .

فإن شَمَرْتَ لك عن ساقها

فدَنِّها ربيع ولا تسام

ومنها :

كشفت لكم عن ساقها

وبدا من الشرِّ الصراح

وقال جرير :

ألا رُبَّ سام الطرف من ال مازنٍ

إذا شَمَرْتَ عن ساقها الحرب شَمراً .

ثم قال "ابن قتيبة" : أصل هذا أنَّ الرجل إذا وقع فى أمر عظيم يحتاج إلى
الجدِّ فيه، يشمر عن ساقه، فلا جرم يقال فى موضع الشكِّ كشف عن ساقه .

وقال الزمخشري فى الكشاف^(١) : «معنى قوله تعالى (يوم يكشف عن
ساق) أى يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق .

وقال أبو سعيد الضرير (يوم يكشف عن ساق) أى أصل الأمر أى يظهر

(١) الزمخشري : الكشاف، ج٤، ص ١٣١ .

يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها.

القول الثالث : يوم يكشف عن ساق جهنم أو عن ساق العرش أو عن ساق ملك مهيب وهذا ضعيف.

والقول الرابع : وهو اختيار المشبهة -لعنهم الله- أنه ساق الله تعالى وهو باطل جملة وتفصيلاً^(١).

ونلاحظ أن شبه الجملة جاء مقدراً في بعض آيات التنزيل العزيز خاصة بعد اسم المفعول الذى يعمل عمل الفعل المبني للمفعول وقد اختلف النحويون والمفسرون في هذا المقدر على النحو التالى :

(١) قوله تعالى : ﴿وَأَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾^(٢).

أتى اسم المفعول (مُسْمِع) يعمل عمل الفعل المبني للمفعول ولم يأت بعده نائباً للفاعل ولذلك قدره النحويون والمفسرون بما يلى :

قال "العكبرى" : «غَيْرُ مُسْمِعٍ حال والمفعول الثانى محذوف، أى لا أسمع مكروهاً، هذا ظاهر قولهم، فأما ما أرادوا فهو لا أسمع خيراً، وقيل أرادوا غير مسموع منك»^(٣).

وقال "أبو السعود" فى دلالة التركيب «عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول أى ويقولون ذلك فى أثناء مخاطبته -عليه السلام- خاصته وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مُسْمِعٍ كلاماً أصلاً بصمم أو موت أى مَدْعُوّاً عليك بلا سمعت أو غير مُسْمِعٍ كلاماً ترضاه فحيثذ يجوز أن يكون نصبه على المفعولية وللخير بأن يحمل على اسمع منا غير مُسْمِعٍ مكروهاً

(١) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ٥، ص ٦٧.

(٢) من الآية ٤٦ سورة النساء.

(٣) العكبرى : إملأ ما من به الرحمن، ج ١، ص ١٨٢.

كانوا يخاطبون به النبي -صلى الله عليه وسلم- استهزاء به مظهرين له -عليه السلام- إرادة المعنى الأخير وهم مُضْمِرُونَ في أنفسهم المعنى الأول مطمئنون به»^(١)
وقال "القرطبي" : «قال ابن عباس : كانوا يقولون للنبي -صلى الله عليه وسلم- اسْمَعْ لاسْمِيعَتَ، هذا مرادهم - لعنهم الله- وهم يظهرون أنهم يريدون اسْمَعْ غير مُسْمَعٍ مكروهاً ولا أذى.

وقال الحسن ومجاهد : «معناه غير مُسْمَعٍ منك، أى لا مقبول ولا مجاب إلى ما تقول؛ وقال النحاس : ولو كان كذا لكان غير مسموع منك»^(٢).

(٢) قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾^(٣).

أتى اسم المفعول (مكذوب) يعمل عمل الفعل المبني للمفعول وحذف الجار والجارور (القائم مقام الفاعل) والتقدير غير مكذوب فيه فى أقوى الآراء.
قال "أبو السعود" : أى غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله :

ويوم شهدناه سليماً وعامراً

قليل سوى طعن النihal نوافله^(٤).

ووضح "الألوسى" ذلك فقال : أى غير مكذوب فيه فحذف الجار وصار الجارور مفعولاً على التوسع لأن الضمير لا يجوز نصبه على الظرفية والجار لا يعمل بعد حذفه، ويسمون هذا الحذف والإيصال وهو كثير فى كلامهم. ويكون فى الاسم كمشترك وفى الفعل كقوله :

(١) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ١، ص ٥٢٩.

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٣٣٨.

(٣) من الآية ٦٥ سورة هود.

(٤) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٤٨.

قال "الرضي" : وقوله تعالى (كل أولئك كان عنه مسئولا) (عنه) مرفوع المحل بمسئول المقدر المفسر بمسئول الظاهر أى مسئولا عنه فى كتابه^(١).

وقال "الصبان" : «والنائب فى الآية الكريمة (وكان عنه مسئولا) ضمير راجع أى ما رجع إليه اسم كان وهو المكلف»^(٢).

وقد وافقه على ذلك الشيخ خالد الأزهرى^(٣).

وقد اختلف المفسرون فى ذلك النائب أيضا كما يلى :

قال "الزمخشري" : «عنه نائب فاعل مسئولا فهو مسند إليه ولا ضمير فيه

نحو قوله تعالى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾^(٤).

وقد ردّ هذا رأى العكبرى وعده غلطاً :

قال "العكبرى" : «والهاء فى عنه ترجع إلى كل أيضا ضمير فى مسئول

لكل أيضا والمعنى، إن السمع يسأل عن نفسه على المجاز؛ ويجوز أن يكون الضمير فى كان لصاحب هذه الجوارح لدلالاتها عليه.

وقال "الزمخشري" : يكون عنه فى موضع رفع بمسئول كقوله : (غير

المغضوب عليهم) وهذا غلط لأن الجار والمجرور يقام مقام الفاعل إذا تقدّم الفعل، أو ما يقوم مقامه، وأما إذا تأخر فلا يصح ذلك فيه لأن الاسم إذا تقدم على الفعل صار مبتدأ، وحرف الجر إذا كان لازماً لا يكون مبتدأ، ونظيره قولك بزيد انطلق، ويدلك على ذلك أنك لو ثبت لم تقل بالزبدن انطلقا، ولكن تصحيح المسألة أن

(١) الرضى : شرح الكافية، ج١، ص ٨٤.

(٢) الصبان : حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج٢، ص ٦٧.

(٣) خالد الأزهرى فى شرح التصريح على التوضيح، ج١، ص ٢٨٧.

(٤) الزمخشري : الكشف، ج٢، ص ٥٢٤، والآية من الآية ٧ سورة الفاتحة.

ويوم شهدناه سليماً وعامراً

قليل سوى طعن النihal نوافله.

أو غير مكذوب على الجاز كأن الواعد قال له فإن وفى به صدقه وإلا كذبه. وهناك استعارة مكنية تخيلية وقيل مجاز مرسل يجعل (مكذوب) بمعنى باطل ومتخلف، أو وعد غير كذب على أن مكذوب مصدر على وزن مفعول كمعقول ومجلود. بمعنى عقل وجلد بأنه سمع منهم ذلك لكنه نادر، ولا يخفى ما فى تسمية ذلك وعداً من المبالغة فى التهكم^(١).

(٣) وقوله تعالى : ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾^(٢).

أتى اسم المفعول (مشهود) يعمل عمل الفعل المبني للمفعول وحذف شبه الجملة (الجار والمجرور) الذى يقوم مقام الفاعل والتقدير مشهود فيه.

قال "أبو السعود" : «وذلك يوم مشهود أى مشهود فيه حيث يشهد فيه أهل السموات والأرض فأتسع فيه بإجراء الظرف بجرى المفعول به كما فى قوله :

فى مَحْفَلٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودِ

أى كثير شاهده»^(٣).

أما قوله تعالى : ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولٌ﴾^(٤). فهو شاهد من شواهد

التحويين الذين عنوا به وأفاضوا فى الخلاف على الذى يقوم مقام الفاعل ؟ أهو أشبه الجملة المقدم (عنه) أم شبه جملة مقدر ؟ وفى ذلك بيان :

(١) الألوسى : روح المعاني، ج ١٢، ص ٩١، ٩٢.

(٢) من الآية ١٠٣ سورة هود.

(٣) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٦٧

(٤) من الآية ٣٦ سورة الإسراء.

تجعل الضمير في مسئول للمصدر، فيكون عنه في موضع نصب كما تقدر في قولك
بزيد انطلق»^(١).

وقد دافع الألوسي عن رأى الزمخشري فقال :

«وليس لقائل أن يقول : إنه على رأى الكوفيين في تجويزهم تقديم الفاعل
إلا أن ينازع في صحة الحكاية ونقل عن صاحب التقريب إنه إنما جاز تقديم (عنه)
مع أنه فاعل لمَّا لأصالة ظرفيته لا لعروض فاعليته ولأن الفاعل لا يتقدم لالتباسه
بالمبتدأ أو لا التباس ههنا ولأنه ليس بفاعل حقيقة.

والإنصاف أنه مع هذا لا يقال لما ذهب إليه شيخ العربية إنه غلط»^(٢).

أما "أبو السعود" فقد فصل المسألة كما يلي؛ قال : «قوله تعالى : (كل
أولئك كان عنه مسئولاً) أى كان كل من تلك الأعضاء مسئولاً عن نفسه، على أن
اسم كان ضمير يرجع إلى (كل) وكذا اسم الضمير المحرور وقد جوز أن يكون
الاسم ضمير الغائب بطريق الالتفات إذ الظاهر أن يقال : (كنت عنه مسئولاً) وقيل
الجار والمحرور في محل الرفع قد أسند إليه (مسئولاً) معللاً بأن الجار والمحرور لا
يلتبس بالمبتدأ وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه، ولكن النحاس
حكى الإجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل إذا كان جاراً ومحروراً.
ويجوز أن يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر
ويعود الضمير مستكنًا كما ذكرنا في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ مَسْهُودٌ﴾^(٣). وجوز أن
يكون (مسئولاً) مُسندًا إلى المصدر المدلول عليه بالفعل وأن يكون فاعله المصدر وهو
السؤال وعنه في محل النصب»^(٤).

(١) العكبرى : التبيان في إعراب القرآن، ج ٢، ص ٩٠.

(٢) الألوسي : روح المعاني، ج ١٥، ص ٧٤.

(٣) من الآية ١٠٣ سورة هود.

(٤) أبو السعود : تفسير أبو السعود، جلد ٣، ص ٣٢٧.

الفصل السادس

المبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر

المبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر

أتى نائب الفاعل فى بعض الآيات القرآنية الكريمة ضميراً مستتراً يعود إلى مفعول به فى التقدير وكنا قد ذكرنا تقدير المصدر المضمر فى بعض الآيات الكريمة وكذلك شبه الجملة المقدر مع بعض أسماء المفعولين التى تعمل عمل الفعل المبني للمفعول وقد رأينا اختلاف النحويين فى بعض هذه التقديرات وسنرى إن شاء الله تعالى أيضاً اختلافهم فى تقدير الضمير المستتر العائد إلى المفعول به تبعاً للمعنى القرآنى ومنه :

(١) قوله تعالى : ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(١).

أتى التركيب (أَعِدَّتْ) مبنياً للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير (النار) وقرئ أَعِدَّتْ وهى قراءة ابن مسعود^(٢) من العتاد بمعنى العدة وقال السمين الحلبي : الظاهر أن هذه الجملة لا محلّ لها لأنها مستأنفة وقال أبو البقاء هـى فى محل نصب حال وهو ضعيف^(٣).

وفى دلالة التركيب قال أبو السعود : «أى هُيئت للذين كفروا والمخاطبون داخلون فيهم دخولاً أولياً وإما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمتهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على أن النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل له من الإعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لإيجاب العمل به ومُبيّنة لمن أريد بالناس واقعة لاحتمال العموم وقيل حال بإضمار قد من النار لا من ضميرها فى وقودها وهذا ضعيف لما فى ذلك من الفصل

(١) من الآية ٢٤ سورة البقرة، ومن الآية ١٣١ آل عمران.

(٢) أبو حيان الأندلسى : البحر المحيط، ج١، ص ١٠٩.

(٣) السمين الحلبي : الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، ج١، ص ٢٠٦، وانظر العكبرى فى إملاء ما

من به الرحمن، ج١، ص ٢٤.

وقال "مكى بن أبى طالب" : «وإن كان رجل يورث كلاله كان بمعنى وقع ويورث نعت لرجل ورجل رفع بكان وكلالة نصب على التفسير وقيل : هو نصب على الحال على أن الكلاله هو الميت فى هذين الوجهين وقيل : هو نصب على أنه نعت لمصدر محذوف تقديره يورث وراثه كلاله على أن الكلاله هو المال الذى لا يرثه ولد ولا والد وهو قول عطاء، وقيل هو خير كان على أن الكلاله اسم للورثه وتقديره ذا كلاله. فأما من قرأ (يورث) بكسر الراء أو بكسرهما والتشديد فكلالة مفعول يورث وكان بمعنى وقع»^(١).

وقال "أبو السعود" : «وإن كان رجل يورث كلاله على البناء للمفعول من ورث لا من أورث خير كان أى يورث منه (كلالة) الكلاله فى الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء استعيرت للقراية من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالإضافة إلى قرابتهما. وتطلق على من لم يخلف ولداً ولا والدًا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذى كلاله كما تطلق القراية على ذوى القربى وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق فنصبها إما على أنها حال من ضمير يورث أى حال كونه ذى كلاله أو على أنها خير لكان يورث صفة لرجل أى إن كان رجل موروث ذا كلاله ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففاً ومشدداً فانتصاب كلاله إما على أنها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف أى يورث وارثه حال كونه ذا كلاله وإما على أنها مفعول ؟ أى يورث ذا كلاله أو على أنها مفعول له أى يورث لأجل الكلاله»^(٢).

وقد وضح القراءات وبيّن الآراء المختلفة فى التركيب الإمام القرطبي بقوله:

«ذكر أبو حاتم والأشرم عن أبى عبيدة قال الكلاله كل من لم يرثه أب أو ابن أو أخ عند العرب كلاله. وروى عن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- أن

^(١) مكي بن أبى طالب : مشكل إعراب القرآن الكريم، ج١، ص ١٩٢.

^(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود، ج١، ص ٤٩٢.

بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة أو عطف على الصلة بترك العاطف»^(١).

ومثله قوله تعالى في المؤمنين :

قوله تعالى : ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

وقوله تعالى : ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٣).

وقد قام مقام الفاعل في الفعلين (أُعِدَّتْ) ضمير الجنة.

وقال "العكبري" في محل الجملة : «(أُعِدَّتْ) يجوز أن يكون في موضع جر صفة للجنة، وأن يكون حالاً منها لأنها قد وُصِفَتْ، وأن يكون مستأنفاً ولا يجوز أن يكون حالاً من المضاف إليه لثلاثة أشياء. أحدها أنه لا عامل، وما جاء من ذلك متأول على ضعفه والثاني أن العرض هنا لا يراد به المصدر الحقيقي، بل يراد به المسافة. والثالث أن ذلك يلزم منه الفصل بين الحال وبين صاحب الحال بالخبر»^(٤).

(٢) قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾^(٥).

أتى التركيب (يُورَثُ كَلَالَةً) مبتدئاً للمفعول وكان الضمير المستتر العائد إلى المفعول هو نائب الفاعل والتقدير يُورَثُهُ ذا كلاله وقد شغل اللغويون أنفسهم بتفسير الكلاله ليتضح معنى التركيب كما يلي.

قال "الفراء" : «الكلاله ما خلا الولد والولد»^(٦).

(١) أبو السعود : تفسير أبو السعود، ج١، ص ٨٣.

(٢) من الآية ١٣٣ سورة آل عمران.

(٣) من الآية ٢١ سورة الحديد.

(٤) العكبري : إملاء ما مَنَّ به الرحمن، ج١، ص ١٤٩.

(٥) من الآية ١٢ سورة النساء.

(٦) الفراء : معاني القرآن، ج١، ص ٢٥٧.

الكلالة من لا ولد له خاصة. وروى عن أبى بكر -رضى الله عنه- ثم رجعا عنه.
وقال "ابن زيد": الكلالة الحى والميت جميعاً. وعن عطاء الكلالة المال،
قال ابن العربى: وهذا قول طريف ضعيف لا وجه له.

قلت: له وجه يتبين بالإعراب وروى عن ابن الأعرابى أن الكلالة بنو العم
الأبعد وعن السدى أن الكلالة الميت وعنه مثل قول الجمهور وهذه الأقوال تبين
وجوهها بالإعراب.

فقرأ بعض الكوفيين يُورَثُ كلالة بكسر الراء وتشديدها وقرأ الحسن
وأيوب (يُورَثُ) بكسر الراء وتخفيفها على اختلاف عنهما وعلى هاتين القراءتين لا
تكون الكلالة إلا الورثة أو المال. كذا حكى أصحاب المعانى فالأول من ورث
والثانى من أورث وكلالة مفعوله وكان بمعنى وقع ومن قرأ يُورَثُ بفتح الراء احتمل
أن تكون الكلالة المال والتقدير يورث وراثه كلالة، فتكون نعتاً لمصدر محذوف
ويجوز أن تكون الكلالة اسماً للورثة وهى خير كان، فالتقدير ذا ورثة. ويجوز أن
تكون تامة بمعنى وقع، ويورث نعت لرجل، ورجل رفع بكان، وكلالة نصب على
التفسير (أى التمييز) أو الحال، على أن الكلالة هو الميت، التقدير: وإن كان رجل
يورث مكلل النسب إلى الميت»^(١).

أما الدكتور حلمى خليل فقد بين هذا التركيب فى رأى علم اللغة الحديث
بقوله: «جملة يورث، مبنية للمجهول، والبنية السطحية لها كما يقول التحويليون
«مشتقة من جملة أخرى مبنية للمعلوم وهى التى تمثل البنية العميقة للجملة المبنية
للمجهول»^(٢). فإن ذلك يعنى أن هذه الجملة مشتقة من جملة أخرى.

أى إن كان رجل يرثه كلالة وحذف الفاعل كلالة وتغيرت صيغة المبنى

^(١) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، ج-٣، ص ١٦٢.

وانظر العكبرى فى إملاء ما من به الرحمن، ج-١، ص ١٦٩، ص ١٧٠.

^(٢) انظر (بالم) فى الدلالة، ص ١٥٦.

للمعلوم من يرثُ إلى يورث وأعيد وضع كلمة كلاله فأصبحت تمييزاً بعد أن كانت فاعلاً فى الجملة المبنية للمعلوم فأصبحت الجملة وإن كان رجل يورث كلاله تمييزاً^(١).

ولكن ما ذكره الدكتور حلمى خليل فى إعراب كلاله ضَعَفَهُ كثير من النحويين منهم ابن هشام^(٢). ولم يذكر هذا رأى كثير من المعربين مثل مكى ابن أبى طالب أو العكبرى وإنما ذكر هذا رأى عرضاً القرطبى كما ذكرنا.

(٣) وفى قوله تعالى : ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾^(٣).

أتى الفعل (يُسْجَن) مبنياً للمفعول وكانت الجملة النواة المعلومه لها يسجنه الملك وحلّ الضمير المستتر العائد إلى سيدنا يوسف -عليه السلام- (وهو المفعول به) محل الفاعل واختلف النحويون فى دلالة هذا التركيب تبعاً لاختلافهم فى نوع (ما) هنا أهى نافية أم استفهامية ؟

قال "أبو السعود" : «ما نافية أى ليس جزاؤه إلا السجن أو العذاب الأليم قيل المراد به الضرب بالسياط أو استفهامية أى أى شىء جزاؤه غير ذاك أو ذلك.

وفى إبهام المرید تهويل الشأن لشأن الجزاء المذكور بكونه قانوناً مطرداً فى حق أحد كائنات من كان»^(٤).

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «ما يَحْتَمِلُ أن تكون نافية أى ليس جزاؤه إلا السجن، ويجوز أيضاً أن تكون استفهامية يعنى أى شىء جزاؤه إلا أن يسجن كما تقول : من فى الدار إلا زيد.

(١) د. حلمى خليل، العربية والغموض، ص ٢١٧.

(٢) انظر ابن هشام : مغنى اللبيب، ص ٥٧٣، طبعة باكستان.

(٣) من الآية ٢٥ سورة يوسف.

(٤) أبو السعود : تفسير أبو السعود، ج٣، ص ٩٧.

والمراد أن يسجن يوماً أو أقل على سبيل التخفيف، فأما الحبس الدائم فإنه يعبر عنه بهذه العبارة، بل يقال : يجب أن يجعل من المسجونين ألا ترى أن فرعون هكذا قال حين تهدد موسى -عليه السلام- في قوله تعالى : ﴿لَنْ اتَّخَذَتْ إِلَهاً غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾^(١).

وقال "القرطبي" : «إلا أن يسجن أو عذاب أليم، تقبل يضرب ضرباً وجيعاً (وما جزاء) ابتداء وخبره أن يسجن أو عذاب عطف على موقع (أن يسجن) لأن المعنى إلا السجن»^(٢).

(٤) قوله تعالى : ﴿يَنْفِي هَذِهِ بَضَاعَتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾^(٣).

أتى التركيب (رُدَّتْ إلينا) مبنياً للمفعول وحلّ الضمير المستتر العائد إلى المفعول محل الفاعل وأصل الجملة النواة (المعلومة) رُدَّها إلينا تفضُّلاً من حيث لا ندرى مَنْ مَنْ علينا والمعنى به سيدنا يوسف -عليه السلام- ولم يكُ يعرفوه بعدُ وقد قرئ الفعل رُدَّت بضم الراء وبكسرها وكلاهما للمفعول.

قال "العكبري" : «(رُدَّت) الجمهور على ضم الراء وهو الأصل، ويقرأ بكسرها، ووجهه أنه نقل كسرة العين إلى الفاء كما فعل في قيل وبيع، والمضاعف يشبه المعتل»^(٤).

وقال "القرطبي" : «وروى علقمة (رُدَّتْ إلينا) بكسر الراء، لأنَّ الأصل رُدَدت، فلما أدغمت قلبت حركة الدال على الراء»^(٥).

(١) الآية ٢٩ سورة الشعراء.

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص ٤٧١.

(٣) من الآية ٦٥ سورة يوسف.

(٤) العكبري : إملاء ما مَنْ به الرحمن، ج٢، ص ٥٥.

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص ٥٨٣.

وقال "أبو السعود" فى دلالة التركيب : «هذه جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الإنكار من بلوغ اللطف غايته كأنهم قالوا : كيف لا وهذه بضاعتنا ردها إلينا تفضلاً من حيث لا ندرى بعد ما منّ علينا من المتن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه.

وقوله تعالى : (رُدَّتْ إلينا) حال من بضاعتنا والعامل معنى الإشارة وإيثار صيغة البناء للمفعول للإيذان بكمال الإحساس الناشئ عن كمال الإحفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله»^(١).

(٥) قوله تعالى : ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾^(٢).

أتى التركيب (يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) مبنياً للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول (أى ما ذكر من القطع والجنت والزرع والنخيل فى الآية نفسها).

وقرئ الفعل (يُسْقَى) بالياء والتاء مبنياً للمفعول وفى ذلك بيان :

قال "الفراء" : «(يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) و(يُسْقَى) وبالياء قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب) فمن قال بالتاء ذهب إلى تأنيث الزروع والجنت والنخيل. ومن ذكر ذهب إلى التثنية، ذلك كله يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، كله مختلف حامض وحلو ففى هذا آية»^(٣).

وقال "أبو السعود" : «يُسْقَى أى ما ذكر من القطع والجنت والزرع والنخيل وقرئ بالتأنيث مراعاة للفظ والأول أوفق بمقام بيانه اتحاد الكل فى حالة السقى بماء واحد لا اختلاف فى طبعه سواء كان السقى بماء الأمطار أو بماء الأنهار»^(٤).

(١) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ١٢١.

(٢) من الآية ٤ سورة الرعد.

(٣) الفراء : معانى القرآن، ج ٢، ص ٥٩، وانظر ابن خالويه فى الحجة فى القراءات السبع، ص ٢٠٠.

(٤) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ١٤٧.

وقال "القرطبي" : «قوله تعالى : (آية ٤ سورة الرعد) كصالح بنى آدم وخيئتهم، أبوهم واحد، قاله النحاس والبخارى. وقرأ عاصم وابن عامر (يُسْقَى) بالياء، أى يُسْقَى ذلك كله. وقرأ الباقون بالتاء، لقوله (جنات) واختاره أبو حاتم وأبو عبيدة، قال أبو عمرو والتأنيث أحسن لقوله تعالى ﴿وَيَفْضِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾»^(١).

(٦) قوله تعالى : ﴿يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾^(٢).

أتى التركيب يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ مبنياً للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول مقام الفاعل وأصل الجملة النواة المعلومة (يردُّه الله تعالى إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ. وقال "أبو السعود" فى دلالة هذا التركيب : «ونعلم مَنْ يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ أى قبل توقُّفه يعاد إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ أى أخسُّ وأحققره وهو (خمس وسبعون) على ما روى عن على -رضى الله عنه- (وتسعون سنة) على ما تُقِلُّ عن قتادة -رضى الله عنه- وقيل خمس وتسعون وإشار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للإيدان بأنَّ بلوغه والوصول إليه رجوع فى الحقيقة إلى الضعف بعد القوة كقوله تعالى : ﴿نَنكِسُهُ فِي الْخَلْقِ﴾»^(٣). ولا عمر أسوأ حالاً من الهرم الذى يشبهه الطفل فى نقصان العقل والقول»^(٤).

(٧) وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ﴾»^(٥).

جاء التركيب (تُخْلَفُهُ) مبنياً للمفعول وقام الضمير العائد إلى المفعول به

(١) انظر القرطبي فى الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص ٦٢٣، والآية هى من الآية الرابعة سورة الرعد.

(٢) من الآية ٧٠ سورة النحل.

(٣) من الآية ٦٨ سورة يس.

(٤) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٢٧٨.

(٥) من الآية ٩٧ سورة طه.

(السامري) مقام الفاعل وبقي المفعول الثاني وهو الضمير المتصل في محل نصب كما هو. وأصل التركيب في الجملة التواة المعلومة لن يُخْلِفَكَ اللهُ ذلك الوعد بل ينجزه لك بعد ما عاقبك في الدنيا.

وقرئ الفعل (تُخْلَفُ) بقراءات عديدة تتغير فيها الدلالة تبعاً للقراءات :
قال "ابن الجزري" : «وأبو عمرو ويعقوب لن تُخْلَفَ بكسر اللام والباقون يفتحها»^(١).

وقال "ابن خالويه" : «يُقرأ بكسر اللام وفتحها فالحجة لمن كسر أنه جعل الفعل للسامريّ والهاء كناية عن الموعد والحجة لمن فتح أنه أراد الدلالة على أنه مستقبل ما لم يُسمَّ فاعله والهاء على أصلها في الكناية، وهي في موضع نصب في الوجهين»^(٢).

وقال "العكبري" : «لن تُخْلَفَ بضم التاء وكسر اللام أى لا تجده مخلفاً مثل أحمدته وأجبتته، وقيل المعنى سيصل إليك فكأنه يفى به، ويقرأ بضم التاء وفتح اللام على ما لم يُسمَّ فاعله، ويقرأ بالنون وكسر اللام أى لن تُخْلِفَكَ فَحذف المفعول الأول»^(٣).

ووضح "الألوسي" تلك القراءات ودلالاتها كما يلي :

(لن تُخْلَفَ) : أى لن يُخْلِفَكَ اللهُ تعالى ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعدما عاقبك في الدنيا.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والأعمش بضم التاء وكسر اللام على البناء للفاعل على أنه من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفاً كأجبتته إذا وجدته جباناً وعلى

^(١) ابن الجزري : تجميع التيسير في قراءات الأئمة العشرة، ص ١٤١.

^(٢) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع، ص ٢٤٧.

^(٣) العكبري : إملأ ما من به الرحمن، ج ٢، ص ١٢٦.

ذلك قول الأعشى :

أثوى وقصر ليله ليزودا فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

وجوز أن يكون التقدير : لن تخلف الواعد إياه فحذف المفعول الأول وذكر الثانى لأنه المقصود. والمعنى لن تقدر أن تجعل الواعد مخلقا لوعده بل سيفعله، ونقل "ابن خالويه" عن "أبو نهيك" أنه قرأ (لن تَخْلُفَه) بفتح التاء المثناة وضم اللام وفى (اللوامح) أنه قرئ (لن يَخْلُفَه) بفتح الياء المثناة من تحت وضم اللام وهو من خلفه يخلفه إذا جاء بعده قيل المعنى على الرواية الأولى وإن لك موعدا لابد أن تصادفه وعلى الرواية الثانية وإن لك موعدا لا يدفع قول لا مساس فافهم. وقرأ ابن مسعود والحسن بخلاف عنه (لن نَخْلِفَه) بالتون المفتوحة وكسر اللام على أن ذلك حكاية قول الله عز وجل.

وقال "ابن جنى" : «أى لن نصادفه خلقا فيكون من كلام موسى -عليه السلام- لا على سبيل الحكاية وهو ظاهر لو كانت النون مضمومة»^(١).

(٨) قوله تعالى : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾^(٢).

أتى التركيب (ولِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) مبنيا للمفعول وتقدير الجملة النواة وليصنعك الله على مرأى من مقام العزة أو لتغذى على محبتى وإرادتى كما سنفهم ذلك فى دلالة التركيب. وقد حل الضمير المستتر العائد إلى موسى -عليه السلام- وهو المفعول به محل الفاعل.

وقرئ الفعل بقرئات.

قال "ابن الجزرى" : «أبو جعفر ولِتُصْنَعَ بإسكان اللام والجزم والباقون بكسر اللام والنصب»^(٣).

(١) الألوسى : روح المعانى، ج ١٦، ص ٢٥٦.

(٢) من الآية ٣٩ سورة طه.

(٣) ابن الحررى . تكميل التيسير، ص ١٤٠

وقال "العكبرى" : «وَلْتَصْنَعْ : أى لتحب ولتصنع، ويقراً على لفظ الأمر: أى ليصنعك غيرى بأمرى ويقراً بكسر اللام وفتح التاء والعين : أى لتفعل ما أمرك بمراى منى»^(١).

وقد وضع دلالة التركيب "الشوكانى" بقوله : «وَلْتَصْنَعْ على عيني» أى ولتربى وتغذى بمراى منى، يقال : صنع الرجل جاريته إذا ربّاهـا وصنع فرسه : إذا داوم على علفه والقيام عليه، وتفسير (على عيني) بمراى منى صحيح.

قال "النحاس" : وذلك معروف فى اللغة، ولكن لا يكون فى هذا تخصيص لموسى، فإنّ جميع الأشياء بمراى من الله. وقال أبو عبيدة وابن الأنبارى : إنّ المعنى لتغذى على محبتى وإرادتى، تقول : (أَتَخِذُ الأشياء على عيني) أى على محبتى.

قال "ابن الأنبارى" : العين فى هذه الآية يقصد بها قصد الإرادة والاختيار، من قول العرب : غدا فلان على عيني أى على المحبة منى. قيل واللام متعلقة بمحذوف أى فعلت ذلك لتصنع، وقيل : متعلقة بالقيت، وقيل متعلقة بما بعده أى ولتصنع على عيني قدّرنا مشى أختك. وقرأ ابن القعقاع (وَلْتَصْنَعْ) بإسكان اللام على الأمر، وقرأ أبو نهيك بفتح التاء، والمعنى : ولتكون حركتك وتصرفك بمشيئتى، وعلى عَيْنٍ منى»^(٢).

(٨) قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾^(٣).

أتى الفعل (تُنسى) مبنياً للمفعول فى فاصلة الآية الكريمة وحلّ الضمير المستتر العائد إلى المفعول به وهو الكافر الذى تحدث عنه القرآن العظيم فى الآية

(١) العكبرى : إملأ ما من به الرحمن، ج٢، ص ١٢١.

(٢) الشوكانى : فتح القدير، ج٣، ص ٥١٦، ٥١٧.

(٣) من الآية ١٢٦ سورة طه.

السابقة بأنه يُحْشَر يوم القيامة أعمى ويتساءل أمام مقام العزة ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي
أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى^(١).

وفى دلالة التركيب :

قال "الفراء" : «يقال إنه يخرج من قبره بصيرًا فيعمى فى حشره»^(٢).
وقال "الشوكاني" : «قال كذلك أى مثل ذلك فعلت أنت، ثم فسره
بقوله تعالى : ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا﴾ أى أعرضت عنها، وتركها، ولم تنظر فيها
و﴿وكذلك اليوم تُنسى﴾ أى ترك فى العمى والعذاب فى النار»^(٣).

(١٠) قوله تعالى : ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾^(٤).

أتى الفعل (يُوقَدُ) مبنياً للمفعول وحلّ الضمير المستتر والعائد إلى المفعول به
فى الجملة النواة المعلومه علّ الفاعل وأصل التركيب النواة المعلوم يُوقَدُ الحقّ النور من
شجرة مباركة. وقرئ الفعل (يوقد) بقراءات عديدة تتغير فيها الدلالة بتغير القراءة
وفى بيان :

قال "ابن الجزرى" : «ابن كثير وأبو عمر وأبو جعفر ويعقوب تَوَقَّدُ بالتاء
مفتوحة وفتح الواو والداال والقاف مشدداً وأبو بكر وحمزة والكسائى وخلف بالتاء
مضمومة وإسكان الواو وضم الداال وفتح القاف مخففاً والباقون كذلك إلا أنه بالياء
ابن عامر وأبو بكر»^(٥).

(١) الآيتان ١٢٥، ١٢٦ سورة طه.

(٢) الفراء : معانى القرآن، ج٢، ص ١٩٤.

(٣) الشوكاني : فتح القدير، ج٣، ص ٥٥٣.

(٤) من الآية ٣٥ سورة النور.

(٥) ابن الجزرى : تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة، ص ١٤٨.

وقال "الفراء" : «(توقد من شجرة) تذهب إلى الزجاجة إذا قال توقد ومن قال (يوقد) ذهب إلى المصباح ويقرأ (توقد) مرفوعة مشددة ويقرأ (توقد) بالنصب والتشديد ومن قال (توقد) ذهب إلى الزجاجة ومن قال (توقد) نصباً ذهب إلى المصباح وكل صواب»^(١).

وقال "أبو السعود" : «يوقد من شجرة مباركة أى يتبدأ بإيقاد المصباح من شجرة مباركة أى كثيرة المنافع بأن رويت ذبالبته بزيتها وقيل إنما وصفت بالبركة لأنها تنبت فى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين»^(٢).

ووضح دلالة القراءات ومعنى التركيب "الشوكاني" بقوله : «يوقد من شجرة مباركة، ومن هذه الابتدائية أى ابتداء إيقاد المصباح منها وقيل هو على تقدير مضاف أى يوقد من زيت شجرة مباركة والباركة : الكثيرة المنافع وقيل النمأة والزيتون من أعظم الثمار نماءً.

وقد قرئ (توقد) بالتاء الفوقية على أن الضمير راجع إلى الزجاجة دون المصباح وبها قرأ الكوفيون وقرأ شيبه ونافع وآيوب وسلام وابن عامر وأهل الشام وحفص (يوقد) بالتحية مضمومة وتخفيف القاف وضم الدال. وقرأ الحسن والسلمي وأبو عمرو بن العلاء وأبو جعفر (توقد) بالفوقية مفتوحة وفتح الواو وتشديد القاف وفتح الدال على أنه فعل ماضٍ من توقد يتوقد، والضمير فى هاتين راجع إلى المصباح.

قال "النحاس" : «وهاتان القراءتان متقاربتان لأنهما جميعاً للمصباح، وهو أشبه بهذا الوصف لأنه الذى ينير ويضيئ، وإنما الزجاجة وعاء له. وقرأ نصر ابن عاصم كقراءة أبي عمرو ومن معه إلا أنه ضم الدال على أنه فعل مضارع، وأصله تتوقد»^(٣).

(١) الفراء : معاني القرآن، ج٢، ص ٢٥٢.

(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٩١.

(٣) الشوكاني : فتح القدير، ج٤، ص ٤٩.

(١١) قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِّبَ فِيهَا تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(١).

أتى التركيب (فهى تُملى عليه) مبنياً للمفعول وقام الضمير المستتر مقام الفاعل وهو المفعول به فى الجملة النواة المبنية للمعلوم وأصل التركيب فهى يملئها (أى الأساطير) عليه مُمل غدوة وعشيًا أو فى جميع الأوقات.

وقد اختلف المفسرون فى دلالة هذا التركيب كما يلى :

قال "أبو السعود" : «أى تلقى عليه تلك الأساطير بعد اكتتابها ليحفظها من أفواه من يملئها عليه من ذلك المُكْتَبُ لكونه أميًا لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة أو تملئ على الكاتب على أن معنى اكتبها أراد اكتتابها أو استكتابها رجع الضمير المجرور إليه -عليه الصلاة والسلام- لإسناد الكتابة فى ضمن الاكتتاب إليه -صلى الله عليه وسلم-»^(٢).

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «فهى تُملى عليه والمعنى أنها كتبت له وهو أُمِّيَّ فهى تُلْقَى عليه من كتابه ليحفظها لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب.

وقال "الحسن" : قوله تعالى : (فهى تُلْقَى عليه بُكْرَةً) وأصيلًا : كلام الله ذكره جوابًا عن قولهم كأنه تعالى قال إنَّ هذه الآيات تُملى عليه بالوحي حالًا بعد حال، فكيف ينسب إلى أنه أساطير الأولين. وأما جمهور المفسرين فقد اتفقوا على أن ذلك من كلام القوم، وأرادوا به أن أهل الكتاب أملوا عليه فى هذه الأوقات هذه الأشياء.

ولا شك أن هذا القول أقرب لوجه :

^(١) الآية ٥ سورة الفرقان.

^(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ١٢١.

أحدها : شدة تعلق هذا الكلام بما قبله، فكانهم قالوا اكتسبها خير الأولين فهي تُملَى عليه.

ثانيها : إنَّ هذا هو المراد بقولهم ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾^(١).

ثالثها : إنه تعالى أجاب بعد ذلك عن كلامهم بقوله تعالى : ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ

الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾^(٢).

قال صاحب الكشف^(٣) : «وقول الحسن إنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذى فى معنى الإنكار وحق الحسن أن يقف على الأولين»^(٤).

(١٢) قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ تَخْطِفُ مِنْ أََرْضِنَا﴾^(٥).

أتى التركيب (تُخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا) مبنياً للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول مقام الفاعل وأصل التركيب فى الجملة النواة المبنية للمعلوم أى يتخطفنا العرب من أرضنا.

قال "الشوكانى" فى دلالة هذا التركيب : «أى قال مشركو قريش ومن تابعهم. إن ندخل فى دينك يا محمد تتخطف من أرضنا أى يتخطفنا العرب من أرضنا يعنون مكّة ولا طاقة لنا بهم، وهذا من جملة أعدائهم الباطلة وتعللاتهم العاطلة، والتخطف فى الأصل هو الانتزاع بسرعة. قرأ الجمهور تتخطف بالجزم جواباً للشرط، وقرأ المنقرى بالرفع على الاستئناف»^(٦).

^(١) من الآية ٤ سورة الفرقان.

^(٢) من الآية ٦ سورة الفرقان.

^(٣) انظر الزغشوى فى الكشف، ج٣، ص ١٥٢.

^(٤) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج١١، ص ٦٦٢.

^(٥) من الآية ٥٧ سورة القصص.

^(٦) الشوكانى : فتح القدير، ج٤، ص ٢٥١.

(١٣) قوله تعالى : ﴿فَلَيْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١) .

أتى التركيب (لم تُسْكَنْ من بعدهم) مبنياً للمفعول وقام الضمير المستتر مقام الفاعل وأصل التركيب فى الجملة النواة المبنية للمعلوم لم يسكنها أحد من بعدهم.

وفى دلالة التركيب قال الشوكانى أيضاً : أى لم يسكنها أحد بعدهم إلا زمناً قليلاً، كالذى يمر بها مسافراً فإنه يلبث فيها يوماً أو بعض يوم، أو لم يبق من يسكنها فيها إلا أياماً قليلة لشؤم ما وقع فيها من معاصيهم. وقيل إن الاستثناء يرجع إلى المساكن أى لم تسكن بعد هلاك أهلها إلا قليلاً من المساكن وأكثرها خراب، كذا قال الفراء وهو قول ضعيف^(٢) .

وقال "العكرى" : «محل جملة (لم تسكن) فى محل نصب حال والعامل فيها الإشارة، ويجوز أن تكون فى موضع رفع على ما ذكر فى قول الله تعالى : ﴿عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي﴾^(٣) . إلا قليلاً أى زماناً قليلاً»^(٤) .

(١٤) قوله تعالى : ﴿وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا﴾^(٥) .

أتى التركيب (دَخَلْتَ عليهم من أقطارها) مبنياً للمفعول وقام الضمير المستتر مقام الفاعل وأصل التركيب فى الجملة النواة المبنية للمعلوم فلو دخلها كل من أراد الفساد يعنى «لو دخلت عليهم بيوتهم أو المدينة من جوانبها لا من بعضها، ونزلت

^(١) من الآية ٥٨ سورة القصص.

^(٢) الشوكانى : فتح القدير، ج٤، ص ٢٥٤.

^(٣) من الآية ٧٢ سورة هود.

^(٤) العكرى : إملأ ما من به الرحمن، ج٢، ص ١٧٩.

^(٥) من الآية ١٤ سورة الأحزاب.

بهم هذه النازلة الشديدة، واستبيحت ديارهم، وهتكت حرمتهم ومنازلهم ثم سئلوا الفتنة أى القتال أو الشرك بإلله لأعطوها من أنفسهم»^(١).

وفى دلالة هذا التركيب قال "أبو السعود" : «أسند الدخول إلى بيوتهم وأوقع عليهم لما أن المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقاً كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمحرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقاً كما هو المفهوم لو أسند إلى الجار والمحرور (من أقطارها) أى من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلفة بالكلية ودخلها كل من أراد من أهل الدعارة والفساد ثم (سئلوا) من جهة طائفة أخرى عند تلك النازلة والرجعة الهائلة والفتنة أى الردة والرجعة إلى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الإيمان والطاعة لآئوها. أى لأعطوها غير مباين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء»^(٢).

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «احتمل أن يكون المراد المدينة فى ولو دخلت عليهم واحتمل أن يكون البيوت»^(٣).

وهاهنا مسائل أحب أن ألفت إليها أما الأولى وهى أن هناك دلالة أخرى للتركيب (دُخِلَ عليه) بالبناء للمفعول ومعناه إذا سبق وهمه إلى شىء فغلط فيه من حيث لا يشعر ونظن أننا يمكن أن نُفسّر التركيب السابق فى الآية الكريمة بمعنى قريب من هذا وهو لو حاول أحدٌ من المرجفين المفسدين أن يُزيّن لهم ويخدعهم بدخول المدينة من أحد جوانبها ثم سئلوا الكفر لأعطوها بدون قتال.

وأما الثانية : وهى أن النحويين اختلفوا فى الفعل دخل أهو لازم أم مُتَعَدٌّ بحرف الجر أم متعلٍّ بنفسه ؟

(١) الشوكاني : فتح القدير، ج٤، ص ٣٧٤.

(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود، جلد ٤، ص ٣١٢.

(٣) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج١٢، ص ٥٨١.

قيل : «إن الفعل دخل لازم وأن مصدره على وزن فَعول (دخول) وهو غالب الأفعال اللازمة مثل خرج الرجل خروجًا وقعد قعودًا ونزل ونزولاً»^(١).

وقال "أبو عمرو الجرمي" : دخل متعد فما بعده مفعول به لا مفعول فيه.

وقال "المبرد" : «هو من الأفعال التي تتعدى تارة بأنفسها وتارة بحرف الجر نحو نصحت زيدًا، ونصحت لزيد وشكرته وشكرت له فكذلك قولك دخلت الدار ودخلت فيها»^(٢).

ومن تراكيب (دخل) قال أصحاب المعاجم «دَخَلْتُ الدار ونحوها دخولاً صرت داخلها فهي حاوية لك ويُعدَّى بالهمزة فيقال أدخلت زيدًا الدار "مُدْخِلًا" بضم الميم. ودخل في الأمر (دخولاً) أخذ فيه، ودخلت على زيد الدار إذا دخلتها بعده وهو فيها دخل بامرأته دخولا والمرأة مدخول بها ودُخِلَ عليه بالبناء للمفعول إذا سبق وهمة إلى شيء فغلط فيه من حيث لا يشعر وفلان دخيل بين القوم أى ليس من نسبتهم بل هو تزيل بينهم»^(٣).

وقد اختلف النحويون فى المنصوب (المختص من الأماكن) بعد هذه الأفعال على وجوه :

(١) هذه الظروف المختصة منصوبة على الظرفية كما انتصب الظرف المكانى المبهم عليها إلا أن ذلك شاذ لا يقاس عليه وهو مذهب المحققين من النحاة ونسبه الأستاذ أبو على الشلوينى للجمهور وصححه ابن الحاجب^(٤).

(٢) هذه الأسماء منصوبة على إسقاط حرف الجر (يعنى على الحذف

(١) انظر الرضى : شرح الكافية، ج١، ص ١٨٦.

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل، ج٢، ص ٤٤، وقارن بالمبرد فى المقتضب، ج١، ص ١٢٧.

(٣) انظر على سبيل المثال : ابن منظور فى لسان العرب باب الدال والفيروزبى فى القاموس المحيط باب الدال والفيومى فى المصباح المنير كتاب الدال.

(٤) الرضى : شرح الكافية، ج١، ص ١٨٦.

والإيصال) وهذا رأى (أبو على الفارسي) ومن العلماء من ينسبه إلى سيبويه واختاره ابن مالك^(١).

ولكن بالتفتيش في كتاب سيبويه نجده بذكر في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول.

يقول : وقال بعضهم ذهب الشام يشبهه بالمبهم إذا كان مكاناً يقع عليه المكان والمذهب وهذا شاذ لأنه ليس في ذهب دليل على الشام، وفيه دليل على المذهب والمكان^(٢).

وفي موضع آخر يقول «هذا باب ما شبه من الأماكن المختصة بالمكان غير المختص شبهت به إذا كانت تقع على الأماكن مثل هو متى بمنزلة الولد وهو متى مقعد الإزار يقصدون بالمكان الذي ينزل به الولد والمكان الذي يقع عليه الإزار، فإنما أرادوا هذا المعنى ولكنه حذف المكان، وجاز ذلك كما جاز دخلت البيت وذهبت الشام، لأنها أماكن وإن لم تكن كالمكان»^(٣).

وقد فهم النحويون بذلك أن "لسيبويه" رأيين في المسألة فذكر بعضهم أن رأيه في الاسم بعد هذه الأفعال أنه منصوب على نزع الخافض ونقل الرضى في شرح الكافية أن رأى سيبويه في ذلك هو نصبه على الظرفية^(٤).

(٣) يرى المسرد من البصريين والفرّاء من الكوفيين وتابعهما أبو حيان الأندلسي أن دخل وذهب يجوز فيهما الوجهان (المتعدى بنفسه وبواسطة في) وألحق

(١) أبو على الفارسي : الإيضاح العضوي، جـ ١، ص ١٨٣، وقارن بالصبيان في حاشيته على شرح الأشموني، جـ ٢، ص ٩٠.

(٢) سيبويه : الكتاب، جـ ١، ص ٣٥.

(٣) المصدر السابق، جـ ١، ص ٤١٤.

(٤) الرضى : شرح الكافية، جـ ١، ص ١٨٦.

الفرّاء بدخلت (ذهبت وانطلقت) فقال، العرب عدت إلى أسماء الأماكن وحكى أنهم يقولون (دخلت الكوفة وانطلقت الشام)

وقال "أبو حيان" معقباً على ذلك : وهذا شيء لم يحفظه سيبويه ولا غيره من البصريين والفرّاء ثقة فيما ينقله^(١).

(٤) إن هذه الأسماء منصوبة على التشبيه بالمفعول به.

(٥) إن هذه الأسماء منصوبة على أنها مفعول به حقيقة وهذا مذهب الأخفش الأوسط وأبو عمرو الجرمي^(٢).

ويرى كثير من الباحثين المحدثين أن الأفضل أن يكون المنصوب بعد دخل -وسكن- وغيرها من الأفعال التي يأتي بعدها مكان مخصوص منصوباً على أنه مفعولاً به ليستريح الباحثون من النصب على نزع الخافض ومن اعتراضات أخرى على إعرابه ظرفاً منصوباً^(٣).

(١٥) قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾^(٤)

أتى التركيب (يُرَادُّ) مبنياً للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول به في الجملة النواة المعلومة مقام الفاعل والتقدير : «إن هذا لشيء يريد به الرسول - صلى الله عليه وسلم- وقيل إن هذا الأمر يريد به الله سبحانه، وما أراحه فهو كائن لا محالة، فاصبروا على عبادة أهلكم.

وقيل المعنى : إن دينكم لشيء يراد أي يُطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه.

(١) السيوطي : همع المواع، ج١، ص ٢٠٠.

(٢) الرضي : شرح الكافية، ج١، ص ١٨٦.

(٣) عباس حسن : النحو الوافي، ج٢، ص ٢١٥، وانظر د. عفيف دمشقية خطي متعثرة على طريق

تجديد النحو العربي، ص ٩٧.

(٤) الآية ٣٥ سورة ص.

وقيل الأول أولى^(١).

إذن اختلف المفسرون فى دلالة هذا التركيب - خاصة الفاعل أو الحق تعالى - أو الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو دين الكفار الباطل وفى هذا بيان :

قال "أبو السعود" : «(إن هذا لشيء يراد) تعليل للأمر بالصبر أو لوجوب الامتنال به أى هذا الذى شاهدناه من محمد - صلى الله عليه وسلم - من أمر التوحيد ونفى آلهتنا وإبطال أمرها لشيء يراد أى من جهته - عليه الصلاة والسلام - إمضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو امتنان فاقطعوا أطماعكم عن استنزاله من رأيه بوساطة أبى طالب وشفاعته وحسبكم أن لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعون فى حقها من القدح وسوء القالة وقيل إن هذا الأمر لشيء يريد الله تعالى ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر وقيل إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل إن دينكم لشيء يراد أن يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل إن هذا الذى يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل أحد منهم فتأمل هذه الأقاويل واختار منها ما يساعده النظم الجليل^(٢).

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «(إن هذا لشيء يراد) فيه ثلاثة أوجه. أحدها : ظهور دين محمد - صلى الله عليه وسلم - ليس له سبب ظاهر يثبت أن تزايد ظهوره ليس إلا لأن الله يريد، وما أراد الله كونه فلا دافع له.

وثانيها : إن الأمر لشيء من نوائب الدهر فلا انفكاك لنا منه.

وثالثها : إن دينكم لشيء يراد أى يطلب ليؤخذ منكم.

^(١) الشوكانى : فتح القدير، ج ٤، ص ٥٩١.

^(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٤٢٩.

قال القفال : هذه كلمة تذكر للتهديد والتخويف وكأن معناها إنه ليس غرض محمد من هذا القول تقرير الدين، وإنما غرضه أن يستولى علينا يتحكمم في أمور لنا بما يريد»^(١).

وقال "القرطبي" : «إن هذا لشيء يراد أى يراد بأهل الأرض من زوال نعم قوم وغير تنزل بهم وقيل إن هذا لشيء يراد كلمة تحذير أى إنما يريد محمد بما يقول الانقياد له ليعلو علينا، ونكون له أتباعاً فيتحكمم فينا بما يريد، فاحذروا أن تطيعوه. وقال مقاتل : إنَّ عمر -رضى الله عنه- لما أسلم وقوى به الإسلام شقَّ ذلك على قريش فقالوا : إن إسلام عمر فى قوة الإسلام لشيء يراد»^(٢).

(١٦) قوله تعالى : ﴿زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾^(٣).

أتى فى الآية الكريمة السابقة فعلان مبنيان للمفعول هما (زَيْن - صُدَّ) أما زَيْن فقد قام مقام الفاعل (المفعول به) فى الأصل وكان اسماً ظاهراً وهو (سوء). أما الفعل الثانى (صُدَّ) وقرئ الفعل بالبناء للمفعول وبالبناء للفاعل.

قال "ابن الجزرى" : «وفى غافر (وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) بضم الصاد فيهما والباقون بفتح الصاد فيهما»^(٤).

وقال "ابن خالويه" : «(وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) يقرأ بضم الصاد وفتحها فالحجة لم ضَمَّ أنه دَلَّ بالضم على بناء ما لم يُبَسِّمَ فاعله وعطفه على قوله تعالى فى الآية نفسها (وكذلك زَيْن لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ) والحجة لمن فتح أنه جعل الفعل لِفِرْعَوْنَ،

(١) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، مجلد ١٣، ص ٢٨٥.

(٢) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٧٣.

(٣) من الآية ٣٧ سورة غافر (للمؤمن).

(٤) ابن الجزرى : تحبير التيسير، ص ١٢٨.

فاستتر اسمه فيه لتقدمه قبل ذلك وفيه حجة لأهل السنة»^(١).

وما ذكره ابن خالويه يحتاج إلى إيضاح وفيه لبس فهو يدل أن قراءة البناء للمعلوم حجة لأهل السنة ولكننا نرى الزخشرى فى الكشف يؤيد قراءة المبنى للمعلوم»^(٢).

وقد وضع القراءات الإمام "القرطبي" بقوله : «قراءة الكوفيين (وصد) على ما لم يُسمَّ فاعله وهو اختيار أبى عبيد وأبى حاتم، ويجوز على هذه القراءة وصدَّ بكسر الصاد نقلت كسرة الدال على الصاد، وهى قراءة يحيى بن وثاب وعلقمة، وقرأ ابن أبى اسحاق وعبد الرحمن بن بكرة (وصدَّ عن السبيل) بالرفع والتنوين والباقون وصدَّ بفتح الصاد والدال أى صد فرعون الناس عن السبيل»^(٣).

ووضح دلالة التركيب "أبو السعود" بقوله : «وصدَّ عن السبيل أى سبيل الرشاد والفاعل فى الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زَيْن بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصدَّ (بفتح الصاد) على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه التموهيات والشبهات ويؤيده ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾^(٤). أى خسار وضلال أو علم أنه من صد صدودًا أى أعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال إليه»^(٥).

(١٧) قوله تعالى : ﴿أَوْ مِنْ نَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٦).

أتى التركيب (يُنشَأُ فى الحلية) مبنياً للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى

(١) ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٣١٥.

(٢) الزخشرى : الكشف، ج٣، ص ٣٧٢.

(٣) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص ٢٧٥.

(٤) من الآية ٣٧ سورة غافر.

(٥) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٤٩٠.

(٦) الآية ١٨ سورة الزخرف.

المفعول مقام الفاعل وتقدير الجملة النواة المعلومة. أو مَنْ يُنشئه أبواه فى الحلية
وقرئ الفعل بتشديد الشين وضم الياء مبنياً للمفعول وبفتح الياء وإسكان النون
والتخفيف مبنياً للفاعل وهناك قراءات أخرى فيها بيان :

قال "الفراء" : «(أو مَنْ يُنشئُ فى الحلية) يريد الإناث يقول : خصصتم
بالبنات وأنتم هكذا إذا ولد لأحدكم بنت أصابه ما وصف فأما قوله (أو مَنْ) فكأنه
قال ومن لا ينشأ إلا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين. يقول : لا يبلغ من الحجة
ما يبلغ الرجل.

وفى قراءة عبد الله (أو مَنْ لا يُنشأُ إلا فى الحلية) فإن شئت جعلت مَنْ فى
موضع رَفَعَ على الاستئناف وإن شئت نصبته على إضمار فعل يجعلون ونحوه وإن
رددتها على أول الكلام على قوله : «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ»^(١) خفضتها وإن
شئت نصبته.

وقرأ يحيى بن وثاب وأصحاب عبد الله والحسن البصرى (يُنشأ) وقرأ
عاصم وأهل الحجاز يُنشأ فى الحلية»^(٢).

وقال "ابن الجزرى" : «(أو مَنْ يُنشئوا بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين
والباقون بفتح الياء وإسكان النون وتخفيف الشين)»^(٣).

وقال "الإمام القرطبي" : «(أو مَنْ يُنشأ) أى يُربى ويشب والنشوء التربية
ويقال نشأت فى بنى فلان نشئاً ونشوءاً إذا شببت فيهم. ونشئ وأنشئ بمعنى.

وقرأ ابن عباس والضحاك وابن وثاب وحفص والكسائى وخلف (يُنشأ)
بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، أى يُربى ويكبر فى الحلية، واختاره أبو عبيد

^(١) من الآية ١٧ سورة الزخرف.

^(٢) الفراء : معانى القرآن، ح-٣، ص ٢٩.

^(٣) ابن الجزرى : تجويد التيسير، ص ١٧٤.

لأن الإسناد فيها أعلى.

وقرأ الباقر (يُنشأ) بفتح الياء وإسكان النون، واختاره أبو جاتم، أى يرسخ وينبت، وأصله من نشأ أى ارتفع، قال المروى فينشأ متعد وينشأ لازم^(١).

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «(أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَةِ) فِيهِ التَّنْبِيهِ عَلَى نَقْصَانِهَا، وَهُوَ أَنَّ الَّذِي يَرَى فِي الْحَلِيَةِ يَكُونُ نَاقِصَ الذَّاتِ، لِأَنَّهُ لَوْلَا نَقْصَانُ فِي ذَاتِهَا لَمَا احتاجت إلى تزيين نفسها بالحلية»^(٢).

(١٨) قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَّازْدَجَرَ﴾^(٣).

أتى الفعل (وازدجر) مبنياً للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول به فى الجملة النواة المعلومة محل الفاعل والأصل وزجره الكفار فى أقوى الآراء.

ونلاحظ أن هناك تراكيب أخرى مثل هذا التركيب وردت فى سورة القمر

لرعاية الفواصل وهى ﴿كُفِرَ﴾^(٤) و﴿قَدْ قَدِرَ﴾^(٥).

وفى قوله تعالى : (وازدجر).

قال "الفراء" : «زُجِرَ بالشتم، وازدجر افتعل من زجرت، وإذا كان الحرف أوله زأى صارت تاء الافتعال فيه دالاً، من ذلك زُجر، وازدجر، ومُزْدَجِر»^(٦).

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «(وازدجر) إخبار من الله تعالى أو حكاية قولهم نقول فيه خلاف منهم من قال إخبار من الله تعالى وهو عطف على

(١) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٥، ص ١٥٣.

(٢) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ ١٤، ص ٨٥.

(٣) من الآية ٩ سورة القمر.

(٤) من الآية ١٤ سورة القمر.

(٥) من الآية ١٢ سورة القمر.

(٦) الفراء : معاني القرآن، جـ ٣، ص ١٠٦.

(كذبوا) فى الآية نفسها وقالوا أى هم كذبوا وهو (ازدجر) أى أودى وزحر وهو كقوله تعالى : ﴿كَذَّبُوا وَأَوْدُوا﴾^(١).

وعلى هذا إن قيل لو قال كذبوا عبدنا وزجره كان الكلام أكثر مناسبة نقول : لا بل هذا أبلغ لأن المقصود تقوية قلب النبى - صلى الله عليه وسلم - بذكر من تقدمه فقال (وازدجر) أى فعلوا ما يوجب الانزعاج من دعائهم حتى ترك دعوتهم وعدل عن الدعاء إلى الإيمان إلى الدعاء عليهم ولو قال زجره ما كان يفيد أنه تأذى منهم لأن فى السعة يقال آذونى، ولكن ما تأذيت، وأما أوديت فهو كاللازم لا يقال إلا عند حصول الفعل لا قبله.

ومنهم من قال (وازدجر) حكاية قولهم أى هم قالوا ازدجر، تقديره قالوا يحنون مزدجر، ومعناه : ازدجره الجن أو كأنهم قالوا جنّ ازدجر، والأول أصح ويترب عليه الآية الكريمة : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَاتَّصِرْ﴾^(٢).

وقال "القرطبى" : «(وازدجر) أى زجر عن دعوى النبوة بالسبب والوعيد والقتل وقيل : إنما قال (وازدجر) بلفظ ما لم يُسمَّ فاعله لأنه رأس آية»^(٣).

(١٩) قوله تعالى : ﴿قَدْ قَدِرَ﴾^(٤).

أتى الفعل (قَدِرَ) مبتدأ للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول به فى الجملة النواة المعلومة والتقدير فى أقوى الآراء على حال قد قدرها الحق تعالى وقد اختلفوا فى دلالة هذا التركيب وتفصيل ذلك :

(١) من الآية ٣٤ سورة الأنعام.

(٢) الآية ١٠ سورة القمر، وانظر الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ١٥، ص ٦٧.

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥، ص ٢٢٣.

(٤) من الآية ١٢ سورة القمر.

قال "الفراء" : «(قد قدر) أى قُدِرَ فى أم الكتاب ويقال قد قُدِرَ أن المائين كان مقدارهما واحدًا ويقال قد قُدِرَ لما أراد الله من تعذيبهم»^(١).

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «(على أمر قد قدر) فيه وجوه :

الأول : على حال قد قُدِّرَها الله تعالى كما شاء.

الثانى : على حال قُدِّرَ أحد المائين بقدر الآخر.

الثالث : على سائر المقادير وذلك لأن الناس اختلفوا فمنهم من قال : ماء السماء كان أكثر ومنهم من قال ماء الأرض، ومنهم من قال كانا متساويين، فقال على أى مقدار كان، والأول إشارة إلى عظمة الطوفان فإن تنكير الأمر يفيد ذلك يقول القائل : جرى على فلان شيء لا يمكن أن يقاس إشارة إلى عظمته وفيه احتمال آخر، وهو أن يقال التقى الماء، أى اجتمع على أمر هلاكهم، وهو كان مقدورًا مقدَّرًا.

وفيه رد على المنجِّمين الذى يقولون : إنَّ الطوفان كان بسبب اجتماع الكواكب السبعة حول برج مائى، والغرق لم يكون مقصودًا بالذات، وإنما ذلك أمرٌ لزم من الطوفان الواجب ونوعه، فقال لم يكن ذلك إلا لأمر قد قُدِرَ، ويدل عليه أن الله تعالى أوحى إلى نوح بأنهم من المغرقين»^(٢).

(٢٠) قوله تعالى : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفِرًا﴾^(٣).

أتى الفعل (كُفِرَ) مبنياً للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول مقام الفاعل وأصل التقدير فى الجملة النواة المعلومة (جزاء لمن كان كفروه) فى أقوى الآراء على أن الفعل يتعدى وقد مرَّ بنا تركيب فيه (كفر) متعدياً إلى مفعولين

(١) الفراء : معانى القرآن، ج٣، ص ١٠٦.

(٢) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج٥، ص ٧١

(٣) الآية ١٤ سورة القمر.

بالتضمين وهو قوله تعالى : ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾^(١).

وقوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾^(٢).

وقد أتى فيه الفعل متعدياً إلى واحد أو أنه منصوب على نزع الخافض أى كفروا بربهم أو متعدياً إلى واحد بالتضمين والتقدير جحدوا أمر ربهم^(٣).

أما التركيب الذى ورد فى سورة القمر وهو (كُفِرَ) فقد قيل فيه :

قال "الفراء" : «(جَزَاءٌ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) أى جُحِدَ يقول فعلنا به وبهم ما فعلنا جزاءً لما صُنِعَ بنوح وأصحابه، فقال : لمن يريد القوم، وفيه معنى ما. ألا ترى أنك تقول : غُرِّقُوا لنوح وما صُنِعَ بنوح والمعنى واحد»^(٤).

وكان الفراء قد قال فى معنى قوله تعالى : (كفروا ربهم) والعرب تقول : كفرتك وكفرت بك، وشكرت بك وشكرت لك. وقال الكسائى : سمعت العرب تقول : شكرت يا لله كقولهم كفرت يا لله»^(٥).

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" عن : (جَزَاءٌ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) «فيه وجهان: أحدهما أن يكون كفر مثل شكر يعدى بالحرف وبغير حرف يقال شكرته وشكرت له قال تعالى : ﴿وَلَا تَكْفُرُونَ﴾»^(٦). وقال تعالى : ﴿فَمَنْ يُكْفَرْ بِالطَّاغُوتِ﴾»^(٧).

^(١) انظر الفصل الرابع، ص ١١٥، ١١٦.

^(٢) من الآية ٦٨ سورة هود.

^(٣) انظر الفراء فى معانى القرآن، ج٢، ص ٢٠.

والعكبرى : فى إملاء ما مَنُّ به الرحمن، ج٢، ص ٤١.

^(٤) الفراء : معانى القرآن، ج٣، ص ١٠٦.

^(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٠.

^(٦) من الآية ١٥٢ سورة البقرة.

^(٧) من الآية ٢٥٦ سورة البقرة.

ثانيهما : أن يكون من الكفر لا من الكفران أى جزاء لمن ستر أمره وأنكر شأنه ويحتمل أن يقال كفر به وترك لظهور المراد»^(١) .

(٢١) قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتُ﴾^(٢) .

أتى التركيب (أَقْبَت) مبنياً للمفعول وقام الضمير المستتر مقام الفاعل وأصل التركيب (وإذا الرسل عيّن لهم الحق تعالى الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم)^(٣) .

وقد أتى مثل هذا التركيب فى تراكيب أخرى من آيات الذكر الحكيم فى سورة المرسلات والتكوير والانفطار والانشقاق وهذه هى الآيات الكريمة التى أتى فيها الفعل مبنياً للمجهول وقد سبق باسم ظاهر هو نفسه المفعول به فى المعنى وسنرى أن النحويين اختلفوا فى إعراب هذا الاسم.

ومنه قوله تعالى فى سورة المرسلات ﴿وَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتُ * لَأَتِيَنَّ يَوْمَ أَخْلَتْ﴾^(٤) .

وفى سورة التكوير : ﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٥) . ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا

(١) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ١، ص ٧٣.

(٢) الآية ١١ سورة المرسلات.

(٣) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٥، ص ٨٠٦.

(٤) الآيات من ٨ إلى ١٢ سورة المرسلات.

(٥) الآية ١ سورة التكوير.

السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ^(١).

وفى سورة الانفطار قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ

بُعِثَتْ ^(٢)﴾.

ونلاحظ أنَّ البصريين والكوفيين اختلفوا فى إعراب الاسم الواقع بعد إذا فهو عند البصريين نائب فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المتأخر وتعليل ذلك عندهم أن إذا تطلب الفعل لا الاسم.

أما الكوفيون فقد أعربوا الاسم مبتدأ ولم يعبأوا بإذًا ولا إن فى آية أخرى ^(٣). ونرى أن رأى الكوفيين لا تعقيد فيه ولا تأويل يساعده معانى التنزيل العزيز.

وقد اختلف المفسرون فى دلالة بعض هذه التراكيب وقرئ بعض الأفعال بالتشديد والتخفيف وفى ذلك بيان :

أما قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ ^(٤)﴾.

قرئ الفعل بالهمز والواو (أَقْبَتْ - وَقَّتَتْ) قال الفرّاء : «اجتمع القراء على همزها وهى فى قراءة عبد الله (وَقَّتَتْ) وقرأها أبو جعفر المدنى وَقَّتَتْ بالواو خفيفة وهى قراءة شيبة والأعرج ^(٥)».

(١) الآيات من ٣ : ١٣ سورة التكويد.

(٢) الآيتان ٣، ٤، سورة الانفطار.

(٣) انظر فى تفصيل هذا الآراء : خالد الأزهرى فى شرح التصريح على التوضيح، ج١، ص ٢٧٣،

والخضرى فى حاشيته على شرح ابن عقيل، ج١، ص ١٣٤.

(٤) الآية ١١ سورة المرسلات.

(٥) الفرّاء : معانى القرآن، ج٣، ص ٢٢٢.

وقال "القرطبي" : «وإنما همزت لأن الواو إذا كانت أول حرف وُضُمَتْ همزت من ذلك قولك صلى القوم أحدانا»^(١).

وقال "ابن الجزرى" : «وأبو جعفر وُكِّتْ بالواو وخَفَّفَ أبو جعفر القاف والباقون بالهمز والتشديد»^(٢).

وفى سورة التكوير : قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٣).

قال "الإمام فخر الدين الرازى" فى التكوير وجهان : أحدهما التلغيف على جهة الاستدارة كتكوير العمامة وفى الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من التشئت بعد الألفة والطفى واللف والكور والتكوير واحد يعبر عن إزالة النور عن جرم الشمس وتصييرها غائبة عن الأعين بالتكوير فلهذا قال بعضهم كُوِّرَتْ أى طمست، وقال آخرون انكشفت، وقال الحسن : معنى ضوؤها، وقال المفضل ابن سلمة كُوِّرَتْ أى ذهب ضوؤها كأنها استترت فى كاره.

وفى الوجه الثانى فى التكوير : يقال كورت الجائط دهورته إذا طرحته حتى يسقط. قال الأصمعى يقال طعنه فكوره إذا ضرعه فقوله إذا الشمس كورت أى أُلْقِيَتْ ورُمِيَتْ عن الفلك وقية قول ثالث يروى عن عمر -رضى الله عنه- أنه لفظة مأخوذة من الفارسية فإنه يقال للأعمى كور»^(٤).

وأما قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾^(٥) . أى عن وجه الأرض.

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ١٥٨.

(٢) ابن الجزرى : تجميع التيسير، ص ١٩٢.

وانظر ابن مجاهد : فى السبعة فى القراءات، ص ٦٦٦.

(٣) الآية ١ سورة التكوير.

(٤) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ٦٦.

(٥) الآية ٣ سورة التكوير.

وأما قوله تعالى : (وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ) فقال "الإمام فخر الدين الرازى" «فيه قولان :

القول الأول : المشهور أن العشار جمع عشراء كالنفاس فى جمع نفساء وهى التى مضى على حملها عشرة أشهر، وهو اسمها إلى أن تَضَع لتمام السنة، وهى أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم وعُطِّلَتْ قال "ابن عباس" أهملها أهلها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة، والنوق الجوامل أحبُّ شىء عند العرب وخوِطِب العرب بأمر العشار لأن أكثر ما لها وعيشها من الإبل والغرض من ذلك ذهاب الأحوال وبطلان الأملاك، واشتغال الناس بأنفسهم.

والقول الثانى : إن العشار كناية عن السحاب تعطلت عما فيها من الماء هذا وإن كان مجازاً إلا أنه أشبه بيسائر ما قبله وأيضاً فالعرب تشبه السحاب بالحامل.
.. قال تعالى : ﴿فَالْحَامِلَاتِ وَفِرَآ﴾^(١).

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾^(٢).

أتى الفعل (سُجِّرَتْ) مبنياً للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول (وهو البحار) مقام الفاعل والتقدير وإذا البحار سجّرها الله.
وقرئ الفعل بتخفيف الجيم وتشديد لها.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سُجِّرَتْ تخفيفاً وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم سُجِّرَتْ مشددة الجيم^(٣).

وقد اختلف المفسرون فى دلالة (سُجِّرَتْ) كما يلي :

^(١) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ٦٨ والآية الثانية سورة الذاريات.

^(٢) الآية ٦ سورة التكويد.

^(٣) ابن مجاهد : السبعة فى القراءات، ص ٦٧١، وانظر ابن الجزرى فى تجميع التيسير، ص ١٩٤.

قال "الإمام فخر الدين الرازى" : فيه وجوه :

أحدها : أن أصل الكلمة من سحرت التَّنُور إذا أوقدتها والشيء إذا وقد فيه نشف ما فيه من الرطوبة، فحينئذ لا يبقى فى البحار شيء من المياه البتة ثم إن الجبال قد سُيِّرَتْ وحينئذ تصير البحار والأرض شيئاً واحداً فى غاية الحرارة والإحراق ويحتمل أن تكون الأرض لما نشفت مياه البحار رُبَتْ فارتفعت فاستوت برؤوس الجبال.

ويحتمل أن الجبال لما اندكت وتفرقت أجزاءها وصارت كالتراب وقع ذلك التراب فى أسفل الجبال فصار وجه الأرض مستوياً مع البحار ويصير الكل بحراً مسجوراً وثانيها يكون سُحِرَتْ بمعنى فجرت وثالثها سُحِرَتْ أوقدت^(١).

أما قوله تعالى : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾^(٢) فقد اختلف المفسرون فى دلالة هذا التركيب :

قال "الإمام فخر الدين الرازى" : «فيه وجوه :

أحدها : قُرِنت الأرواح بالأجساد.

ثانيها : قال الحسن : يصيرون فيها ثلاثة أزواج.

مثل قوله تعالى : ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾^(٣).

وثالثها : أنه يَضُمُّ إلى كل صنف من كان فى طبقة من الرجال والنساء، فَيَضُمُّ الْمُبَرَّرُ فى الطاعات إلى مثله، والمتوسط إلى مثله وأهل المعصية إلى مثله، فالتزويج أن يُقرن الشيء بمثله، والمعنى أن يضم كل واحد إلى طبقة فى الخير والشر.

(١) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ١، ص ٦٨.

(٢) الآية ٧ سورة التكوين.

(٣) الآية ٧ سورة الواقعة.

ورابعها : يَضُمُّ كل رجال إلى من كان يلزمه من ملك و سلطان كما قال

تعالى : ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾^(١).

خامسها : قال "ابن عباس" : زوجت نفوس المؤمنين بالخور العين وقرنت نفوس الكافرين بالثنيطين.

سادسها : قرن كل امرئ بشيعته اليهودى باليهود والنصرانى بالنصارى وقد ورد فيه خبر مرفوع.

وسابعها : قال "الزجاج" : قرنت النفوس بأعمالها^(٢).

وأما قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾^(٣).

قُرئ الفعل (سُعِّرَتْ) بتشديد العين وبتخفيفها

«قرأ ابن نافع وأبو جعفر وحفص وابن ذكوان ورؤيس سُعِّرَتْ بتشديد العين والباقون بتخفيفها»^(٤).

أما من قرأ بالتشديد لأنها أوقدت مرة بعد مرة.

قال "قتادة" : «سعرها غضب الله وخطايا بنى آدم ودلالة التركيب : إذا الجحيم أوقدت لأعداء الله إيقاداً شديداً»^(٥).

وفى سورة الانشقاق قوله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا

وَحَقَّتْ﴾^(٦).

(١) من الآية ٢٢ سورة الصافات.

(٢) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ٧٠.

(٣) الآية ١٢ سورة التكوين.

(٤) ابن الجزرى : تحبير التيسير، ص ١٩٤، وانظر ابن مجاهد فى السبعة فى القراءات، ص ٦٧٣.

(٥) الشوكانى : فتح القدير، ج ٥، ص ٥٥٥.

(٦) الآيتان ١، ٢، سورة الانشقاق.

أتى الفعل (حُكِّتْ) مبنياً للمفعول وقيل أصل التركيب وحَقَّقَ الله عليها الاستماع لأمره بالانشقاق، أى جعلها حقيقة بذلك. وقال قتاده : حق لها أن تفعل ذلك.

ومن هذا قول كثير :

فإن تكن العتبي فأهلاً ومرحباً

وحُكِّتْ لها العتبي لَدَيْنَا وَقَلَّتْ^(١).

أما سورة الغاشية فقد وَرَدَ فيها أربعة تراكيب مبنية للمفعول وهى : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ * ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ * ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ * ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾^(٢).

وقد أتت الأفعال فى هذه التراكيب الأربعة مبنية للمفعول وقام مقام الفاعل الضمير المستتر العائد إلى المفعول وهو (الإبل - السماء - الجبال - الأرض) فى الآيات الأربعة الكريمة.

ونلاحظ أن الفعل المبنى للمفعول قد سبق باسم الاستفهام (كيف) الواقع فى محل نصب ويدل استخدامه على مقام الغزة الذى يخلق بالقدرة ما لا يستطيع عليه بشر.

وقد اختلف اللغويون فى دلالة بعض هذه التراكيب ومنها : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلِقَتْ).

(١) المصدر نفسه، جـ ٥، ص ٥٧٩.

(٢) الآيات من الآية ١٧ إلى الآية ٢٠ سورة الغاشية.

قال "أبو عمرو بن العلاء" : «إنما خصَّ الإبل لأنها من ذوات الأربع لا يحمل عليه إلا وهو قائم. فتحمل عليها الحمولة وغيرها من ذوات الأربع لا يحمل عليه إلا وهو قائم.

قال "الزجاج" : نَبَّههم على عظيم من خلقه قد ذلَّ الله للصغير يقوده وينيخه وينهضه ويحمل عليه الثقل من الحمل وهو بارِكٌ، فينهض بثقل حمليه، وليس ذلك في شيء من الحوامل غيره، فأراهم عظيمًا من خلقه ليبدل بذلك على توحيده وسئل الحسن عن هذه الآية، وقيل له : الفيل أعظم في الأعجوبة، فقال : أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به، ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دُرَّة، والإبل من أعز مال العرب وأنفسه، تأكل التوى والقست وتخرج اللبن ويأخذ الصبي بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها في نفسها.

وقال "الميرد" : الإبل هنا هي القطع العظيمة من السحاب، وهو خلاف ما ذكره أهل التفسير واللغة.

وروى عن الأصمعي أنه قال : من قرأ (خلقت) بالتخفيف عُنِيَ به البعير، ومن قرأ بالتشديد عَنِ به السحاب.

(وإلى السماء كيف رفعت) : أى رفعت فوق الأرض بلا عمد على وجه لا يناله الفهم ولا يدركه العقل وقيل : رفعت فلا ينالها شيء

(وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ) : على الأرض مرساة راسخة لا تميد ولا تزول.

(وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ) : أى بسطت، والسطح، بسط الشيء.

وقرأ الجمهور (سطحت) مَبْنِيًّا للمفعول مخفَّفًا وقرأ الحسن : بالتشديد وقرأ على بن أبى طالب وابن السميع وأبو العالية خَلَقْتُ وَرَفَعْتُ وَنَصَبْتُ وَسَطَّحْتُ على البناء للفاعل وضم التاء فيها كلها^(١).

(١) المصدر نفسه، جده، ص ٦١٨.

وقال "القرطبي" : «وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ : أى كيف نصبت على الأرض بحيث لا تزول؛ وذلك أن الأرض كما دُحِيت مادت فأرساها بالجبال وفى (سطحت) قال : وقرأ الحسن وأبو خَيْوَةَ وأبو رجاء سَطَّحَتْ : بتشديد الطاء وإسكان التاء وكنلك قرأ الجماعة إلا أنهم خففوا الطاء»^(١).

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، جـ ٢٠، ص ٣٦.

الخاتمة ونتائج البحث

١- عرض النحويون مباحث المبنى للمفعول بقوانين حددوا فيها الأفعال التى تبني فيها الأفعال للمفعول واختلفوا فى بعضها، مثل الأفعال الناقصة التى أباح بناءها الكوفيون ورفض بناءها البصريون ويُنَوِّا صيغة الفعل وتغييرها من المبنى للمعلوم إلى المفعول وأشاروا إلى اللغات المختلفة للفعل المعتل الأجوف والمضعف، ويُنَوِّوا الأفعال التى وردت غالباً مبنية للمفعول. وأثبت البحث أن هناك لغات مختلفة لهذه الأفعال وبها قرأ القراء القراءات القرآنية المعتمدة. وناقش النحويون أسباب حذف الفاعل وتسبوه إلى أغراض لفظية وأغراض معنوية، وقد بين ابن هشام أن هذا تطفل من النحويين على صناعة البيان؛ أى ما يشمل علم المعانى، وقد أيّدناه فى ذلك.

٢- ذكر النحويون ما ينوب عن الفاعل من مفعول به أو مصدر مختص أو ظرف متصرف أو جار ومجرور، واختلفوا فى الفعل اللازم هل ينسب للمفعول أم لا، واختلفوا فى الجار والمجرور: هل الجار والمجرور هو الذى يحل محل الفاعل؟ وقد رفض بعضهم ذلك وهذا رأى ضعيف، ومنهم من ذهب إلى أن القائم مقام الفعل هو الجار والمجرور وهم الكوفيون، وذهب القراء وحده إلى أن حرف الجر هو القائم مقام الفاعل وقد رفض غالبية النحويين هذا الرأى وقالوا هذا لا يُعْقَل. وذهب البصريون إلى أنه إذا وجد المفعول به فلا يجوز إنابة غيره؛ ولكن الكوفيين والأخفش الأوسط أجازوا ذلك. وقد عرض البحث لهذه الآراء من خلال التراكيب القرآنية، وأثبت البحث صحة رأى البصريين.

٣- جاء ما يقوم مقام الفاعل فى القرآن العظيم فى تراكيب مختلفة؛ فمرة يكون نائب الفاعل اسماً ظاهراً، أو ضميراً متصلاً، أو ضميراً مستتراً،

أو جاراً ومجروراً، وجاء الظرف المتصرف فى مواطن قليلة جداً فى رأى الأخفش الأوسط وبعض الكوفيين، أما المصدر الظاهر أو المقدر فقد ورد فى مواطن قليلة. وقد اختلف النحويون فى تقدير المصدر أو الضمير المستتر، وقد أيدنا آراء النحويين إذا اتفق ذلك مع سياق الموقف أو المعنى القرآنى الجليل.

٤- جاء ما يقوم مقام الفاعل اسماً ظاهراً فى كثير من الآيات القرآنية الكريمة، وقد اختلفت الدلالة باختلاف القراءات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَضَارَّ وَالِدَةَ بُولَدَهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ حيث ذهب الزمخشري إلى أنه يجوز لك ألا تقدر فاعلاً؛ وقد ردنا هذا رأى. وقد اختلفت الدلالة باختلاف القراءات القرآنية لبعض الأفعال بالتشديد والتخفيف مثل سَكَّرَتْ وَسُكِّرَتْ، وَعُمِّيتْ وَعُمِّيَتْ، وَفُتِّحَتْ وَفُتِّحَتْ، وَيُضَاعَفُ وَيُضَعَّفُ. وأتى ما يقوم مقام الفاعل اسماً ظاهراً وأصله مفعول به وقبله جار ومجرور، وهذا يؤيد رأى البصريين. وفى الضمير المتصل جاءت التراكيب واضحة؛ إلا ما احتاج إلى بيان مثل وَقَفُوا عَلَى النَّارِ وَيُهْرَعُونَ - وسعدوا، ودافع البحث عن قراءة الكسائي بضم السين فى سَعِدَ وأثبت أن هذه لغة فاشية لبعض العرب. وفى ما قام مقام الفاعل، وهو شبه جملة، ظهرت تراكيب تدل على إعجاز القرآن العظيم من الوجهة اللغوية؛ فقد أتى شبه الجملة مرتين، وكان أحدهما يقوم مقام الفاعل، والعبرة بالسياق والمعنى القرآنى. وقد أيدت رأى الكوفيين فى مواطن والبصريين فى مواطن أخر بما يناسب سياق الموقف أو السياق الاجتماعى أو المعنى المناسب للآية القرآنية الكريمة.

٥- وفي التراكيب التى أتى فيها ما يقوم مقام الفاعل ضميراً مستتراً،
اختلف المفسرون والنحويون فى ذلك، وقد بينت الرأى الذى يناسب
المقام.

٦- إن القرآن العظيم ينطق بوجوه الإعجاز اللغوى فى تراكيبه البديعة
ورصفه العجيب، وقد أدت صيغة المفعول دلالة عظيمة تنطق بسنن
الكبرياء ومقام العزة والتفخيم والإيهام والتحدى للمعاندين. والقرآن
العظيم يكشف بأسراره وإعجازه اللغوى للباحثين إلى يوم الدين ما
يؤكد إعجازه اللغوى ويبين للناس جميعاً أنه الكتاب الذى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أدت القراءات القرآنية المعتمدة
دوراً كبيراً فى اختلاف الدلالة والسياق، وهذا يحتاج إلى جهود
الباحثين المنصفين.

المصادر والمراجع

- الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد) م ٣٧٠هـ.

تهذيب اللغة، طبع دار الكتب المصرية ١٩٥٦م، وطبع المؤسسة المصرية للتأليف والنشر والترجمة من ١٩٦٤-١٩٦٧م. حقق الجزء الأول والتاسع عبد السلام هارون، واشترك فى تحقيق الأجزاء من ١-١٥ د. عبد الحليم النجار (ج-٢، وج-٣)، وعبد الكريم العزباوى (ج-٤)، وعبد السلام سرحان (ج-٧)، والدكتور عبد الله درويش (ج-٥) وأحمد عبد الحليم (ج-١٢)، يعقوب عبد النبى (ج-١٣)، وإبراهيم الإييارى (ج-١٤)، واشترك فى مراجعة تحقيقه على البجاوى ومحمد على النجار، واستدرك على الأجزاء (٧، ٨، ٩) إبراهيم الإييارى فى الفترة من ١٩٦٤-١٩٦٧م، واستدرك على الأجزاء نفسها د. رشيد عبد الرحمن العبيدى الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.

- الأزهرى (خالد بن عبد الله) م ٩٠٥هـ.

شرح التصريح على التوضيح، وبهامشه حاشية الشيخ يس بن زين العليمى الحمصى، طبع عيسى الحلبى، مصر د.ت.

- الألوسى (شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى) ١٢٧٠هـ.

روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، إدارة الطباعة المنيرية ودار إحياء التراث العربى، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥م، بيروت.

- الأنبارى (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد) م ٥٧٧هـ.

١- أسرار العربية، طبع بتحقيق سيبولد فى ليدن عام ١٨٨٦م، ثم نشره محمد بهجت العطار، دمشق ١٩٧٧م.

٢- البيان فى غريب إعراب القرآن، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، دار الكتاب العربى، القاهرة ١٣٨٩-١٩٦٩م.

- ابن الباذش (أحمد بن علي ت ٥٤٠هـ)

الإقناع فى القراءات السبع، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، دمشق ١٤٠٣هـ.

- البطليوسى (ابن السيد) ت ٥٢١هـ.

الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لابن قتيبة، طبع بيروت ١٩٠١م، مراجعة عبد الله البستاني، ونشر بتحقيق مصطفى السقا، ود. حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٨١م.

- البنا الدمياطى (أحمد بن محمد البنا الدمياطى) م ١١٧هـ.

إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، نشر بإشراف على محمد الضباع، القاهرة ١٣٥٩هـ، وحققه د. شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية وعالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

- ابن الجزرى (محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزرى) م ٨٣٣هـ.

١. تبحير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة، حققه وعلق عليه: عبد الفتاح القاضى ومحمد الصادق قمحاوى، طبع وكالة الصحف العالمية (فرع مطبعة النهضة الجديدة) بالقاهرة، ونشر دار الوعى بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٢ - ١٩٧٢م.

٢. النشر فى القراءات العشر، تصحيح ومراجعة محمد الضباع، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، وحققه د. محمد سالم محيسن، ط مكتبة القاهرة.

- الجزولى (أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولى) م ٦٠٧هـ.

المقدمة الجزولية فى النحو، تحقيق وشرح د. شعبان عبد الوهاب محمد، وراجعته د. حامد أحمد نبيل ود. فتحي محمد جمعة، مطبعة أم القرى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

- ابن جنى (أبو الفتاح عثمان ابن جنى) م ٣٩٢هـ.

الخصائص، تحقيق محمد على النجار فى ثلاثة أجزاء، طبع دار
الكتب ١٩٥٢ - ١٩٥٥م، وطبعة ثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
مريدة وميمنة ١٩٨٦م.

- ابن الجوزى (أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى
القرشى البغدادى) م ٥٩٧هـ.

زاد المسير فى علم التفسير، طبع المكتب الإسلامى، بيروت،
الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- حلمى خليل (دكتور)

١. نظرية تشومسكى اللغوية - تأليف جون ليونز

John Lyons, Chomsky, Harvester Press 2nd ed. 1977.

ترجمة وتعليق د. حلمى خليل ، الطبعة الأولى، دار المعرفة
الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٥م.

٢. العربية والغموض، دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٩٨٨م.

- أبو حيان الأندلسى (أثير الدين محمد بن يوسف بن على بن حيان الأندلسى
الغرناطى) ت ٧٤٥هـ.

١. ارتشاف الضرب من لسان العرب - تحقيق الدكتور مصطفى النحاس.
مكتبة الخانجي، طبعة أولى، القاهرة ١٩٨٩م.

٢. البحر المحيط، طبع دار السعادة، القاهرة ١٣٢٨هـ، وطبع دار الفكر
للطباعة والنشر، بيروت، طبعة ثانية ١٩٧٨م.

- ابن خالويه (الحسين بن أحمد) م ٣٧٠هـ.

الحجة فى القراءات السبع، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة

الخامسة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، تحقيق الدكتور عبد العالم سالم مكرم.

- الخضرى (محمد الدمياطى الشافعى الشهير بالخضرى) ١٢٨٧هـ.

حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل (م ٧٦٩هـ) لألفية بن مالك

(م ٦٧٢هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،

الطبعة الأخيرة ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.

- الرازى (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمى

البكرى الرازى الشافعى) م ٦٠٦هـ.

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) المطبعة الشرقية، القاهرة

١٣٠٨هـ، وطبع القاهرة ١٣٨٩هـ، ونشرته دار الغد العربى بالقاهرة

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- الرضى الاسترابادى (رضى الدين محمد بن الحسن) م ٦١٦هـ.

١. شرح الكافية فى النحو لابن الحاجب (م ٦٤٦هـ)، تحقيق د. يوسف

حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا ١٩٨٧م، ونشرته دار

الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٨٥.

٢. شرح الشافية فى الصرف لابن الحاجب (م ٦٤٦هـ)، تحقيق محمد

الزفزاف ومحمد محيى الدين عبد الحميد ومحمد نور الحسن، مطبعة

السعادة ١٣٥٦ - ١٣٥٨هـ القاهرة، ونشرته دار الكتب العلمية،

بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمد بن عمر بن أحمد) م ٥٣٨هـ.

١. الكشف عن حقائق التنزيل، المطبعة العامرة ١٣٠٨هـ، القاهرة،

ومطبعة الاستقامة ١٣٦٥هـ، ومطبعة الحلبي ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.

٢. نكت الأعراب في غريب الإعراب في القرآن الكريم، تقديم وتحقيق د.
محمد أبو الفتوح شريف، طبع دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥ م.
- ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري بن سهل) م ٣١٦ هـ.
الأصول في النحو، حققه د/ عبد المحسن الفتلي، مطبعة الأعظمى
بغداد ١٩٧٣ م، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- أبو السعود العمادى (أبو السعود بن محمد العمادى) م ٩٨٢ هـ.
تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)
طبع دار الفكر، بيروت، د.ت. خمسة مجلدات.
- السمين الحلبي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود
المعروف بالسمين الحلبي) م ٧٥٦ هـ.
الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور أحمد محمد
الخراط، طبع دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- سيويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) ت ١٨٠ هـ.
الكتاب (كتاب سيويه)، طبع بولاق ط أولى ١٣١٦ هـ، وطبع
الهيئة المصرية العامة للكتاب بتحقيق عبد السلام هارون ١٣٨٥ -
١٣٩٧ هـ، ١٩٦٦ - ١٩٧٧ هـ.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) ت ٩١١ هـ.
جمع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، حققه د. عبد
العال سالم مكرم، والجزء الأول بالاشتراك مع عبد السلام هارون، ط.
الكويت ١٩٧٥ م.

- الشوكاني : (الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني م ١٢٥٥هـ)

فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، حققه
وخرّج أحاديثه وفهرسها سيد إبراهيم بن صادق بن عمران، دار الحديث
بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- الصّبّان (محمد بن علي الصّبّان المتوفى عام ١٢٦٠هـ).

حاشية الصّبّان على شرح الأشموني، طبع عيسى الحلبي، القاهرة د.ت.

- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري م ٣١٠هـ)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه محمود محمد شاكر، دار
المعارف. مصر ١٩٦٩م، ونشرته دار الحديث بالقاهرة ١٤٠٧ - ١٩٨٧م،
يعنوان : جامع البيان فى تفسير القرآن، وبهامشه تفسير غرائب القرآن
ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى
النيسابورى.

- الطيب البكوش (دكتور)

التصريف العربى من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم صالح
القرمادى، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله تونس، المطبعة
العربية، تونس الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

- عباس حسن

النحو الوافى، الطبعة الخامسة، دار المعارف القاهرة ١٩٧٥م.

- عبده الراجحي (دكتور).

النحو العربى والدرس الحديث - الإسكندرية ١٩٧٧م، ودار
النهضة العربية، بيروت ١٩٧٩م.

- العكبرى (أبو البقاء عبد الله الحسين بن عبد الله م ٦١٦هـ)

١. إملأ ما مَنَّ به الرحمن فى وجوه الإعراب والقراءات فى جميع آى القرآن، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مطبعة الحلبي، الطبعة الثانية ١٩٦٩ القاهرة.

٢. التبيان فى إعراب القرآن، تحقيق محمد على البحارى، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٨٦ القاهرة.

- الفارسي (أبو على الحسن بن أحمد م ٣٧٧هـ)

١. الإيضاح العضدى، تحقيق د. حسن شاذلى فرهود، ١٩٦٩م القاهرة.

٢. الحجة فى علل القراءات السبع، تحقيق على النجدى ناصف، ود. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح شلبى، الجزء الأول والثانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء م ٢٠٧هـ)

(معانى القرآن) الجزء الأول، تحقيق أحمد يوسف نجاشى ومحمد على النجار، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م.
والجزء الثانى والثالث، تحقيق د. عبد الفتاح شلبى، ومحمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

- الفيروزبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ)

القاموس المحيط، طبع بولاق ١٢٧٢هـ ونشرته شركة فن الطباعة بمصر، ١٩٥٤م.

- الفيومى

المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت د.ت.

- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصارى الأفرقي ثم المصرى) م ٧١١هـ)

لسان العرب، طبع بولاق ١٣٠٠هـ، ومطبعة العادى ١٣٥٥هـ،
وطبعة مصورة عنها فى دار صادر بيروت ١٩٥٥م، وطبعة الهيئة المصرية
العامة للكتاب ١٩٨٣م.

- ابن هشام الأنصارى (أبو عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصارى
المصرى المتوفى ٧٦١هـ).

١. شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب، تحقيق محمد محيى الدين
عبد الحميد، المكتبة التحارية ١٩٦٥م.

٢. مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، الطبعة الأولى، المطبعة الشرقية القاهرة
١٣٢٨هـ.

وطبع بهامشه شرح الأمير على المغنى، القاهرة ١٣٧٢هـ.

وطبع بهامشه شرح الدسوقى على المغنى، القاهرة ١٣٥٨هـ.

وطبع بدمشق ١٣٨٤هـ - ١٩١٤م، وحققه محمد محيى الدين عبد الحميد،
بيروت ١٩٨٧م.

وحققه وخرّج شواهد الدكتور مازن المبارك، ومحمد على الحمد وراجعته
سعيد الأفغانى، طبع دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٢م، ونشرته
دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور باكستان، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

- ابن يعيش (يعيش بن على بن يعيش ت ٦٤٣هـ) لابن جنى.

١. شرح التصريف الملوكى، تحقيق فخر الدين قبابة، بيروت ١٩٧٩م.

٢. شرح المفصل، طبع المطبعة المنيرية د.ت.

- ابن القبيصي (أبو عبد الله محمد بن أبي الوفاء الموصلي المعروف بابن القبيصي
ت بعد ٦١٠هـ)

التمة في التصريف، تحقيق ودراسة د. محسن بن سالم العميري
النادي الأدبي، جدة ١٩٨٥م.

- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١هـ)
الجامع لأحكام القرآن، طبع دار الكتب ١٩٥٠م.

- ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب
م ٧٥١هـ)

الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، طبع بيروت،
منشورات، دار ومكتبة الهلال ١٩٨٥م.

- ابن مجاهد (أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد م ٣٢٤هـ)

كتاب السبعة في القراءات، تحقيق د. شوقي ضيف، طبع دار
المعارف، مصر ١٩٧٢م.

- محمود سليمان ياقوت (دكتور)

١. شرح جمل سيبويه، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٢م.

٢. المبني للمجهول في الدرس النحوي والتطبيق في القرآن الكريم، دار
المعرفة الجامعية ١٩٨٩م.

- مكى بن أبي طالب القيسي م ٤٣٧هـ.

مشكل إعراب القرآن، حققه ياسين محمد السوَّاس، مطبوعات
مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤م، وحققه الدكتور حاتم صالح الضامن
مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٧م.

الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| المقدمة | ٥ |
| الفصل الأول: المبنى للمجهول عند القدماء وراى علم اللغة الحديث ٧ - ٤٠ | |
| ١- المستوى الصرفى | ٩ |
| ٢- المستوى النحوى | ٢١ |
| - أغراض حذف الفاعل | ٢٢ |
| - ما ينوب عن الفاعل | ٢٥ |
| ٣- المبنى للمجهول عند علماء اللغة المحدثين | ٣٦ |
| الفصل الثانى: المبنى للمجهول ونائب الفاعل اسم ظاهر ٤١ - ٨٤ | |
| ١- اختلاف القراءات فى قوله تعالى: (لا تضار والدته بولدها) | |
| واختلاف الدلالة | ٤٥ |
| ٢- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى: (فبهت الذى كفر) | ٤٧ |
| ٣- اختلاف المفسرين فى قوله تعالى: (غُلَّتْ أيديهم) | ٥١ |
| ٤- اختلاف النحويين والمفسرين فى فاعل الإلقاء فى قوله تعالى : | |
| (فألقي السحرة ساجدين) | ٥٣ |
| ٥- اختلاف الدلالة عند المفسرين واللغويين فى قوله تعالى : | |
| (كتاب أحكمت آياته) | ٥٦ |
| ٦- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى : | |
| (لقالوا إنما سكرت أبصارنا) | ٥٨ |
| ٧- اختلاف النحويين والمفسرين فى (الوار) فى قوله تعالى : | |
| (وفتحت أبوابها) | ٦٤ |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| | ٨ - اختلاف النحويين فى أوجه الإعراب فى قوله تعالى: |
| ٦٧ | (وهو محرم عليكم إخراجهم) |
| | ٩ - اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى : |
| ٦٩ | (زين للناس حب الشهوات) |
| | ١٠ - اختلاف النحويين والمفسرين فى تقدير المحذوف فى قوله تعالى: |
| ٧٦ | (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) |
| | ١١ - اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى : |
| ٨٠ | (يُضَاعَف لها العذاب ضعفين) |
| | ١٢ - اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى : |
| ٨٢ | (جنت عدن مفتحة لهم الأبواب) |
| ١٠٣-٨٥ | الفصل الثالث: المبنى للمجهول ونائب الفاعل مصدر ظاهر أو مقدر |
| | ١ - اختلاف النحويين والمفسرين فيما قام مقام الفاعل فى قوله تعالى : |
| ٨٨ | (فمن عفى له من أخيه شيء). |
| | ٢ - اختلاف النحويين فى ما قام مقام الفاعل فى قوله تعالى : |
| ٩٠ | (وإذا قيل لهم) |
| ٩٣ | ٣ - وجوه الإعجاز والدلالة فى قوله تعالى (وقيل يا أرض ابلعى ماءك). |
| | ٤ - اختلاف النحويين والمفسرين فى أوجه الإعراب فى قوله تعالى : |
| ٩٨ | (وقيل الحمد لله رب العالمين). |
| | ٥ - اختلاف النحويين فى ما قام مقام الفاعل فى قوله تعالى : |
| ٩٩ | (نودى أن بورك). |
| | ٦ - اختلاف النحويين فى ما قام مقام الفاعل فى قوله تعالى : |
| ١٠٢ | (وحيل بينهم). |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---------|
| ٧- اختلاف المفسرين فى قوله تعالى (إن هو إلا وحي يوحى). | ١٠٢ |
| الفصل الرابع : المبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير متصل. | ١٠٥-١٤٠ |
| ١- اختلاف المفسرين واللغويين فى دلالة قوله تعالى : | |
| (فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى). | ١١٢ |
| ٢- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى : | |
| (قل للذين كفروا ستُغلبون وتحشرون إلى جهنم). | ١١٤ |
| ٣- اختلاف النحويين والمفسرين فى دلالة قوله تعالى : | |
| (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه). | ١١٥ |
| ٤- اختلاف الدلالة فى قوله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار). | ١١٦ |
| ٥- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى : | |
| (وأما الذين سَعِدُوا ففى الجنة خالدين فيها). | ١٢٣ |
| ٦- دفاع عن قراءة الإمام الكسائى بضم السين فى (سَعِد). | ١٢٤ |
| ٧- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى : | |
| (بل زُين للذين كفروا مكرهم وصُدُّوا عن السبيل). | ١٢٧ |
| ٨- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى : (ولمَّا لُت منهم رعباً) | ١٣١ |
| ٩- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى : | |
| (ثم نكسوا على رؤوسهم). | ١٣٥ |
| ١٠- اختلاف الدلالة فى قوله تعالى : | |
| (قال إنما أوتيته على علم عندى). | ١٤١ |
| ١١- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى : | |
| (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) (لا يصدعون عنها ولا ينزفون). | ١٤٤ |

| الصفحة | الموضوع |
|---------|---|
| ١٧٨-١٤٧ | الفصل الخامس : المبنى للمجهول ونائب الفاعل شبه جملة. |
| ١٥٣ | ١- اختلاف النحويين فى ما قام مقام الفاعل فى قوله تعالى : (وعلى المولود له رزقهن). |
| ١٥٤ | ٢- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى : (من يُصِرْفْ عنه يومئذ فقد رحمه). |
| ١٥٧ | ٣- اختلاف اللغويين والمفسرين فى قوله تعالى : (ولما سُقِطَ فى أيديهم). |
| ١٥٨ | ٤- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى : (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ). |
| ١٦١ | ٥- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى : (يوم يُنْفَخُ فى الصور). |
| ١٦٨ | ٦- اختلاف اللغويين والمفسرين فى قوله تعالى : (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم). |
| ١٧١ | ٧- اختلاف النحويين فى ما قام مقام الفاعل فى قوله تعالى : (فضرب بيثهم بسور). |
| ١٧٢ | ٨- اختلاف المفسرين واللغويين فى دلالات قوله تعالى : (يوم يكشف عن ساق) |
| ١٧٤ | ٩- اختلاف النحويين فى شبه الجملة المقدر فى قوله تعالى : (واسمع غير مسمع) وقوله تعالى (ذلك وعد غير مكذوب) وقوله تعالى (ذلك يوم مشهود) وقوله تعالى (كل أولئك كان عنه مسئولا) |

الفصل السادس : المبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر ١٧٩-٢١٧

١- اختلاف المفسرين واللغويين فى قوله تعالى :

١٨٢ (وإن كان رجل يورث كلالة).

١٨٧ ٢- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى: (يسقى بماء واحد).

٣- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى :

١٨٨ (وإنَّ لك موعدًا لن تُخلفه).

١٩٠ ٤- اختلاف اللغويين فى دلالة قوله تعالى: (ولتصنع على عيني).

٥- اختلاف اللغويين فى دلالة قوله تعالى:

١٩٦ (ولو دخلت عليهم من أقطارها).

٢٠٠ ٦- اختلاف اللغويين فى دلالة قوله تعالى (إن هذا لشيء يراد).

٧- اختلاف القراءات والدلالة فى قوله تعالى :

(وإذا الرسل أُفَّتَتْ) وقوله تعالى (وإذا الجبال سيرت)

٢٠٩ وقوله تعالى (وإذا البحار سُجُرت).

٢١٩ الخاتمة ونتائج البحث

٢٢٥ المصادر والمراجع

٢٣٧ الفهرس

